الحرف والصناعات

في الحجاز

في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ والحضارة

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار إشبيليا

للنشر والتوزيع

الحِرَفْ والصنَاعَات في الحِجَازْ

في عَصر الرَّسُول ﷺ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

ⓒ عبدالعزيز إبراهيم العمري، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمري، عبدالعزيز إبراهيم

الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ - ط٣- الرياض

٣٣٦ص، ١٧×٢٤سم

ردمك: ٥ - ٥٧٣ - ٣٦ - ٩٩٦٠

١ - الحجاز - تاريخ - عصر صدر الإسلام ٢ - المهن ٣ - الحرف اليدوية

أ - العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٢ ٢٠/٣٣٢٠

رقم الإيداع: ٢٠/٣٣٢٠

ردمك : ٥ - ٥٧٣ - ٣٦ - ٩٩٦٠

دار إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - ص.ب: ١٣٣٧١ - الرياض: ١١٤٩٣

هاتف: ٤٧٩٤٣٥٤ - ٤٧٤٢٤٥٨ - فاكس: ٤٧٧٣٩٥٩

الحرف والصناعات في الحجاز

في عصر الرسول ﷺ

د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري
الأستاذ المشارك بقسم التاريخ والحضارة
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

دار إشبيليا
للنشر والتوزيع

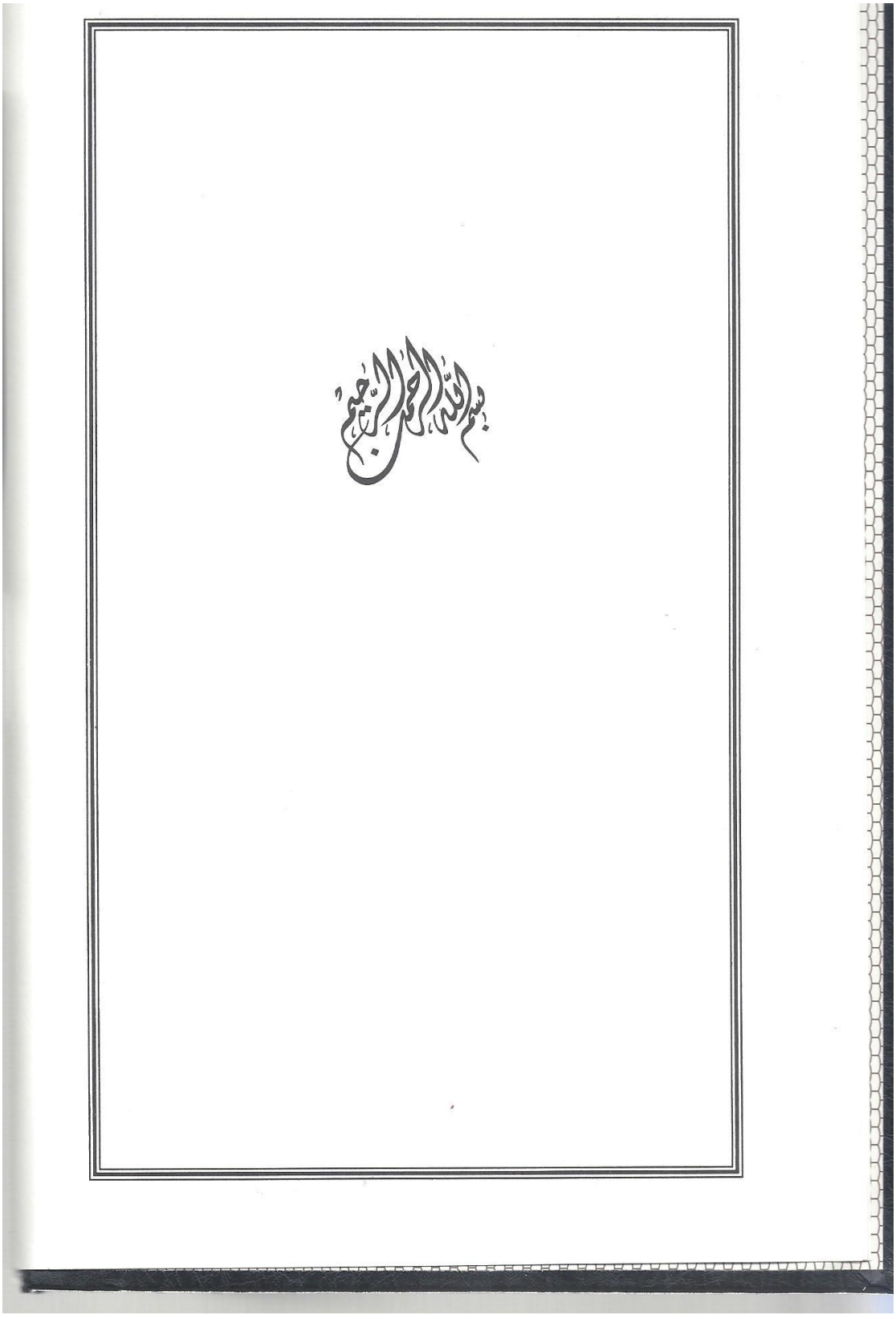
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعي، وبعد.

فإن القرآن الكريم وتفاسيره، وكتب الحديث وكتب السيرة النبوية وغيرها مليئة بالأخبار عن الحياة العامة في الحجاز عموماً وفي مكة والمدينة خصوصاً في خلال العصر النبوي، وأبرز هذه الأحداث ما كان على صلة بالنبي ﷺ وبأحداث سيرته العطرة أو بمراحل التشريع الإسلامي خلال تلك الفترة وقد وردت ضمن ذلك بعض المعلومات والموضوعات المتعلقة بالحرف والصناعات وبمصادر دخل الناس خلال تلك الفترة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تدلنا بأن الناس في تلك الأيام كانت لديهم حِرفٌ مختلفة تسد حاجات الناس ومتطلباتهم في مختلف الشؤون.

وموضوع هذا البحث هو التعرّف على هذه الحرف ورصدها ودراسة كل حرفة منها على حدة على ضوء ما ورد من النصوص الخاصة بهذه الحرفة في ذلك العصر، وإننا في صفحات هذا البحث نحاول دراسة الحرف في الحجاز قبيل الإسلام ونظرة العرب إليها في العصر الجاهلي، ثم نقوم بدراسة موقف الإسلام عموماً من الحرف والصناعات المختلفة، ثم موقف الإسلام من كل حرفة على حدة، ومحاولة ﷺ تغيير نظرة الناس للحرفيين والصنّاع وإعطاء الناس منظاراً حضارياً جديداً مغايراً لما كان سائداً بينهم في تلك الأيام كما أننا نحاول أن نلقي الضوء على جانب حضاري مهم يتعلّق بحياة الناس اليومية في ذلك العصر، وبالأعمال التي يقومون بها، والحرف التي يمتهنها الناس. وبديهي أن هذا يعني أننا _ ضِمناً _ نلقي الضوء على الأعمال التي كان الصحابة يزاولونها بتشجيع من الرسول ﷺ، وعلى الأعمال التي حرّمها الإسلام وكانت سائدة وكانت سائدة بين الناس في ذلك الوقت.

كما أننا من خلال هذا البحث نورد العديد من النماذج لهذه الحرف التي زاولها الناس حسب ورودها في المصادر، ونقدّم فكرة كافية عن مدى تطوّر كل حرفة على حدة.

وقد دفعني لكتابة هذا البحث عدم وجود بحث مُركّز خاص بالحرف والصناعات في عصر الرسول ﷺ ولا يفوتني هنا أن أنوّه بأن هنالك بعض الكتب التي تعرّضت للموضوع باختصار شديد دون استقصاء، فقد حاول الخزاعي في كتابه (تخريج الدلالات السمعية) التعرّض لهذه الحرف بعجالة سريعة، إلا أن تركيزه كان على العمالات الشرعية، وهي الوظائف الإدارية في الحكومة النبوية، وكذلك فعل الكتّاني حين شرح كتاب الخزاعي في كتابه المسمى (التراتيب الإدارية) أو نظام الحكومة النبوية.

وقد تعرّضت بعض البحوث الاقتصادية للمدينة في صدر الإسلام فتحدّثت باقتضاب شديد جداً عن الحرف في المدينة، مما لا يكفي لإلقاء الضوء عليها، مما دفعنا لإخراج الموضوع مغطياً لهذا الجانب الحضاري من تاريخ العصر النبوي في منطقة الحجاز، إذ أ، دراسة هذا الجانب الحضاري لذلك العصر يقدّم لنا مقارنة بين حالة هذا الجانب قبل الإسلام وحالته بعد الإسلام في ضوء توجيهات الإسلام، وهو الأمر الذي ينتهي بنا إلى معرفة تاريخية موثقة بتلك النقلة الحضارية التي أحدثها الإسلام في حياة العرب على المستوى المادي المعاشي فضلاً عن النقلة العقيدية والأخلاقية التي هي أساس رسالته، وقد التزمت في بحثي هذا بالطريقة العلمية حيث كنت أركز على المصادر الأصلية مخطوطة أو مطبوعة بقدر الإمكان، وقد التزمت إرجاع الآيات القرآنية إلى أماكنها في السور، وإعادة الأحاديث النبوية إلى كتب الحديث الموثقة، كما حاولت توضيح الألفاظ الغامضة من مصادر لغوية موثوقة، إضافة إلى ذلك فقد ترجمت لأكثر الأسماء الغريبة التي وردت في البحث، كما قمت بالتعريف بالأماكن التي وردت في ثنايا الصفحات، وقد حاولت التزام طريقة ثابتة في ذكر المصادر في هامش البحث، كما هو متبع في البحوث العلمية عموماً، وقد عرّفت بالمصادر عند ورودها لأول مرة تعريفاً كاملاً، كما عرفت بها في قائمة

المصادر حتى يسهل على المطلع مراجعتها كما أنني التزمت بوضع أقواس على النصوص التي أنقلها حرفياً وأعدتها إلى مصادرها الأصلية. وقد حللت ما يستوجب التحليل، ورجّحت ما أجده أهلاً للترجيح، وكنت أقدم الرأي الموضوعي في كل موقف يقتضي ذلك. ولا أدّعي الكمال في هذا المنهج وإنما هي محاولة م ني لتطبيق منهج بحث علمي كما يجري عادة في البحوث العلمية الجادة التي تجري تحت إشراف أساتذة مختصين يدركون أهمية الالتزام بالمنهج العلمي في البحث ويدفعون إليه.

وقد واجهتني بعض الصعوبات في إنجاز هذا البحث كما تواجه الباحثين عموماً، ولكن بفضل من الله ثم بتوجيه الأستاذ المشرف تمكّنت من التغلّب عليها، وقد كانت أولى الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث هي جمع المادة العلمية، التي كانت منتشرة في ثنايا الآيات القرآنية الموزّعة على السور المختلفة وفي تفسيرها، إضافة إلى الأحاديث النبوية التي تتعلق بهذا البحث التي كانت موزّعة في كتب الحديث، وكثيراً ما كانت الأبواب التي وضعت فيها لا تدل على شيء من موضوعاتها حيث وجدت مثلاً ـ من خلال البحث ـ أن كتب القضاء والجهاد والزكاة والصلاة كانت مليئة بالأحاديث التي تحمل أخباراً عن هذه الحرف يمكن الاستفادة من نصوصها.

وقد واجهتني صعوبة أخرى، وهي تقسيم الحِرَف حسب الفصول، حيث إن الحِرَف كثيرة ويصعب الجمع بين بعضها البعض، ووضعها في إطار مشترك مما جعلني أتردد في تقسيم هذه الحرف على الفصول وفي عنونة هذه الفصول وقد نجحت إلى حد كبير ـ والحمد لله ـ بتوجيه من الأستاذ المشرف على التنسيق بين هذه الحرف، ووضع العناوين المناسبة لكل فصل، وذلك في حدود النسق المهني والعقلي الذي يجمع بين الحرف. وقد كانت أهم المصادر التي رجعت إليها في هذا البحث هي:

القرآن الكريم: حيث اشتملت العديد من الآيات على أشياء ذات صلة بالحِرَف والصناعات، سواء ما دلت عليه الآيات مباشرة أو ما أوضحه كتب التفسير من المعاني وأسباب النزول التي تدل على ذلك.

كما أن كتب الحديث كانت بعد كتاب الله ـ هي المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه في كتابه هذا البحث، وعلى رأسها صحيح (البخاري) وشرحه فتح الباري (لابن حجر)، وصحيح (مسلم)، وسنن (الدارمي) وسنن (النسائي) (والترمذي) ومسند (أحمد) وموطأ (الإمام مالك)، وغيرها من كتب الحديث التي كانت الأساس لهذا البحث، كما استفدت من كتاب تخريج الدلالات السمعية (للخزاعي) الذي جمع بعض الأحاديث المتعلّقة بالحِرَف والصناعات التي أوردها من كتب الحديث.

إضافة لذلك فإن كتب السيرة النبوية والمغازي وعلى رأسها سيرة ابن هشام ومغازي (الواقدي) وفتوح البلدان (للبلاذري) والسيرة النبوية (لابن كثير) والسيرة النبوية (للذهبي)، والسيرة الحلبية (للحلبي)، والسيرة الشامية (للصالحي الشامي) وغيرها كانت مصادر مهمة لهذا البحث إلا أنها لا تصل إلى درجة كتب الحديث من حيث خدمة هذا الموضوع.

كما أن كتب الطبقات والتراجم، وعلى رأسها الطبقات الكبرى (لابن سعد)، والاستيعاب (لابن عبد البر)، وتجريد أسماء الصحابة (للذهبي)، وفضائل الصحابة (لأحمد بن حنبل)، وغيرها ـ قد أعطتنا الكثير من المعلومات الوافية التي استفدنا منها في هذا البحث، خصوصاً كتاب الإصابة (لابن حجر) الذي يعطي لمحات قوية عن المجتمع النبوي وعن حرف الصحابة من خلال ما يورد من ترجمات وافية في كثير من الأحيان ـ وبالتالي فهذا النوع من الكتب التاريخية كان من أهم مصادر من البحث.

كما أننا استفدنا إلى حدّ ما مما ورد في كتب التاريخ الإسلامي العام مثل تاريخ الأمم والملوك (للطبري)، والكامل (لابن الأثير)، والبداية والنهاية (لابن كثير) وغيرها من الموسوعات التاريخية التي استفدنا منها.

وقد أفادتنا الموسوعات اللغوية في العديد من الموضوعات التي تلقي الضوء على الحياة الاجتماعية للعرب عموماً، من خلال تورده من شروحات للألفاظ وشواهد تاريخية على ذلك، فكان كتاب (الزبيدي) تاج العروس مصدراً مهماً استقينا منه الكثير من أخبار العرب في الجاهلية، التي قلّ

أن توجد في مثله من الكتب، كما استفدنا من لسان العرب (لان منظور) ومن غيره من المصادر اللغوية.

كما أن كتب الخراج والنظم الإسلامية القديمة منها والحديثة أفادتنا في العديد من الموضوعات المتعلقة بالبحث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وعلى رأسها كتاب الأحكام السلطانية (لأبي عبيد القاسم بن سلاّم).

كما أن كتب النظم الإسلامية المؤلّفة حديثاً أفادتنا في هذا البحث، وكانت بمثابة مفاتيح دلتنا على المصادر الأصلية واستفدنا منها في مجال المقارنة، وعلى رأسها كتاب النظم الإسلامية للدكتور (صبحي الصالح)، وكتاب الخراج والنظم المالية للدكتور (محمد ضياء الدين الريّس) رحمه الله. كما أن كتب التاريخ للبلدان، وخصوصاً ما يتعلق منها بتاريخ مكة أو المدينة أو الطائف كانت مصدراً مهماً في أخبار هذه البلدان في عصر الرسول ﷺ، ومن هذه الكتب ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط حتى الآن. وقد كانت الكتب المطبوعة أكثر أهمية من الكتب المخطوطة، لأن المخطوطة في الغالب متأخرة زمنياً عن المطبوعة، فهي تنقل عنها غالباً لذلك كان تركيزنا على المطبوع منها بالدرجة الأولى، مع الاستشهاد بالمخطوط للاستئناس.

وكان من أه الكتب المطبوعة (أخبار مكة) للأزرقي، و (تاريخ المدينة) عمر بن شبّة، وهو من أهم المصادر في تاريخ المدينة التي يجهلها بعض الباحثين وذلك لأن المؤلف عاش أواخر القرن الثاني الهجري وتوفي في منتصف القرن الثالث تقريباً، فهو الأساس الذي نقل عنه الكثير ممن ألّف عن تاريخ المدينة فيما بعد كالسمهودي وغيره، كما وجدت كتب أخرى عن تاريخ المدينة أهمها: التعريف بما أنست الهجرة بمعالم دار الهجرة (للمطري)، وتحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (للمراغي)، وأخبار مدينة الرسول (للنجار) وغيرها من الكتب الأخرى التي أوردت الكثيرة من أخبار المدينة أيام الرسول ﷺ .

ومن المصادر المخطوطة في هذا المجال بهجة الأسرار في تاريخ دار الهجرة المختار (للقرشي البكري)، والأعلام بأخبار البلد الحرام (للنهرواني)، وحسن القرى في أودية أم القرى (لابن فهد)، ومباحث شريفة في تاريخ

الحجاز ومعالمه (للقليوبي)، وغيرها كثير من الكتب التي أرّخت لمكة بالدرجة الأولى ولا تزال مخطوطة حتى الآن. كما أن كتب الفروسية كانت ذات فائدة بالنسبة لهذا الموضوع خصوصاً ما يتعلق بتصنيع السلاح في عصر الرسول ﷺ، وكان منها العديد من الكتب التي لا تزال مخطوطة، ومنها رسالة (للسيوطي) عنوانها السماح في أخبار الرماح، وكذلك الهداية في علم الرماية (للسخاوي) والإفادة والتبصير لكل رامٍ مبتدئ أو ماهر نحرير لعبدالله بن ميمون، وغيرها من المخطوطات المتعلّقة بالفروسية وكذلك كتاب (ابن القيّم) الفروسية وهو مطبوع. وقد استفدت من بعض المراجع المؤلفة حديثاً، وكان أهمها وأكثرها إفادة في هذا الجانب كتاب في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور (جواد علي)، وقد تناول في الجزء السابع من الكتاب العديد من الأمور المتعلقة بالحِرَف لدى العرب عموماً مع أن تركيزه كان على بلاد اليمن بالدرجة الأولى، إلا أنه تعرّض للحجاز أحياناً كما أن كتاب (الكتاني) التراتيب الإدارية احتوى على بحوث كثيرة لا بأس بها إلا أنه كان بالدرجة الأولى شروحاً وتعليقات وزيادات على كتاب الخزاعي تخريج الدلالات السمعية، كما أفادني (د. أكرم ضياء العُمري : بكتابيه المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى، والمجتمع المدني، في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين، كما أن بعض الكتب الحديثة عن تاريخ المدينة التي اشتمل بعضها على دراسة لبعض المباني التي كانت قائمة إلى وقت قريب في المدينة أو الخرائط التوضيحية للمدينة بين القديم والحديث ـ وهذه الكتب أفادت في المقارنة في جوانب كثيرة، وأهمها كتاب عبد القدوس الأنصاري (آثار المدينة) وكتاب (المدينة المنوّرة في التاريخ) لعبدالسلام حافظ وكتاب (المدينة بين الماضي والحاضر) لإبراهيم العياشي وغيرها واستفدت من كتاب الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (للدكتور محمد حميد الله) كما استفدت من كتابي الأستاذ (محمد عزة دروزه) عصر النبي، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ومن المراجع المهمة أيضا كتاب البلوغ الأرب في أحوال العرب للأستاذ محمود شكري الألوسي)، كما كان من المراجع التي أفادتني مكة والمدينة في الجاهلية

وعصر الرسول (للدكتور أحمد إبراهيم الشريف) وكتاب العلاقات السياسية بين العرب واليهود (للدكتور علي الخربوطلي)، كما أن هناك مجموعة من الرسائل الجامعية التي تعتبر مراجع مهمة في هذا البحث منها مجتمع المدينة في عهد الرسول (لعبدالله بن إدريس)، والحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة في صدر الإسلام (لنورة آل الشيخ) إضافة إلى بعض البحوث والدوريات الأخرى.

وقد كانت تقسيمات البحث كالتالي:

مقدمة، ثم تلاها الفصل الأول وهو دراسة تمهيدية، اشتمل على مقدمة جغرافية عن الحجاز وحدوده وعن سكان الحجاز وأهم قبائله وتعريف بأهم المراكز الحضارية فيه خلال العصر النبوي يلي ذلك تعريف لغوي واصطلاحي لمعنى الحرفة والصناعية، ثم تلاه حديث عن عصر الرسول وتحديده وأهم ملامحه العامة، ثم دراسة مختصرة عن موقف العرب قبل الإسلام من الحِرَف والصناعات وتغييره نظرة الناس إلى الحرفيين من خلال ما ورد من أحاديث نبوية في هذا الجانب.

أما الفصل الثاني فكان عن (الحرف المعاشية) وقد تعرضنا فيه إلى الرعي وتربية الحيوانات باعتبارها حرفة رئيسية يعيش عليها قطاع كبير من سكان الحجاز وتعتمد عليها البادية، سواء في رعي الغنم أو الإبل وتناولها أهمية هذه الحرفة بالنسبة لهم، وللتنظيمات الخاصة بالمراعي.

وتعرضنا بعد ذلك إلى الصيد وأنواعه وأساليبه في العصر النبوي، مع إيراد نماذج لحوادث الصيد التي نقلتها لنا المصادر من العصر النبوي، وتحديد أدوات الصيد المعروفة، وأهم مناطقه في بلاد الحجاز في تلك الفترة وتطرّقنا إلى حرفة الجمع وعلى رأسها الاحتطاب، وجمع بعض النباتات البرّية لأغراض شتى التي كان الكثيرة من الناس يقوم بها. وتعرّضنا في الفقرة الأخيرة من هذا الفصل إلى الزراعة في الحجاز في العصر النبوي حيث حاولنا تحديد أهم المناطق الزراعية في تلك الأيام وأهم المنتجات الزراعية، وتطرّقنا إلى موقف الإسلام من الزراعة، وبعض النظم التي استحدثها لخدمة الزراعة وتطويرها. وكان الفصل الثالث عن (التجارة) وقد تضمن هذا الفصل دراسة عن تجارة قريش خلال العصر النبوي،

ومدى حجم هذه التجارة وانتشارها، إضافة إلى محاولة التعرّف على أساليب تجارة قريش وأسباب ازدهارها، كما تضمن دراسة للتجارة في المدينة وغيرها من مدن الحجاز الأخرى التي تضمّنت دراسة هذا الفصل توجيهات الإسلام في مجال التجارة حيث تعرضنا لبعض البيوع التي كانت شائعة قبل الإسلام وموقف الإسلام منها وتحريمه لبعض السلع وتمحيصه لأساليب التجارة، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى دراسة للأسواق التجارية في الحجاز، سواء منها الأسواق الدائمة في مكة والمدينة وغيرها أو الأسواق الموسمية كسوق عكاظ، ومجنّة وذ المجاز وغيرها من أسواق الحجاز التي كانت مزدهرة عند ظهور الإسلام، وحضر الرسول ﷺ بعضاً منها، وتعرّضنا بعد ذلك للسلع المتداولة في الحجاز سواء منها المستورد أو المصنّع محلياً وأنواعها وأهميتها.

وانتقلنا بعدها إلى دراسة للنقود المتداولة في الحجاز في العصر النبوي وأنواعها ومصادرها ومقارنتها بالأوزان الحالية. ثم انتقلنا إلى وسائل الكيل والميزان المتعارف عليها في تلك الأيام وحاولنا مقارنتها بالموازين والمكاييل الحديثة، وتعرضنا للمقاييس الطولية.

أما الفصل الرابع فكان عن (صناعة البناء) وقد تضمّن دراسة لأهم المباني التي أقيمت في عصر الرسول واشتراك الرسول في بنائها وعلى رأسها بناء الكعبة المشرفة وبناء مسجد قباء وبناء مسجد الرسول ﷺ، كما تعرضنا للبنايات العسكرية في ذلك العصر، ومنها بناء سور الطائف، وحصون المدينة وخيبر، وتعرّضنا بعد ذلك لعملية حفر الآبار والخنادق لما بينها وبين البناء من علاقة. وتبع ذلك دراسة لحرفة النِّجارة لارتباطها الوثيق بالبناء ولأنها عملية مكملة للبناء.

وفي الفصل الخامس عالجت (صناعة السلاح) وتعرّضت فيه إلى أهمية السلاح عند سكان الحجاز في عصر الرسول ﷺ، خصوصاً بعد ظهور الإسلام، وحثّ الرسول ﷺ للمسلمين على العناية بالسلاح وصيانته وتصنيع المسلمين لما يحتاجون إليه من السلاح، ثم تطرّقنا إلى تصنيع الأقواس والسهام، وانتقلنا بعد ذلك إلى صناعة الرماح، ثم تطرّقنا إلى صناعة السيوف والخناجر وصقلها، وانتقلنا بعدها إلى تصنيع الأسلحة

الدفاعية من تروس ودروع ومغفر وحسك، ثم انتقلنا بعدها إلى صناعة الدبابة، ثم إلى صناعة المنجنيق، وهي من الأسلحة التي عرفت في الحجاز في العصر النبوي.

وأما الفصل السادس فكان عن (الحِرَف العلميّة والصحيّة) وقد تناول البحث في هذا الفصل عدداً من الموضوعات أهمها القراءة والكتابة ومدى توافرها في ذلك العصر، ومن كان يعلّمها الناس في تلك الأيام إضافة إلى الترجمة ومدى الحاجة إليها والمستوى الذي وصلت إليه، ثم تناولت مهنة الطب والتمريض في تلك الأيام وأساليب العلاج الشائعة وموقف الرسول ﷺ من هذه الأساليب وتعرّضنا للحجامة باعتبارها أسلوباً معروفاً في تلك الأيام فقد وُجِد أناس يحترفون الحجامة، ثم انتقلت إلى العطارة والصيدلة وأثبت وجود مختصين يقومون بعملية صناعة العطور والأعشاب الطبية، وقد تناولت بعد ذلك عمليات التجميل ووجود نساء محترفات للعمل في هذا الحقل، إضافة إلى تطرّقي للحلاقة، وهي في الغالب خاصة بالرجال.

أما الفصل السابع فقد اشتمل على الحرف العامة، حيث أوضحت من خلاله حرفة الحدادة، ومكانتها في تلك الأيام ومدى ما وصلت إليه من تطوّر وتطرقت إلى صناعة الحلي مروراً باستخراج المعادن ثم انتقلت بعد ذلك إلى حرفة الدباغة والخرازة وهي من الحرف المتعلّقة بتصنيع الجلود ثم تطرّقت إلى الحديث عن الغزل والنسيج مروراً بحرفة الخواصة، وهي تصنيع سعف النخيل ونسجه، ومن ثم تناولت بالبحث خياطة الملابس وصباغتها، وتعرّضت في نهاية الفصل إلى الأُجراء، وهم العمّال الذين يقومون بالأعمال المختلفة من حمالة وسقاية وغيرها مقابل أجر معين. وكان هذا آخر الفصول وتلته خاتمة البحث.

وإنه ليشرفني في هذه المناسبة أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذ المشرف الدكتور عبدالحليم عويس الذي وجدت منه كل عون ومساعدة، وكان لتوجيهاته ومتابعته لي الأثر الكبير في إنجاز هذا البحث، وحيث تابع هذا البحث خطوة خطوة ولم يكن يبخل عليّ بوقت ولا جهد، كما لا يفوتني أن أشكر عميد الكلية ووكيل الكلية السابق الأستاذ محمد عسيري

اللذين قدّما لي كل عون ممكن، وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور أكرم ضياء العمري الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وإلى الدكتور عبدالرحمن العثيمين رئيس مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة وإلى أساتذتي الأفاضل أعضاء قسم التاريخ الذين أفادوني في أثناء دراستي الجامعية أو في أثناء دراستي التمهيدية للماجستير. وأرجو الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم كما لا يفوتني أن أنوه هنا أنه قد تمت مناقشة هذا البحث لنيل درجة الماجستير من قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأجيز البحث بتقدير ممتاز وذلك في ١٤٠٥/٦/٢٨هـ، كما لا يفوتني أن أشكر كل من شارك في إخراج هذا الكتاب وبالخصوص العاملين في مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية في الدوحة والحمد لله أول الأمر وآخره.

المؤلف

عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري

الفصل الأول

(دراسـة تمهيديـة)

تعريف الحجاز وتحديده

- ا لمـراكـز الحضـارية
  - سكان الحجاز ـ العرب ـ اليهود ـ الموالي
  - الحِرفة والصناعة لغة
  - عصر الرسول ﷺ
  - موقف العرب من الحِرف والصناعات
  - موقف الإسلام من الحِرف والصناعات

الحـجـــاز

الحجاز في اللغة مأخوذ من (الحجز) وهو اسم للحاجز لغة وللبلد المعروف اصطلاحاً وسمي بذلك من الحجز أي الفصل بين الشيئين [١]، ويكاد الجغرافيون يتفقون على أن الحجاز سمي حجازاً لأنه يفصل بين شيئين أو بين منطقتين ولكنهم يختلفون في التحديد الجغرافي للحجاز، وقد قامت بحوث عديدة في محاولة لفهم التحديد الجغرافي للحجاز عند العرب [٢]، من خلال ما كتبه الجغرافيون المسلمون في العصور المختلفة .

والناظر في هذه التعريفات : يجد خلافاً شديداً بين مفهوم هؤلاء المؤلفين (للحجاز)، وفي تحديدهم لمناطقه ويجد تناقضاً غريباً يصعب تفسيره، إلاّ أنني أعتقد أن مردّ ذلك يرجع إلى أن هؤلاء المؤلفين قد كتبوا عن الحجاز في عصور مختلفة، فكان كل واحد منهم متأثرا بما يسود في عصره من تقسيمات إدارية تؤثر بالتالي على التعريف الجغرافي للمنطقة التي يكتب عنها، لذلك وجد هذا التناقض الغريب حتى أن بعض المؤلفين أضطر إلى نقل الأقوال والآراء التي تدور حول الحجاز وسردها جميعاً [٣]، فمن هذه الأقوال من جعل الحجاز هو الحاجز بين اليمن والشام وبين نجد وتهامة [٤] .

---

١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ت ٧١١، لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذي، دار المعارف بالقاهرة ج ٧٨٥/٢ . كذلك الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس ج٤ /٢٣، دار مكتبة الحياة بيروت .

٢) أنظر البحث الذي كتبه د. صالح أحمد العلي بعنوان (تحديد الحجاز عند المتقدمين) في الجزء الأول من السنة الثالثة من (مجلة العرب) والتي تصدرها دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض وقد صدر هذا العدد في عام ١٣٨٨هـ .
كذلك أنظر البحث الذي كتبه د. عبد الله الوهيبي، بعنوان : (الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب) من المجلد الأول من السنة الأولي، من مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض والذي صدر عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠ .

٣) أنظر، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان ج٢١٩/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٤) البكري الأندلس، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع تحقيق مصطفي السقاء، الطبعة الأولي القاهرة ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م ج١ /١٢ .

ومنهم من جعله الحاجز بين نجد وتهامة فقط، واعتبر مكة ضمن تهامة وأخرجها من الحجاز [1]، ومنهم من ذكر أن الحجاز سميت بذلك لأنها احتجزت بين الجبال ..

وقد تعددت الآراء واختلفت حول تحديد الحجاز اختلافاً كثيراً، فالبعض جعل فلسطين ضمن الحجاز، والبعض الآخر أدخل (أيلة) ـ (ايلات حالياً) على خليج العقبة ضمن الحجاز واستبعد بقية فلسطين [2] ومنهم من أوصل حدود الحجاز إلى جبلي (طي) قرب (حائل)، ومنهم من ذكر أن اليمامة تدخل ضمن الحجاز [3]، ولعل مردّ الاختلاف عند هؤلاء في تحديد الحجاز إلى اختلاف عصورهم وربما كان كل واحد يكتب عن حدود الحجاز الإدارية في عصره .

وقد أعجبني تحديد الحجاز عند أحد المؤلفين حيث يقول عن الحجاز : (وهو يقابل أرض الحبشة غربيه وبينهما عرض البحر فقط وأوله من مدينة أيلة المعروفة بالعقبة (إيلات حالياً) من منازل الحج المصري ومنتهاه مدينة سدوم، وهي من قرى قوم لوط، ومن غربيه جبل السراة الآتي ومسيرته نحو شهر وهو قطعة من جزيرة العرب [4] .

وتحديد الحجاز الإداري والجغرافي الحديث ليس ببعيد عن التحديد الجغرافي للكتب القديمة عند العرب، وقد حدده بعض المؤلفين المحدثين بقوله : (يحدُّ الحجاز من الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق البادية الكبرى، ومن الجنوب بلاد قبيلة بني مالك الكائنة بجبال السراة، المتاخمين لبلاد

---

[1]) الأصفهاني، الحسن بن عبد الله، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر ود. صالح العلي دار اليمامة للبحث، الرياض، بدون تاريخ ص ١٤ .

[2]) د. عبد الله الوهيبي، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، ص ٦٩ .

[3]) البلادي، عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ ج٢/٢٢٢ . وإبن فهد، محمد بن عبد العزيز، حسن القرى في أودية أم القرى مخطوط مصور رقم ١٠٧٠ ميكروفيلم مركز البحث العلمي جامعة أم القرى، ورقة ١٠ .

[4]) القيلوبي، شهاب الدين أحمد الشافعي، نبذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ الحجاز ومعالمه (مخطوط) بدار الكتب الوطنية بالقاهرة رقم ٢٤٩٢ تاريخ ورقه (٣) .

زهـران، وشمـالاً باديـة الشـام إلى تبـوك مـن الـداخل ومـن جهـة البحـر الأحمـر العقبة) [٥].

[٥] عمر رضا كحاله، جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ١٢١ الطبعة الثانية، مكتبة النهضة بمكة المكرمة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م - ص ١٣١ .

ويحاول الباحث تحديده بالميال فيقول :(والمساحة التقريبية للحجاز تبلغ زهاء (٧٠٠) ميل طولاً من الشمال للجنوب و(٢٥٠) ميل عرضاً من الشرق للغرب) [١] .

ولا شك في أن التحديد الإداري والجغرافي الحديث للحجاز يعتمد بالدرجة الأولى على التعريفات القديمة والحدود المعروفة لدى قدماء الجغرافيين العرب بالدرجة الأولى وتعتبر مكة قلب الحجاز، وهي المنطقة التي ظهر فيها الإسلام ثم انتشر في بقية المناطق في عصر الرسول ﷺ، وقد تفردت بأحكام خاصة لدى المسلمين عموماً ذكرها بعض الفقهاء، وكان لمكة والمدينة بالدرجة الأولى النصيب الأوفى من هذه الأحكام، وكان لبقية الحجاز أيضاً أحكام أخرى [٢] .

والحجاز له بيئة خاصة اختلفت عن بعض بلاد العرب، فهو يجمع السهول، الجبال، والمنخفضات، و(الحرات)[٣]، والأودية والصحارى كلها جنباً إلى جنب، فأنت تجد مكة منخفضة وتحيط بها الجبال، ويسودها الجو الحار، وتجد بجوارها الطائف مرتفعة فوق جبال السراة ومعتدلة الجو، وتجد السهول ناحية (بحر القلزم) البحر الأحمر وهي فقيرة النبات، ثم تجد بعض المناطق قرب المدينة غنية بنباتاتها، فكان هذا التباين والاختلاف في البيئات في الحجاز سبباً في وجود اختلاف الموارد، وبالتالي وقع اختلاف في المهن العامة لدى سكانه، أما فيما بين مكة والمدينة وشمال المدينة وشرقها فتسود بيئة صحراوية، تكثر فيها المراعي التي تعيش عليها الكثير من القبائل، وتوجد مراكز زراعية قوية في كل من خيبر، ووادي القرى، وتيماء، وذلك بسبب توافر المياه والأراضي الصالحة للزراعة في هذه المناطق،

---

[١] عمر رضا كحاله، جغرافية شبه الجزيرة العربية ص ١٢١ الطبعة الثانية، مكتبة النهضة بمكة المكرمة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م - ص ١٣١ .

[٢] انظر(أحكام الحجاز بعامة وأحكام الحرم خاصة) في كتاب أبي يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، الأحكام السلطانية، تعليق محمد حامد الفقي، الطبعة الثالثة دار الفكر بيروت ١٣٩٤هـ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

وقد كان لقلة الموارد في مكة وعدم ملاءمتها للزراعة دور كبير في اتجاه أهلها إلى التجارة، واعتمادهم عليها في معايشهم. كما أن هناك الكثير من القبائل التي توزعت في مختلف بلاد الحجاز وامتهنت الرعي والصيد، ولمناسبة ظروف بيئتهم لذلك اعتمدوا عليها في المعاش.

وقد كان لهذه البيئات دور كبير في اختلاف العادات والطبائع لدى سكان الحجاز، فأهل مكة اختلطوا بكثير من الغرباء، عن طريق التجارة، سواء أثناء أسفارهم، أو أثناء قدوم التجار والحجاج إليهم، لذلك اكتسبوا الكثير من الطبائع والعادات التي تميزوا بها عن غيرهم من سكان البلاد .

كذلك في المدينة كان لليهود نوع من التأثير على سكانها من العرب عن طريق اختلاطهم بهم .

أما الأعراب في الحجاز فكانوا أكثر انغلاقا من غيرهم لذلك كان في عاداتهم وطبائعهم نوع الجفاء والقسوة.

وقد وجدت العديد من المدن والقرى في الحجاز التي اعتبرت مراكز حضارية متطورة في ذلك الزمن وأهمها :-

المراكز لحضارية

مكة المكرمة :- وهي التي اعتبرت على مرّ الزمن عند العرب القاعدة الرئيسة لبلاد الحجاز على مرّ العصور، ورغم تحديد بعض الجغرافيين لها بأنها تهامية[1] إلاّ أنها في الواقع الحضاري والسياسي والاجتماعي اعتبرت قاعِدة الحجاز وأم القرى، وتقع مكة على واد تحيط به الجبال من كل جانب، وبها الكعبة المشرّفة مقصد العرب في الجاهلية، وقبلة المسلمين بعد ذلك، مما جعلها ينبوعاً حضارياً بقدوم الناس من كل مكان إليها، ومركزاً هاماً لنشاط أهلها التجاري وتنقلهم في البلاد طلباً للتجارة، ووقوعها في منتصف الطريق بين الشام واليمن، مما جعلها مسلكاً للتجار واكسب أهلها أهمية تجارية منذ أقدم العصور .

وقد كان يسكنها أشراف العرب وزعماؤهم من قريش ويرتبطون بروابط تجارية وعسكرية واجتماعية مع غيرهم من القبائل نتيجة للمصالح المتبادلة بين الجميع، كما تسكن بعض القبائل الأخرى بجوار مكة وحواليها، وبعضهم يسكن بداخلها إلاّ أن السيطرة كانت لقريش، وكانت بعثة محمد ﷺ قد بدأت من مكة، لذلك تملأ أخبارها في زمن الرسول ﷺ كتب التراث الإسلامي، أضعاف غيرها من البلاد الأخرى، وقد ورد ذكر لمكة في عدة آيات قرآنية منها قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[2] الفتح: ٢٤ الآية .

---

[1] محمود شكري الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب تعليق محمد بهجت الأثري، الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٤٢ هـ ج٩٤/١

[2] سورة الفتح آية ٢٤ .

المدينة المنَّورة ـ كانت المدينة تدعي في الجاهلية (يثرب) [1]، وتقع إلى الشمال من مكة في الطريق إلى الشام، وتبعد عن مكة حوالي ٤٩٧ كم، وعن ينبع ٢٧٥ كم، وتقع على ٣٦و٣٩ درجة طولاً، و٢٨و٢٤ درجة عرضاً [2].

وهي أرض تكثر فيها (الحرات)، ويوجد بها العديد من الأودية، وهي بلد زراعي بالدرجة الأولي، ويكثر فيها النخيل.

كما أن سكانها كانوا خليطاً من العرب من الأوس والخزرج، وجماعات من اليهود مختلفين، وعلى رأسهم بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وقد كان لهذا التنوع في السكان دور كبير في جعل المدينة ذات طابع عسكري مميز حيث تكثر فيها الحصون نتيجة الخوف المتبادل بين السكان لعدم وجود تجانس كامل يربطهم.

وقد كانت المدينة مهجر رسول ﷺ لذلك امتلأت صفحات الكتب بأخبارها وأُلّفَ عنها العديد من الكتب كما كانت عاصمة الإسلام الأولى بعد قيام دولته في المدينة في عصر الرسول ﷺ ثم في عهد الثلاثة الأوائل من الخلفاء الراشدين، وقد ورد ذكر للمدينة في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ﴿١٢٠﴾ ﴾ التوبة: ١٢٠ [3]. الآية

الطائف ـ هي أقرب المدن إلى مكة، وتقع في جبال السروات، فوق جبل غزوان، وقد اشتهرت الطائف بطيب هوائها وبرد مائها [4]، وهي بلد زراعي بالدرجة الأولى وتسيطر عليها قبيلة ثقيف [5]، وتجاورها في

---

[2] ورد هذا الاسم في القرآن الكريم آية ١٣ من سورة الأحزاب قوله تعالى (وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهْلَ يَثْربَ لا مُقَامَ لكُم فارجعوا) الآية.

[3] علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة، ص ١٣ شركة المدينة للطباعة جدة بدون تاريخ.

[4] سورة التوبة آية ١٢٠.

[5] ابن فهد، أبي الفضل محمد بن عبد العزيز، حسن القرى في أودية أم القرى، مخطوط ورقة ١٩ ز

[6] أبي عبيد البكري، معجم ما أستعجم ج٣، ٨٨٦.

الطائف هوازن، والطائف غني بمحاصيلها الطبيعية، وإنتاجها الزراعي والحيواني وفير جداً، حتى أن كثيراً من العرب كانوا يحسدون أهل الطائف على ما هم فيه من النعيم [١]، ومن أشهر أودية الطائف وادي (وج) [٢]، الذي ورد ذكره من خلال بعض الأحاديث في حصار الرسول ﷺ للطائف، وقد حاول الرسول ﷺ فتح الطائف بعد فتحه مكّة مباشرة، فحاصرها إلاّ إنه عاد إلى المدينة قبل فتحها، فقدم إليه أهل الطائف معلنين إسلامهم [٣].

وقد كانت الطائف مصيفاً لأهل مكة منذ القدم يتخذون فيها المزارع ويقدمون إليها للتنزه في الصيف فراراً من حرِّ مكة كما يقدمها بعضهم للصيد [٤].

خيبر :-

إحدى القرى الكبرى في الحجاز على عصر الرسول ﷺ وتقع إلى الشمال من المدينة المنورّة، على بعد حوالي ١٧١ كيلو متراً على الطريق إلى تبوك، وقد اشتهرت بزراعتها الغنية واشتهرت بإنتاج التمور وتصديرها منذ العصر الجاهلي [٥]، وكانت زمن الرسول ﷺ من أكبر مراكز اليهود في بلاد العرب، حيث كانوا يقيمون في خيبر [٦] وقد التجأ إليهم كثير من اليهود الذين أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة المنورّة [٧]، حيث كانت مشهورة بحصونها القوية وقد أستطاع الرسول ﷺ فتح خيبر في

---

[١] ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٤ / ١١ .

[٢] ابن فهد، أبي الفضل محمد بن عبد العزيز، تحفة اللطائف في غ=فضل الحبر بن عباس، ووج والطائف، مخطوط مصوّر ميكروفيلم تحت رقم ٢٠٩ تاريخ، جامعة أم القرى بمكة، ورقة (٤).

[٣] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب المعفاري، السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقاء، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ج٥٣٩/٤ دار الكنوز الأدبية

وابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، الطبقات الكبرى، ج٣١٣/١ دار صادر ـ بيروت.

[٤] البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢٢٤/٥ .

[٥] البلادي، معجم معالم الحجاز ج٧٠/٣ .
انظر الزراعة في الفصل الثاني من هذا البحث .

[٦] أبي عبيد البكري معجم ما أستعجم ج٥٢٣/٢ .

[٧] الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، المغازي، ج٣٧٥/١ كذلك ج٤٤١/٢ عالم الكتب بيروت .

السنة السابعة من الهجرة وطلب أهلها من الرسول ﷺ أن يبقيهم للعمل في النخيل مناصفة فأبقاهم على ذلك[1].

المراكز الأخرى :-

وقد وجدت بعض القرى والمراكز المدنيّة الأخرى التي كانت تعتبر ضمناً من الحجاز، وعلى رأسها وادي القرى إلى الشمال من المدينة المنوّرة، وهو الذي اشتهر بإنتاجه الزراعي خصوصاً التمور وكان يسكنه يهود، وقد نزلوا على [2] حكم الرسول ﷺ في السنة السابعة للهجرة بعد فتح خيبر فأقرّهم على العمل في المزارع مناصفة.

كذلك تيما التي اشتهرت بحصن الأبلق وكان يقطنها جماعة من اليهود، وقد صالحوا الرسول ﷺ بعد فتح خيبر[3].

وكذلك من المراكز الأخرى في بلاد الحجاز (أيله) التي أعتبرها البعض الحد الشمالي للحجاز، وتقع على خليج العقبة في المكان المسمى ميناء إيلات في فلسطين [4] حسب الاعتقاد وكان يقطنها جماعة من اليهود، وقد وصل إليهم نفوذ الرسول ﷺ وصالحوه وكتب لهم في ذلك[5].

وقد كانت (الشعيبة) هي الميناء الرئيسي لمكة في العصر الجاهلي[6].

كما أن (جدة) عرفت في أواخر عصر ﷺ، كميناء صغير، بدليل أن صفوان بن أمية هرب إلى جدة بعد فتح مكة فأدرك بأمان من الرسول ﷺ في (جدة) وهو يريد أن يركب البحر[7].

---

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/٣٣٧
الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣/٩٥ .
والبلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي، فتوح البلدان، مراجعة رضوان محمد رضوان ص ٣٧ دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ
[1]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٧ .
[2]) أبي عبيد البكري، معجم ما أستعجم، ج١/٣٢٩ .
[3]) والبلاذري، فتوح البلدان ص ٤٨ .
[3]) د. عبد الله الوهيبي، الحجاز كما حدّده الجغرافيون العرب ص ٦٩ .
[4]) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ج٤/٧٨ بيروت ١٣٩٨هـ .
[5]) ألأزرقي، محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس ج١/١٥٧ الطبعة الثالثة، دار الثقافة بيروت ١٣٩٩ هـ، وابن فهد، حسن القرى، مخطوط ورقة ١٣ .
[6]) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك ج٣/١٢٢ دار الفكر بيروت . ب، ت .

كما أن هناك العديد من القرى الأخرى في الحجاز التي لم يرد لها ذكر كثير في الكتب ربما لعدم اصطدامها بالإسلام في مبدأ ظهوره حيث أن المصادر كانت تتحدث في الغالب عمّا كان ذا علاقة بالرسول ﷺ وبالإسلام.

سكـان الحجـاز

أولاً : القبائل العربية :-

كان الحجاز من أكثر بلاد سكاناً في العصر الجاهلي وكانت الكثافة السكانية تتركز في بعض المراكز الحضرية والمدن الكبيرة، مثل مكة، والمدينة، والطائف، وخيبر، وغيرها من المراكز الأخرى، إضافة إلى تجمُّعات كبرى لبعض القبائل تنتشر في مناطق خاصة بها، وكانت أهم القبائل العربية في الحجاز هي :-

١. **قريش** :

وهم سكان مكة وأصحابها المسيطرون عليها، وهي قبيلة عدنانية تعود إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويغلب عليها التحَّضر، وهي تعيش في مكة بأمان الحرم، ولا يوجد عليهم ملك أو أمير وهم يكرهون ذلك، فقد حاول (عثمان بن الحويرث) أن يوّلى على مكة بأمر من قيصر فرفض القرشيون ذلك وذكروا أن بلدهم لا تخضع لحكم ملك[١].

وكانت تسود فيما بينهم أعراف معيّنة وأخلاق وعادات مختلفة تحمل الخير والشر معاً، وكانت بمكة بعض الزعامات القوية، ولها أحلاف قوية مع مختلف القبائل، وتتفرع قريش إلى عدة بطون تزيد على الثمانين فرعاً [٢].

٢. **قبائل الأُوس والخَزْرَج** :

---

[١] الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة ١٣٨١هـ ج ١/ ٤٢٥ .
والقلقشندى، أبي العباس أحمد، نهاية الأرب في أنساب العرب تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الثانية دار الكتاب العربي . بيروت ١٤٠٠هـ ص ٣٥٢ .

[٢] القلقشندى، المصدر السابق ص ٣٩٨ .

وهـي مـن القبائـل الأزد اليمانيـة، وذات صـلة قويـة بالغساسـنة في الشـام بحكـم رابطـة الأصـل، حيـث تعـود إلى الأزد بـن الغـوث [1] وهـي قبائـل متحضرة، حيث تسكن في المدينة وما حولها في شكل تجمعّات معينة، ويمتهن أهلها الزراعة والرعي، ويسود فيما بينهم السلام أحياناً والحرب أحياناً أخرى، وإن كانت طبيعة علاقتهم يغلب عليها التنافس والتنافر، وتتفرع القبيلتان إلى العديد من الفروع.

[3]) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الله، نهاية الأرب في فنون الأدب دار الكتب القومية بالقاهرة، ب، ت ج ٣١١/١ وأبي قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة . الطبعة الثانية، القاهرة ص ١٠٩ .

٣. **ثَقِيف** :

هي إحدى القبائل العربية المشهورة في بلاد الحجاز، ويرد بعضهم أصلهم إلى (هوازن) بينما يردهم الآخرون على (إياد)[١].

وتعتبر ثقيف من أغنى قبائل العرب وأحسنهم صناعة وزراعة، فقد كانوا سكان الطائف، واشتهروا بالزراعة الجيدة، والصناعة الممتازة حتى كانت بقية القبائل تحسدهم على ذلك، فوصفوا بأنهم (أغبط العرب عيشاً)[٢].

وقد ارتبطت ثقيف بقريش في مكة بروابط قوية جداً بحكم الجوار والتجارة المشتركة والمصالح المتبادلة، فكان كثير من القرشيين يقيمون في الصيف بالطائف عند ثقيف، وينزلون في الشتاء إلى مكة [٣]، لذلك كانت ترتبط ثقيف وقريش بروابط قوية ومتينة.

٤. **هَوَازِنْ** :

بطن من (قيس عيلان) من العدنانية[٤]، ومنازلهم قريبة من الطائف، ومنهم قوم بنو سعد قوم حليمة السعدية التي أرضعت الرسول ﷺ، ولقرب هذه القبيلة من الطائف كانت لها علاقة قوية مع ثقيف، ظهرت في أثناء غزوة (حنين) إذ اتفقت القبيلتان على حرب الرسول ﷺ في هذه المعركة.

٥. بنو كِلاَب :-

---

[١] القلقشندى، نهاية الأرب، ص ١٩٨ .
[٢] ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ١١/٤ .
[٣] د. عبد الجبّار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، الطبعة الثانية، دار الرفاعي الرياض ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص٢٤
[٤] القلقشندى، نهاية الأرب ص ٤٤٢ .
[٥] أبو عبيد البكري، معجم ما أستعجم، ج٤٦/١
[٦] (ضرية) شرق المدينة المنوّرة بمسافة غير قليلة وهي الحمى الذي حماه عمر رضي الله عنه ثم حماه الخلفاء من بعده . (أبو عبيد البكري معجم ما أستعجم، ج٨٥٩/٣) .
(الربدة) شرق المدينة وقريبة من نجد في طريق الحاج العرافي وهي التي جعلها عمر حمى لإبل الصدقة، (البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢٠/٤) .
(فدك) بينها وبين خيبر يومان من أعمال المدينة (أبوعبيد البكري، معجم ما أستعجم ج١٠١٥/٣)

وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكانت ديارهم شمال المدينة[1] حمى (ضرية) وحمى (الربدة) و(فدك)[2] وتنتشر قبيلة بني كلاب في هذه المناطق، حتى تبلغ أطراف الشام[3] وتعيش عيشة البادية حيث الاعتماد بالدرجة الأولى على الرعي، وهي منتشرة في مناطق واسعة ذات صلات قوية بالمراكز الحضرية في المدينة وخيبر وبالقبائل الأخرى في الحجاز وفي نجد .

٦. **جُهَيْنَةَ** :-

حي من قضاعة من القحطانية [4] لهم حلف مع أهل المدينة وحلف مع قريش وتقع مساكن جهينة على مقربة من المدينة في شرق البحر الأحمر في المناطق التي تقع غرب وادي القرى وشمال المدينة [5].

وقد ظلَّت هذه القبيلة على علاقة حسنة بالإسلام منذ ظهوره، وقد أسلم قوم منهم وارتحلوا إلى المدينة مهاجرين، وخطّ لهم الرسول ﷺ مسجدهم في نواحي المدينة[6] .

٧. **بلي** :-

وبلادهم تقع في شمال الحجاز، جنوب تبوك وشمال خيبر وشرق البحر الأحمر (بحر القلزم)، وتعرف ديارهم بـ (البلوية)[7] وتعتمد في معاشها على الرعي بالدرجة الأولى كغيرها من القبائل الأخرى .

٨. **بنو عُذْرَة** :-

---

٧) القلقشندى، نهاية الأرب ص ٢٢٢.

[1]) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٣٨/١ .
[2]) د. أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجري ص ١٠، الطبعة الأولي دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٨م .
[3]) عمر بن شبّه، أبو زيد عمر النميري البصري، تاريخ المدينة المنوّرة، تحقيق، فهيم محمد شلتوت، ج٦٣/١ الطبعة الأولى ـ نشر السيد حبيب محمود أحمد المدينة المنوّرة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٦م .
[4]) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ج٢٢/١ .
البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٢٥٢/١ .

وهي من قضاعة القحطانية [1] ومنازلهم قرب وادي القرى، وقد امتدت سيطرتهم على مناطق شمال وادي القرى ناحية تبوك حتى (أيلة) على العقبة، وبينهم وبين يهود وادي القرى حلف وعهد حتى لا يعتدوا على وادي القرى مقابل طعام يدفعه أهل الوادي إلى هذه القبيلة كل عام، وكانوا أهل قوة وبأس وقد أراد (الغساسنة) في الشام أن يغزوهم ولكنهم خشوا من قوتهم [2] فتركوهم .

٩. **غَطَفَان** :-

بطن من قيس عيلان من العدنانية، وهي قبيلة كبيرة تتفرع إلى عدة أقسام وتسكن مواطن واسعة تمتد من شرقي خيبر حتى تصل إلى قرب الربذة شرق المدينة، ولها عدة فروع منها :- أنمار، وذبيان، وفزارة [3]، وقد تكون فزارة أقربها إلى المدينة، فقد أعتدى أناس من فزارة على إبل الرسول ﷺ التي ترعي قرب المدينة واستطاع الرسول ﷺ ردها فيما يعرف بـ غزوة (بدر الأولى) [4] وقد كانت غطفان قبيلة قوية شديدة المراس أقبلت مع الأحزاب لغزو المدينة [5] ونهبها في عهد الرسول ﷺ ولكن الله خذلهم ومنع المدينة منهم .

١٠. **سُلَيم** :-

قبيلة عظيمة من قيس عيلان من العدنانية ومنازلهم شرق المدينة، في أطراف نجد، وهي ما يسمي بـ (حرة بني سليم)[6] ومنازلهم واسعة

---

[5]) النويري، نهاية الأرب ج٢٩٧/١
القلقشندي، نهاية الأرب ص ٣٥٩ .
٦) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم ج١٢/١ .

[1]) القلقشندي، نهاية الأرب، ج٣٨٨/٢، ٣٩٢ .
[2]) الواقدي، المغازي، ج١٢/١
[3]) الواقدي، المغازي، ج٤٤٣/٢ .
[4]) القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٢٩٥ .

وغنية بالمراعي، ويجاورهم من الجنوب (هوازن) وفي أرضهم معادن كان القوم يستخرجونها ويبيعونها [1]، وقد كانت سليم على علاقة قوية بالمدينة قبل الإسلام، وبعده حيث أسلم منها أقوام شهدوا بعض الغزوات مع الرسول ﷺ.

١١. **هُذَيل** :-

وهم قبيلة حضرية تنتسب إلى (هذيل بن مدركه بن الياس) [2] وهي قبيلة متسعة كثيرة البطون والنسبة إليها (هُذلي)[3]، ومنها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [4]، وقد كانت مساكن هذيل بين مكة والمدينة إلى القرب من قبائل سليم فيما يسمى باسمهم (سراة هذيل) [5] .

١٢. **جُذَام** :-

بطن من القحطانية[6] وقد كانت منازلهم بين الحجاز والشام لذلك تأثروا بأهل الشام فتنصر بعضهم، وكان هؤلاء يتعاونون مع الروم في حرب المسلمين في أوائل الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام[7].

١٣. **بنو خُزَاعَة** :-

قبيلة من الأزد من القحطانية، وقد كانوا يتولون الأمر في مكة إلى أن استطاعت قريش السيطرة على مكة أيام قصي بن كلاب[8] فأصبحوا يقطنون (مرّ الظهران، والتنعيم، والجعرانة، وعسفان) وتجاورها قريش في مكة [9]، وهي ذات علاقة قوية معها كما تجاورها

---

[5]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٢/٢٤٦ .
[6]) ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ .
[7]) القلقشندي، نهاية الأرب ص ٤٣٥ .
[8]) القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء المطبعة الأميرية بالقاهرة ب.ت ج٣٤٨/١ .
ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق د. ثروت عكاشة الطبعة الثانية، دار المعارف بالقاهرة ص ٢٤٩ .
[9]) د. أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز .....، ص ١٢ .
[1]) القلقشندي، نهاية الأرب ص ٢٠٥، وابن قتيبة، المعارف ص ١٠١ .
[2]) الواقدي، المغازي، ج٧٦٨/٢ .
[3]) القلقشندي، نهاية الأرب ص ٢٤٥، والزبيدي، تاج العروس ج٣١٧/٥ .
[4]) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الكوع الحولي إشراف حمد الجاسر ص ٢٥٩ دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

جهينة من الناحية الأخرى، وهم أول من أحضر الأصنام إلى مكة في الجاهلية [1]، وقد كانوا على حلف مع الرسول ﷺ بعد صلح الحديبية، فكان اعتداء قريش على خزاعة حلفاء الرسول ﷺ إخلالاً من قريش بهذا الصلح مما دفع الرسول ﷺ إلى غزو مكة وفتحها [2].

ومن خزاعة بنو المصطلق الذين غزاهم رسول الله ﷺ في السنة السادسة للهجرة [3].

❖ ❖ ❖

كما ورد في كتب الأنساب أسماء لقبائل أخرى، أو لفروع القبائل التي كانت تسكن الحجاز زمن الرسول ﷺ لكننا لا نجد المجال متاحاً لاستقصائها جميعاً فآثرنا ذكر أهم القبائل وأكثرها تأثيراً على مجريات الأحداث في ذلك الزمن، وذلك من خلال ما ورد عنها من نصوص تاريخية، ومن المعروف أن الحِرفة الرئيسة التي كانت هذه القبائل تعيش عليها هي الرعي بالدرجة الأولى، وذلك فيما يتعلق بالقبائل التي تعيش في الصحاري والمناطق المفتوحة، كما أن هذه القبائل منها ما هو متحضّر كقبيلة قريش، أو ثقيف، أو قبائل الأوس والخزرج، وهذه القبائل المتحضّرة تعتمد في معاشها على مصادر أخرى كالزراعة أو التجارة وقليل من الصناعة بالإضافة إلى الرعي !!

---

[5]) النويري، نهاية الأرب، ج٣١٧/١ .
[6]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٤ /٨٦ .
[7]) المصدر السابق، ج ٦/٤ .

ثانياً اليهود :-

كان هناك سكان آخرون من غير العرب في بلاد الحجاز وعلى رأسهم (اليهود) الذين كانوا ينتشرون في معظم بلاد الحجاز ولكنهم يكثرون في شمال الحجاز في المدينة وخيبر ووداي القرى، وقد أستقر أكثرهم في أحياء خاصة بهم في هذه المدن، فكانوا يملكون الحصون والقلاع والمزارع في المدينة نفسها أو بالقرب منها [1]، وكانت لليهود قوة اقتصادية وسياسية بالإضافة إلى توافر الحماية الكافية لهم عن طريق حصونهم الخاصة، التي اشتهروا بإقامتها في مختلف الأماكن التي ينزلون بها في الحجاز، وكانت لهم أحلاف قوية مع مجاوريهم سواء في المدينة أم خيبر أو وادي القرى، حتى أن بعض الباحثين يرجّح أن اليهود كان لهم قوة ونفوذ في شمال الحجاز تعادل قوة ونفوذ قريش في جنوبه [2].

وكان لليهود احتكاك قوي بالرسول ﷺ وبالمسلمين في المدينة بعد الهجرة النبوية، ونزلت فيهم العديد من الآيات القرآنية، وانتهى بهم المطاف في عهد الرسول ﷺ أما بالطرد من المدينة أو القتل نظراً لعداوتهم للإسلام والكيد له، وأشهر قبائل اليهود هي الطوائف التالية :

١- **بنو قينقاع :-**

وهم من أوائل اليهود الذين سكنوا الحجاز وكانوا يقيمون في المدينة المنوّرة يحالفون الأوس والخزرج، وكانت لهم حصون وأراض يزرعونها فكانوا يسكنون قرب وادي (بطحان) وهو من أخصب أودية المدينة المنوّرة، ولهم فيه مزارع وحصون كثيرة [3].

---

[1]) محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص ٤٣٧ بيروت ١٣٨٩ (انظر إلى البنايات العسكرية، في فصل البناء) .
[2]) د. صابر طعيمه، التاريخ اليهودي العام ج ٢ /١٤ الطبعة الأولي دار الجيل بيروت ١٩٧٥م .
[3]) د. أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، ص ٢٩٥ دار الفكر العربي (القاهرة بدون تاريخ) ص٢٩٥

وكانوا يملكون أشهر سوق تجاري في المدينة قبيل الهجرة النبوية، ويسمّى (سوق بني قينقاع) [1] وكانوا يسيطرون عليه، وهناك أفراد من هذه القبيلة يعملون بالتجارة، وبعضهم يعمل بمهنة الصياغة وبعض الصناعات، وآخرون يعملون بالزراعة.

وبنو قينقاع هم أول قبائل اليهود التي نازعت الرسول ﷺ في المدينة [2]، ولذلك كانوا هم أول قوم من يهود أجلاهم الرسول ﷺ من المدينة المنوّرة في السنة الثانية من الهجرة بسبب اعتداء أحدهم على إحدى نساء المسلمين وتوعدهم للرسول ﷺ [3].

٢- **<u>بنو النضير</u>** :-

هي إحدى قبائل اليهود الذين سكنوا المدينة المنوّرة وكانوا يقيمون في الجنوب الشرقي من المدينة على وادي (مذينيب) [4] ويمتلكون عدة مزارع وحصون في المدينة، ومن أشهر حصونهم حصن (كعب بن الأشرف) [5] الذي آذى رسول الله ﷺ فانتدب الرسول ﷺ جماعة من المسلمين لقتله فقتلوه [6]، وقد حاول اليهود من بني النضير قتل الرسول ﷺ بإلقاء حجارة عليه من على أحد بيوتهم حينما جاء إليهم يطلب منهم الاشتراك في دفع دية قتيلين قتلا خطأ حسب معاهدة الرسول ﷺ مع اليهود فحاصرهم الرسول ﷺ، وأجلاهم عن المدينة، وغنم أموالهم ومزارعهم، وقد أنزل الله تعالى فيهم آيات كثيرة من سورة الحشر منها قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن

---

[4]) انظر : الأسواق التجارية في فصل (التجارة) من هذه الرسالة .

[1]) د. علي حسن الخربوطلي، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م ص ٧٦ .

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣/٤٨ .

[3]) السمهودي، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج٣/١٠٧٦ الطبعة الثالثة دار صادر بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، وإبراهيم بن علي العباسي، المدينة بين الماضي والحاضر، المكتبة العلمية بالمدينة ١٣٩٢هـ ـ١٩٧٢م ص ٢٨ .

[4]) انظر البناءات العسكرية، فصل (البناء) .

[5]) ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/٥٥ .

يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر: ٢

٣- **<u>بنو قريظة</u>** :-

هي إحدى القبائل اليهودية الثلاث الرئيسة في المدينة المنوّرة، والتي عاصرت الرسول ﷺ في المدينة، وكانت استقرت في المدينة قبل ذلك وامتلكت الحصون والمزارع وعملت بالتجارة والزراعة وكانوا أهل ثروة كغيرهم من اليهود، ويملكون حصوناً منيعة [١].

وكان يهود بني قريظة آخر اليهود في المدينة حرباً للرسول ﷺ، ففي غزوة الأحزاب كان المسلمون محاصرين من قبل الأحزاب، وأظهر بنو قريظة الغدر من داخل المدينة ومالوا لحرب المسلمين مع الأحزاب، مما جعل المسلمين بين عدوين عدو يحاصرهم من الخارج (قريش والأحزاب)، وعدو يهددهم من الداخل (بنو قريظة)، فلما رحل الأحزاب عن المدينة حاصر الرسول ﷺ بني قريظة حتى نزلوا على حكم (سعد بن معاذ) الذي حكم بقتل الرجال وسبي النساء ومصادرة الأموال [٢]، فانتهت بذلك آخر قبائل اليهود ذات الكيان المستقل في المدينة المنوّرة.

٤- **<u>يهود خيبر</u>** :-

خير منطقة من المناطق الزراعية المنتجة في الحجاز في عهد الرسول ﷺ، وكان بها سبعة حصون قوية ومشهورة وكان يسكنها يهود يقومون بزراعتها [٣]، وقد كان اليهود في خيبر كثيري العدد والعدة قبيل ظهور الإسلام، وحينما أجلى رسول الله ﷺ يهود بني قينقاع ويهود

---

[١]) د. علي حسني الخربوطلي، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ص ٨٠ .

[٢]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢٣٩/٣ .
والطبري، تاريخ الأمم والملوك ج٥٦/٣.
والواقدي، المغازي، ج٥١٢/٢
وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤٢٦/٣ .

[٣]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٤٠٩/٢ .

بني النضير التجأ الكثير من يهود هذين الحيين إلى يهود خيبر، مما زاد في قوتهم العسكرية وعتادهم الحربي، فأصبحوا يشكلون خطراً على المسلمين في المدينة، وقد استطاع الرسول ﷺ أن يغزوهم في خيبر في السنة السابعة من الهجرة، وأن يقتحم عليهم حصونهم رغم قوتها ورغم مهارتهم الحربية، واستولى على بلادهم وأموالهم وسلاحهم الذي يبيّن مقدار ثروتهم وقوتهم وقد طلب يهود خيبر من الرسول ﷺ أن يبقيهم على المزارع وأن يكون الإنتاج مناصفة بين اليهود والرسول ﷺ فأقرّهم على ذلك [1].

٥- **يهود الشمال** :-

كان في شمال الحجاز مجموعات كبيرة من اليهود، يرتبطون ببقية يهود الحجاز وخصوصاً يهود خيبر لقربهم منهم، وكان أشهر اليهود في الشمال هم يهود (وادي القرى) وقد كانوا أهل مزارع ونخيل وهم يحالفون قبائل (بني عذرة) المجاورة للوادي فيدافعون عنهم مقابل طعام سنوي يدفعونه لهم [2]، وقد استسلم يهود وادي القرى للرسول ﷺ بعد أن قصدهم حين فرغ من خيبر، وقد عاملهم الرسول ﷺ كما عامل أهل خيبر [3].

كما كانت هناك جماعة من اليهود في (تيماء)[4]، وقد اشتهر منهم الشاعر اليهودي بلغة عربية (السمو أل بن عاديا) وكان بها حصنه

---

[4]) ابن هشام، السيرة النبوية ج٣/٣٣٧ ـ الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج٣/٩٥، والبلاذري، فتوح البلدان ص ٣٧ .
وابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، دار صادر بيروت لبنان ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ج٢/٢٢١ .

[1]) أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم ج١/٤٣ .

[2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٧ .

[3]) (تيماء) بليد صغير بين الشام ووادي القرى على طريق الحج الشامي، ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٢/٦٧ .

المشهور في العصر الجاهلي المسمى (الأبلق) [1]وقد ردد العرب قصة وفاء السموأل هذا مع أمريء القيس الكندي الشاعر المشهور.

وكانت هناك مجموعة من اليهود تسكن (أيلة) آخر الحجاز من الشمال صالحوا الرسول ﷺ لهم كتاب في هذا الصلح.

٦- **يهود متفرقون** :-

وإضافة إلى ذلك فقد كان هناك جماعة من اليهود في (فدك) وقد صالح أهلها رسول الله ﷺ على النصف من ثمارها فكانت خالصة له لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[2].

كما كان هناك بعض اليهود الذين انتشروا في مدن الحجاز كأفراد، أو جاليات صغيرة في كل من مكة والطائف كما وجد بعض اليهود في المدينة الذين ينتمون على قبائل أخرى غير التي ذكرنا.

ثالثاً الموالي :-

كانت تنتشر في مدن الحجاز وقراه مجموعة من السكان من أصول غير عربية، وهؤلاء هم المعرفون باسم (الموالي) وهم بالدرجة الأولى من الرقيق أو من اللاجئين إلى بلاد الحجاز من أماكن أخرى وقد كان هؤلاء الموالي مختلفين في الأصول فمنهم من يعود إلى أصل حبشي ومنهم من يعود إلى أصل فارسي ومنهم من يعود إلى أصل رومي.

وقد كان للموالي دور مهم في الحياة الاقتصادية لبلاد الحجاز في عصر الرسول ﷺ، فكان الصناع في مكة والطائف في الغالب من هؤلاء الموالي، وكانوا يعملون في الزراعة في كل من الطائف والمدينة

---

[4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٦٧/٢ .

[5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٢ .

وغيرها، ونجد في إحدى الآيات القرآنية تصريحاً بوجود هؤلاء الموالي في مكة وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٣ [1].

وقد ذكر المفسرون في مناسبة الآية أسماء العديد من الموالي الذين كانوا في مكة زمن الرسول ﷺ، وقد استجاب العديد من هؤلاء الموالي إلى الإسلام وعلى رأسهم بلال بن رباح الحبشي وصهيب الرومي وغيرهما، ومما يدل على كثرة الموالي في الحجاز أن الرسول ﷺ حين حاصر الطائف أعلن أن من ينزل إليه من الرقيق فهو حر فنزل إليه ما يقرب من ثلاثة وعشرين شخصاً من أرقاء الطائف فأعتقهم [2]، ولا شك أن هناك العديد من الأرقاء لم ينزلوا بعد الإعلان، إما لعدم استطاعتهم أو لتأثير ثقيف فيهم - مما يؤكد كثرة الموالي في الحجاز في ذلك العهد، ومن المعروف أن بعض الصناعات المحتقرة لدى العرب كانت وقفاً على الموالي تقريباً، وذلك مثل الحدادة، حيث كانوا يسمون الحداد (القين) والعبد (القين) أيضاً نظراً لارتباط مهنة الحدادة بالأرقاء [3] الموالي .

وهكذا نرى أن سكان الحجاز كانوا في الدرجة الأولي من القبائل العربية الأصيلة والمعروفة، وانتشرت هذه القبائل في مختلف مناطق الحجاز سواء في المدن أو القرى أو في الصحاري، حيث أن بعض هذه القبائل كانت قبائل متحضّرة رغم احتفاظها بالنظام القبلي.

---

[1]) سورة النحل، آية (١٠٣) .

[2]) إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين، جمع وتحقيق ودراسة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة شعبة السنّة تحت إشراف د. أكرم ضياء العُمري، العام الجامعي ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ج٤٨٢/٢ .

[3]) الزبيدي، تاج العروس ج٣١٦/٩ .

كما أن منطقة الحجاز في العصر النبوي كان يقطنها مجموعات من اليهود، تركزت بالدرجة الأولى في المدينة المنوّرة وخيبر ووادي القرى وتيماء وبعض المراكز الأخرى شمال الحجاز، وكانوا أصحاب مزارع بالدرجة الأولى، يضاف إلى ذلك عملهم في التجارة.

كما أن الموالي يشكلّون نسبة محدودة جداً من سكان المنطقة وقد تضافرت هذه الفئات الثلاث فأثرت على مجريات الأحداث في ذلك العصر.

الحِرفة والصناعة :-

الحِرفة : في الأصل مأخوذة من تنمية المال، يقال جاء فلان بالإحراف إذا جاء بالمال الكثير، وفلان يحرف لعياله أي يكسب بعمله من ها هنا وها هنا [1].

ويقال أيضاً (حرّف) لأهله واحترف، أي كسب وطلب واحتال وقيل الاحتراف هو الاكتساب أياً كان، والحِرفة جهة الكسب ومصدره [2].

وقد اختصر تعريف الحِرفة فقال: إنها هي (الطعمة والصناعة التي يرتزق منها وهي جهة الكسب) [3].

أما الصناعة :

فمصدرها الصُنع وهي حِرفة الصانع وعمله فيقال أمرأه صناع اليدين أي حاذقة وماهرة عمل اليدين، ورجل صنيع اليدين أي صانع حاذق [4] .

ويقال للرجل الحاذق بما يعمله ـ صنع، ومنه قول الشاعر :-

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع

وما يصنع الأقوام فاللّه أصنع [5]

---

[1]) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية، ج١٣٤٢/٤ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم لملايين بيروت لبنان .

[2]) ابن منظور، لسان العرب ج٨٣٩/٢ ـ وابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، جمهرة اللغة، ج٧٨/٣ . دار صادر بيروت مصور من الطبعة الأولى بحيدر أباد ١٣٤٥هـ .

[3]) الزبيدي، تاج العروس ج٦٩/٦ .

[4]) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢٥٠٨/٤ والجوهري، الصحاح، ج١٢٤٥/٣ ـ والزبيدي، تاج العروس ج٤٢١/٥ .

[5]) ابن دريد جمهرة اللغة ج٧٨/٣ .

وقيل إن الصنع هي إجادة الفعل ومنه قوله صنع إليه معروفاً، وهو الفعل الصادر عن الإنسان لا الحيوان والجماد و(الصناعة) هي حِرفة الصانع وعمله يسمي الصنعة [1] .

وقد وردت ألفاظ في القرآن الكريم تدل على معنى الصناعة منها قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ النمل: ٨٨ [2]

ويقال إن الحِرفة والصناعة تأتي بمعني واحد، يقول ابن منظور: (المحترف الصانع وفلان حريفي أي معاملي والمُحْرِف الذي نما ماله وصلح والاسم الحِرفة، والحِرفة الصناعة، وحرفة الرجل صنعته أو صنيعته، وحرف لأهله واحترف كسب وطلب واحتال)[3] فكأنه هنا جعل مصدر الكسب حِرفة أو صناعة بمعنى واحد فقد يطلق على الصانع محترف كما يطلق على المحترف للشيء بأن صنعته كذا وكذا فهما هنا بمعنى واحد.

ويفهم من هذه التعريفات أن الحِرفة والصناعة هي مصادر الكسب التي يجيدها الشخص من تجارة أو زراعة أو عمل يدوي معين سواء كان صناعة أم خدمات أخرى كالحمالة أو السقاية، وقد يدخل فيها الأعمال العلمية كتعليم القراءة أو احتراف الطب أو غير ذلك مما يختص الشخص بصنعه ويدر عليه المال.

---

[6]) الزبيدي، تاج العروس ج٥/٤٢١ ـ ابن منظور، لسان العرب ج٤/٢٥٠٨ .
[7]) سورة النمل، آية ٨٨ .
[1]) لسان العرب، ج٢/٨٣٩ .

عصر الرسول ﷺ:

حين يعنّ لنا الحديث عن زمن الرسول ﷺ : يتبادر إلى الذهن عدة أحداث تاريخية يمكن اعتبارها بداية عصر الرسول ﷺ ومن أهم هذه الأحداث المعتبرة في تحديد عصره (مولد الرسول ﷺ) وهذا المنحى جرى في عصور إسلامية متأخرة، وكان لهذه النظرة دور في الاحتفالات التي بدأت تظهر في عصور الظلام المتأخرة في التاريخ الإسلامي، حيث كان كثير من الناس يحتفلون بالمولد النبوي، وتؤلف لذلك الكتب والقصائد، وتنفق في هذه المناسبة الأموال في احتفالات ما أنزل الله بها من سلطان ولا ورد عن رسوله ما يقرها أو يؤيدها.

أما الحدث الثاني الذي يمكن أن يعتبر أيضا بداية لعصر الرسول ﷺ أو لعصر الإسلام فهو بعثة النبي ﷺ بهذا الدين الجديد، ونزول رسالة الله من السماء إلى خلقه في الأرض من خلال رسوله محمد ﷺ.

وفي اعتقادي أن هذا الحدث هو أهم الأحداث التي يعوّل عليها وهو التغيير الذي طرأ على وجه الأرض عامة، وعلى العرب ومن تبع هذا الدين خاصة، فهذا النور الذي ظهر وأضاء للناس طريقهم وهداهم السبيل الصحيح هو الحدث الذي غيّر وجه الأرض حقيقة، وليست الولادة النبوية في حد ذاتها هي التي فعلت ذلك كما يزعم بعضهم.

لذلك ترجّح عندي اعتبار بعثة محمد ﷺ بداية لعصر الرسول ﷺ.

أما الحدث الثالث الذي يعتبره البعض بداية للعصر النبوي فهو هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وإقامة الدولة الإسلامية الأولى في ربوع المدينة، وهذا الحدث لا يشك أحد في أهميته وتأثيره على مجريات الأحداث في العالم قاطبة في ذلك الزمن، إلاّ إنه في نظري لا يعدو أن يكون مرحلة معينة في تاريخ الدعوة الإسلامية سبقتها عدة مراحل أخرى قبل ذلك لا

يمكن الاستهانة بها [1]، وهي تشمل إعداد المهاجرين الأوائل إلى هذا البلد الطيب، وإعداد الأنصار أنفسهم لاستقبال هذه الهجرة، وكما هو معروف فإن الرسول ﷺ ظلّ في مكة ما يزيد على العشر سنوات يدعو إلى الإسلام ويهيئ لقيام دولته ويتعرض للأذى من قومه، ومن القبائل التي كان يعرض نفسه عليها في المواسم المختلفة، والمرحلة السابقة للهجرة كما هو معروف حفلت بأحداث وأخبار مهمة نقلتها لنا مصادر السيرة النبوية المختلفة بدرجات متفاوتة من الدقة، وهي أحداث لا يستهان بها لدارس السيرة النبوية أو عصر الرسول ﷺ، وهذا التحديد الزمني الدقيق قد لا ينطبق على الدراسات الحضارية مقارنة بغيرها من الدراسات، إذ أن الدراسة الحضارية قد تمتد سنوات قبل الزمن المحدد للدراسة إلاّ أنها ــ من ثم ــ تتركز بالدرجة الأولى في المدة الزمنية المحددة للبحث، ولقد كانت بعثة الرسول ﷺ ـ كما هو معروف قبل الهجرة بثلاثة عشر عام في سنة (٦٠٩م)[2] وكانت وفاته في السنة الحادية عشر للهجرة، في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول الموافق(٨ حزيران يونيو عام ٦٣٣م) [3].

ولقد كانت هذه الفترة قبل التاريخ مليئة بالأحداث الجسام التي غيّرت وجه العالم، فقبل ذلك كان العالم يتخبط في ظلام دامس، حيث كانت بلاد العرب تعيش في (جاهلية) كما تعارف على ذلك مؤرخو الإسلام فيما بعد حين سموا الفترة السابقة للبعثة النبوية (العصر الجاهلي)، والمعروف أنه كان في منطقة الحجاز بعض اليهود من أصحاب الديانة السماوية، إضافة إلى قلة من النصارى، كما وجد

---

[1]) أذكّر بأنه لا علاقة لتفضيل بعثة الرسول ﷺ كبداية للحضارة الإسلامية بتحديد الصحابة بداية التاريخ الإسلامي من الهجرة إلى المدينة المنوّرة، فتلك قضية وهذه قضية أخرى . وأنا مع تحديد الصحابة لتاريخ المسلمين بالهجرة النبوية لأنها بداية وجود دولة الإسلام المستقلة وكيانهم الخاص.

[2]) د. عبد السلام الترمانيني، أزمة التاريخ الإسلامي، مراجعة وتحقيق د. شاكر مصطفي، ود. أحمد مختار العبادي، الطبعة الأولى الكويت ١٤٠١هـ الجزء الأول المجلد الأول ص ٣٤٤ .

[3]) المرجع السابق نفسه ص ٢٩.

أفراد قلائل يعدون على الأصابع كانوا يبحثون عن الدين الصحيح دين إبراهيم، مما جعلهم يسافرون إلى بلاد كثيرة للبحث عن الدين الصحيح أمثال (ورقة بن نوفل) و(عثمان بن الحويرث) و(زيد بن عمرو بن نفيل) وغيرهم، وكانوا يعيبون على قريش عبادة الأوثان ويسفهونها ويعتقدون ببطلان عبادتها [1]، وكثيراً ما يقع النزاع بينهم وبين قريش بسبب إنكارهم عبادتها.

وقد كانت مكة المكرمة قبيل البعثة النبوية تتميز عن غيرها من الأماكن بأهمية خاصة عند العرب جميعاً، نظراً لوجود الكعبة المشّرفة فيها التي كان العرب يقدّسونها قبل الإسلام وكانوا يحجون إليها من كل مكان مما أكسب مكة مكانة عظيمة لا ينازعها عليها أي مكان آخر في بلاد العرب، بالإضافة إلى ذلك فإن مكانة مكة الاقتصادية قبل الإسلام كانت قوية جداً نظراً لثراء أهلها وخبرتهم التجارية القوية التي جعلتهم يتصلون بمختلف البلاد القريبة منهم في الحجاز، وفي الشام واليمن والحبشة وفارس، وربما غيرها من البلاد، وهذه الصلة التجارية والاقتصادية كانت تحمل معها صلات حضارية وتأثير متبادل على مدى الاتصال الممكن في ذلك الزمن مما عاد على مكة خاصة، وعلى الحجاز عامة بتأثيرات مختلفة لا يمكن للباحث إغفالها.

على أنه يجب علينا ملاحظة الإمكانات المتوافرة لبلاد الحجاز في عصر الرسول ﷺ ودراستها بدقة نظراً لأهمية ذلك في أية دراسة تاريخية للمنطقة.

[1]) ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي، المحبر، تصحيح د. ايلزة ليخنن شتيتر ص ١٧١، دار الآفاق الجديدة بيروت .

حيث يجد الباحث نفسه ملزماً باستحضار هذه الإمكانات ويقارنها بغيرها من البلاد الأخرى وكذلك الأزمان المختلفة.

ومما لا شك فيه أن بلاد الحجاز تعتبر قليلة الإمكانات والموارد مقارنة بغيرها من بلاد العالم القديمة كالشام ومصر واليمن والعراق وفارس وغيرها، على أننا إذا قارناها ببلاد العرب الأخرى نجد الحجاز أفضلها في الإمكانات باستثناء اليمن، كما أن بلاد الحجاز نفسها كانت تختلف مواردها من مكان إلى آخر ففي زمن الرسول ﷺ كانت التجارة تغلب على مكة، بينما كانت الزراعة والصناعة، إلى حد ما، تغلب على الطائف، كما تغلب الزراعة على المدينة خيبر ووداي القرى، ولم تكن تخلو هذه البلاد من حرفيين. أما بقية بلاد الحجاز التي تنتشر فيها القبائل المختلفة فكان الغالب عليها الرعي، فضلاً عن بعض النشاطات الاقتصادية، في حدود ما تسمح به البيئة.

وقد تميّزت بلاد الحجاز عن غيرها من بلاد العرب قبيل زمن الرسول ﷺ بعدم الخضوع للنفوذ الأجنبي، فكما هو معروف كانت هناك دولتان هما فارس والروم وكانتا تتجاذبان النفوذ في بلاد كثيرة حيث لم تخل أجزاء من بلاد العرب من آثار هذا التنافس، مما جعل له تأثيراً في مجريات الأحداث في اليمن ـ على سبيل المثال ـ وهي أبعد من ا لحجاز، إلاّ أن الحجاز لم تتأثر بهذا التنافس، مما أكسبها ميزة خاصة أبعدها عن التأثيرات السياسية الخارجية.

وكان للعادات الاجتماعية السائدة بين سكان الحجاز بفئاتهم المختلفة من بدو أو حضر تأثير كبير على الحياة في الحجاز، حيث أن هذه العادات تتحكم في تصرفات الأفراد وبالتالي توجه المجتمع عموماً نحو سلوكيات معينة، فكراهية العرب للصناعة واحتقارهم للصانع ـ

مثلاً ـ قلل من الصنّاع، وجعل هذه الحرف حكراً على أناس أرقاء أو مهاجرين من أماكن أخرى، مما جعلهم أصحاب ثروات ينافسون أهل البلد في المال، ولعل هذا ما دفع الرسول ﷺ إلى ترغيب الناس في العمل والكسب محاولاً تحطيم هذه العادات السيّئة والعمل على احترام العاملين والصنّاع.

وقد اعتبر العصر الجاهلي عصر الشعر والأدب، حيث كانت البلاغة ذات شأن كبير عند العرب، لذلك كانت معجزة الرسول ﷺ (القرآن) بالدرجة الأولى، وقد عجز الناس عن الإتيان بمثله أو بسور من مثله حينما تحداهم القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ هود: ١٣ [1].

[1]) سورة هود آية ١٣ .

موقف العرب من الحِرف والصناعات قبل الإسلام :-

كان لدى العرب في العصر الجاهلي بعض الأعراف والتقاليد التي ساروا عليها والتي أثرّت عليهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ومن جملة هذه الأعراف احتقارهم لبعض الحِرف وابتعادهم عنها، وقبولهم لبعض الحِرف الأخرى، فقد كانوا لا يأنفون من الرعي ولا من التجارة، أما الزراعة فقد كانت محترمة إلى حدٍ ما عند الحضر وأما البادية فكانوا يحتقرون الزراعة [1] ويأنفون منها.

أما الصناعة فتختلف، فمنها ما هو مقبول عندهم ويمتهنها الكثير منهم كالغزل والنسيج الذي ينتشر عند الحاضرة والبادية دون أدنى احتقار لمن يعمل ذلك عندهم.

كما أنهم على عكس ذلك يحتقرون التجارة ولكن بدرجة معقولة، ويحقرون بالدرجة الأولى من يمتهن (الحدادة) ويسمونه بالقين، فكانت كلمة القين وتعني (العبد الرقيق) مرتبطة بالحدّاد دائماً [2] مما يدل على مدى احتقارهم للحدادين حتى أنزلوهم منزلة العبيد الأرقاء فكانوا يشكلون طبقة وضيعة في المجتمعات الجاهلية في الحجاز، فلا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم، بل يأنفون من مخالطتهم والتحدث إليهم، وبالتالي ابتعد أشراف العرب عن الصناعات وسيطر عليها الموالي أو الوافدون الأجانب، مما جعل هذه الحِرف حكراً عليهم وأكسبهم الأموال الوفيرة، كما كان بعض العرب نتيجة لذلك يجلبون الرقيق الصناع ويستغلونهم في العمل للناس كي يجعلوا لهم الأموال.

---

[2]) انظر (فصل الزراعة)
[3]) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٣١/٢ .

وقد استغل اليهود في الحجاز هذا الجانب عند عرب الحجاز فكانوا يقومون بكثير من الصناعات، وبالتالي جمعوا الأموال الكثيرة عن طريق هذه الصناعات.

موقف الإسلام من الحرف والصناعات :-

حينما جاء الإسلام حاول الرسول ﷺ تغيير المفهوم الخاطيء لدى العرب عن الحرف والصناعات سواء بالتوجيه الكريم من الرسول ﷺ، أم بتطبيق الرسول ﷺ لبعض الأمور التي تخالف هذا المفهوم عند العرب حتى يرى أصحابه منه ذلك، وبالتالي يقتدون به وينقلون ذلك إلى الناس، فقد كان الناس لا يستجيبون لصانع إذا دعاهم إلى طعام ولكن الرسول ﷺ كان يخالف ذلك، فحينما دعاه (خيّاط) في المدينة على طعام إستجاب الرسول ﷺ لدعوته واصطحب معه أنس بن مالك رضي الله عنه[1]. ومن منطلق سلوك الرسول ﷺ في تغيير مفاهيم الناس الخاطئة فإن الرسول ﷺ دفع ابنه إبراهيم إلى زوجة (أبي سيف) وهو قين حداد في المدينة لكي ترضعه، فكان الرسول ﷺ يأتي إلى منزل أبي سيف الحداد وهو ينفخ من كيره وقد امتلأ البيت بالدخان [2] .

والرسول ﷺ بهذا العمل يريد أن يرفع من نظر الناس إلى المحتقرين الصناع حيث أسند إلى زوجة أحدهم إرضاع ولده الوحيد إبراهيم في الوقت الذي كان الناس يتخيرون لأولادهم المرضعات من القبائل الشريفة في البوادي.

كما أن الرسول ﷺ كان يعمل بيده الشريفة مع أصحابه الكرام حيث اشتهر أن الرسول ﷺ قد عمل مع أصحابه في بناء مسجد قباء وفي

---

[1]) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري ج١٣/٣ المكتبة الإسلامية استانبول تركيا، ١٩٧٩م .

[2]) ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الإستيعاب في أسماء الأصحاب (حاشية على الإصابة) ج٩٨/٤ الطبعة الأولى القاهرة ١٣٢٨هـ، وابن حجر، أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ج٩٨/٤ الطبعة الأولى القاهرة ١٣٢٨هـ .

بناء مسجده ﷺ كواحد من المسلمين [1] وكان يأبى على المسلمين أن يحملوا عنه الحجارة ويحمل كما يحملون، وقد عمل الرسول ﷺ مع المسلمين في غزوة الخندق فكان يعمل في الحفر حتى أنهم إذا عجزوا عن بعض الصخور قام ﷺ بتكسيرها بيده الكريمة [2].

وقد وضعت معظم كتب الحديث أبواباً عن الكسب والعمل باليد فقد وضع البخاري في كتابه الصحيح باباً سمّاه (باب كسب الرجل من عمل يده) [3].

كما وضع ابن ماجه في سننه (باب في الحث على المكاسب) و(باب في الصناعات) [4] ووضع الدارمي في سننه باباً سمّاه (باب في الكسب وعمل الرجل بيده) [5] وكل هذه الأبواب التي وردت وغيرها كان فيها العديد من الأحاديث التي تحث المسلمين على العمل واكتساب المال عن طريق بعض الحرف اقتداء بالأنبياء عليهم السلام ومن على شاكلتهم من الصالحين، مما كان له تأثير كبير على الصحابة رضوان الله عليهم حتى روت عنه عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم وكان يكون لهم أرواح فقيل لهم لو اغتسلتم)[6]

ومن الأحاديث التي وردت في الحث على الكسب والعمل باليد وطلب الرزق ما روى عن النبي ﷺ أنه قال: (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) [7] كما ورد عن

---

[3]) الصالحي الشامي، محمد بن يونس، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ج٣ تحقيق مصطفي عبد الواحد ص ٨٦، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - انظر فصل البناء .

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ /٤٤ .

[2]) والصالحي والشامي، سبل الهدى والرشاد، ج٤، تحقيق إبراهيم الترزي وعبد الكريم الغرباوي ص ٥١٨ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٩٩(انظر فصل البناء) .

[3]) ج٨/٣ .

[4]) سنن الدرامي، ج٢٤٧/٢ .

[5]) البخاري، الصحيح، ج٨/٣ .

[6]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج١٥/٩ مراجعة طه عبد الرؤوف سعد ومصطفي محمد الهواري والسيد محمد عبد المعطي مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٣٩٨هـ .

رسول الله ﷺ أنه قال: (ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده) [1] الحديث.

كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ إذا نظر إلى رجل فأعجبه قال هل له حِرفة؟ فإن قالوا: لا قال: سقط من عيني، قيل وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: المؤمن إذا لم يكن ذا حِرفة تعيش بدينه)[2] كما أن الرسول ﷺ كان يحث المسلمين على الكسب والعمل وأن يطلب الرجل الرزق له ولمن يعول، ونهى عن تضييع الأولاد أو من يعولهم، حيث قال ﷺ (كفى بالمرء إثماً أن يضيّع من يقوت[3]) وكان الرسول ﷺ في معرض حديثه عن العمل والحث عليه يذكِّر الصحابة بأن الأنبياء عليهم السلام وهم قدوة الناس كانوا يحترفون لأنفسهم ويقومون ببعض الحرف للكسب والتعفف عن أموال الناس فقد قال ﷺ: (ما بعث الله نبياً إلاّ رعى الغنم قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط ـ يعني كل شاه بقيراط) [4]

وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[5] .

كما رُوى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: (كان زكريا نجاراً)[6] وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان دائماً يضرب الأمثال للصحابة بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون لأنفسهم ويطلبون

---

[7] ابن ماجه، الحافظ بن عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وسنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢/٧٧٣ القاهرة ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م .

[8] الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأحوال الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمد رأفت سعيد، ج١/٣٤، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠١هـ .

[1] أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق محمد وحي الدين عبد الحميد، ج٢/١٧٨الطبعة الثانية القاهرة، ١٣٦٩ـ ١٩٥٠) .

[2] ابن ماجه، السنن، ج٢/٢٢٧ .

[3] البخاري، الصحيح، ج٣ ص ٩ .

[4] ابن ماجه، السنن، ج٢/٢٢٧ .

العيش عن طريق بعض الحرف أو الصناعات اليدوية دون أن يأنفوا من ذلك وكان لدى الصحابة استجابة لهذه التوجيهات الكريمة.

ويكاد العلماء المسلمون يجمعون على أن القيام بالصناعات فرض كفاية على المسلمين كما أنهم جعلوا لولي الأمر إلزام أرباب الصناعات القيام بأعمالهم [1].

وهذه التوجيهات النبوية الكريمة كلها توجه الأمة نحو العمل والكسب والاحتراف والقيام بما يحتاج إليه الناس من صناعات كما أنها تقوم بتعديل النظرة الخاطئة التي كانت المجتمعات الجاهلية تؤمن بها نحو العاملين في الصناعة.

[1]) ابن القيم، أبي عبد الله محمد بين أبيب بكر الزرعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية تحقيق محمد حامد الفقي ص ٢٤٧ دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .

الفصل الثانـي

(الحِـرف المعاشــية)

١- الصيد

أساليبه

أنواعه

صيد البحر

٢- الجمــع

٣- الرعي وتربية الحيوان

رعي الغنم

تربية الإبل

تربية الأبقار

تربية الدواجن

الحمير

المراعي

٤- الزراعة في الحجاز

العوامل المؤثرة فيها

المناطق الزراعية

العاملون بالزراعة وأجناسهم

أساليب الزراعة

الوسائل المساعدة

الإنتاج الزراعي

١- الصيد

يعتبر الصيد من الحرف المنتشرة في بلاد العرب في العصر الجاهلي، وفي صدر الإسلام، ويعده البعض رياضة، إلاّ انه كان بالدرجة الأولى لقصد المعاش، والاستفادة من لحوم الصيد، وذلك لحاجة أهل ذلك الزمان إلى الصيد كمصدر من مصادر العيش لكثير من الناس، كما كان هناك البعض من الناس يصيدون الوحوش [١] إما لدفع ضررها عن رعاياهم، أو للتباهي بذلك بين الناس، وقد وجدت هذه الحرفة في الحجاز، كما وجدت في غيرها من الأماكن، وقد عرفت العديد من الحيوانات التي صيدت في زمن الرسول ﷺ، كما عُرفت العديد من الطرق المستخدمة في الصيد.

وقد اشتهر أُناس في زمن الرسول ﷺ بالصيد وامتهانه، إما للعيش، أو رياضة مفضلة، وكان من هؤلاء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي اشتهر بأنه صاحب صيد [٢].

وقد وردت آيات كثيرة في الصيد وتركزت حول صيد المحرّم حيث يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنتُم حُرُمٌ) [٣] الآية .

كما دلت آيات أخرى على احتراف المسلمين للصيد، وأنه كان يصعب عليهم أن يروا الصيد أمامهم ويتركوه، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ليَبْلُونكُم الله بشيءٍ من الصَّيْدِ تنالُهُ أيْدِيكُمْ ورِمَاحُكُم ليعلم اللّهُ من يخافُهُ بالغيب فمن اَعْتدَى بعد ذلك فلهُ عَذَابٌ أليم) [٤].

---

[١] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب ١٢٤/٧ .
[٢] ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢٩٢/١، والصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ٤٤٣/٢ .
[٣] سورة المائدة ـ آية ٩٥ .
[٤] سورة المائدة ـ آية ٩٤ .

وقال تعالى في آية أخرى: (وإذا حَلَلْتُم فاصْطَادواْ) [1] الآية .

وهذه الآيات تدل على احتراف أهل الحجاز للصيد في أسفارهم وفي غيرها ، وأكدت عليهم هذه الآية عدم الصيد أثناء الإحرام، وهذا صعب عليهم، وقد عبر الله عنه بالبلوى فقال: (ليبلونكم الله) وهذا من أصعب الأشياء، وهو أن يرى صاحب الصيد صيدًا ويُمنَع من صيده.

وقد عرف الكثير من الصحابة بالصيد ، إلاّ أنه لم يعرف أن الرسول ﷺ صاد بنفسه ولكنه ﷺ كان يأكل ما يهدى له من الصيد [2].

وكانت الطائف وما حولها مكاناً جيدًا للصيد حيث كان سادات مكة يصعدون إلى الطائف ليصطادوا بها حيث تكثر الحيوانات والطيور فيما حول الطائف من أشجار[3].

وقد وجدت أحكام كثيرة للصيد ، تضمنتها كتب الحديث والفقه [4] وذلك بناء على ما رُوي عن الرسول ﷺ من تحريم بعض أنواعها ، ومن نهي الرسول ﷺ عن قتل الصيد إلاّ لمن يريد أكله ، وفي ذلك منع لمن يتخذ الصيد مجرد رياضة حيث يقتل الصيد ويدعه دون أن يكون في حاجة إلى أكله.

وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: (من قتل عصفوراً بغير حقه سأله الله عنه يوم القيامة ، قيل وما حقه؟ قال: أن تذبحه فتأكله) [5]، وقد جاء الإسلام بتشريعات جديدة في الصيد ، وكان بعض الصيادين حين يدخل في الإسلام يسأل الرسول ﷺ ما أُحلّ لهم من ذلك الصيد ، فمن هؤلاء (عدي بن حاتم) [6] و(زيد الخير) [7] اللذان سألا الرسول ﷺ حين

---

[5]) سورة المائدة ـ آية ٢ .

[1]) الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ج٩٩/٢ الناشر حسن جعنا، بيروت .

[2]) د. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية ص ٣٥ .

[3]) انظر مثلاً، مالك بن انس : الموطأ ص ٤٠٠ .

[4]) سنن الدرامي، : ج٨٤/٢ .

[5]) (عدي بن حاتم) الطائي ابن كريم طي المشهور حاتم أسلم في السنة التاسعة من الهجرة وكان نصرانياً قبل ذلك واشترك في الفتوحات لبلاد العراق وتوفي سنة ٦٨ هجرية ـ (ابن حجر) الإصابة ج٤٦٨/٢ .

[6]) (زيد الخير) هو زيد بن مهلك الطائي وفد سن تسع وأسلم فسماه الرسول، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة ج ١ /٢٠٢ .

قدما المدينة، عن الصيد بالكلاب و (البزاة) [1] فنزل قول الله تعالى: (يسألونك ماذا أُحِلَّ لكُم الطّيِّباتُ وما علَّمْتُم من الجَوَارِحِ مُكَلّبِين تُعَلِّمُونَهُن مما علَّمَكُم الله فكُلُوا مما أَمسَكْنَ عليكُم واذكُروا اسم الله عليه واتقوا إن الله سريعُ الحِسَاب)[2].

ولقد كانت الطائف وما حولها من أهم مناطق الصيد عند العرب حيث توجد بكثرة الحيوانات والطيور المختلفة، فكان أهل الطائف بالإضافة إلى أهل مكة الذين يقدمون للطائف من أجل الصيد يجيدون الصيد ويستفيدون منه ويفخرون به[3].

وكان البدو أهل صيد يحبونه ويعشقونه ولا يرضون به بديلاً، حتى أن الشاعر يقول:

وأكلُ يرابيعٍ [4] وضبٍّ [5] وأرنبٍ

أحبُ إلينا من سَمَانِي وتَدْرُج[6]

واليربوع من صيد البر حيوان صغير شبيه بالأرنب والفأرة إلاّ أنه أقلّ من الأرنب حجماً وأكبر من الفأرة وهو يتغذى على الأعشاب ولا يزال الناس يصيده.

---

٧) (البازي) نوع من الطيور الجارحة ينتمي إلى الصقور يعلّم للصيد، (أمين المعلوف) معجم الحيوان ص ١٠٢ دار الرائد العربي بيروت .

[8]) سورة المائدة : آية ٤ . تفسير ابن كثير : ج١٥/٢ .

[1]) د. عبد الجبار العبيدي : الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ٥٢ .

[2]) اليربوع ـ حيوان صغير يشبه الفأرة يعيش في الصحراء له ذيل طويل في كرفه شعر كثيف، قصير اليدين طويل الرجلين سريع العدو ما يزال الأعراب يصيدونه ويأكلونه (أمين المعلوف) معجم الحيوان، ص ١٣٧ .

[3]) (الضَّبْ) : حيوان زاحف خشن الذيل يعيش في الصحاري (يصيده الأعراب ويأكلونه ويكثر في بلاد نجد)، (أمين المعلوف، معجم الحيوان ص ٢٥٥ .

[4]) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢١٠/٢ .

أساليب الصيد :

اختلفت أساليب الصيد عند عرب الحجاز، حسب مقدرة الصائد، وحسب نوعية الصائد، فقد كان هناك كثير من طرق الصيد المعروفة عندهم، منها الصيد باليد دون استخدام آلة في ذلك، كان الصيادون يصيدون الأرانب بأيديهم بعد مطاردتها، دون استخدام شيء من آلات الصيد.

ومنها الصيد بالرمح وكما ورد في الأحاديث من أنه قد صاد به أبو قتادة ﷺ حماراً وحشياً [1]، وقد دلّ القرآن الكريم على الصيد باليد وبالرمح في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ ﴿٩٤﴾ ﴾ المائدة: ٩٤ [2] ومنها الصيد بالقوس، وقد كان حمزة ﷺ عم النبي ﷺ صياداً يصيد [3] بقوسه، وكان الصيد بالقوس يعتمد بالدرجة الأولى على مهارة الصيّاد، وقد اشتهرت الأقواس في الحجاز حتى نسبت إليها (الأقواس الحجازية) [4] وهي مشهورة عندهم بإجادة الرمي سواء في الحرب أو في الصيد.

كما عرف عند العرب الصيد بالبازي (الصقر)، وقد سأل عدي بن حاتم ﷺ النبي ﷺ عن الصيد به ؟ فأحلّه رسول الله ﷺ إذا كان الطائر قد عُلمّ [5]، كما سأل النبي ﷺ عن الصيد بالكلب المعلّم؟ فقال النبي ﷺ: (ما أمسك عليك فكل فإن أخذه ذكاته، وإن وجدت معه كلباً فخشيت أن يكون قد أخذه معه فلا تأكله فإنك إنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على غيره) [6].

---

[5]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج١٣٩/٨ .
[6]) سورة المائدة : آية ٩٤ .
[7]) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ٤٤٣/٢ .
كذلك السهيلي : الروض الأنف ٣٤/٢ .
[1]) د. عبد الرحمن رأفت الباشا : الصيد عند العرب، ص ٨٠، الطبعة الثالثة دار النفائس بيروت ١٤٠٣هـ .
[2]) سنن الترمذي : ٦٥/٤ .
[3]) سنن الدرامي : ٨٩/٢، سنن الترمذي :ج٦٥/٤ .

وقد نزلت الآيات في القرآن الكريم جواباً على أسئلة (عدي بن حاتم) ﷺ وهو من أهل (طيء) شمالي نجد وليس من أهل الحجاز وكثرة أسئلة عدي تدل على أنه كان يحترف الصيد ، وعلى وجود أناس آخرين مثله يحترفون الصيد وينتظرون إجابة الرسول ﷺ على أسئلته ، وكانت هذه الآيات جواباً على سؤاله عن الكلاب المعَلّمة ، وكانت الكلاب عند العرب تجيد الصيد بعد تعليمها [1].

كما كان الصيادون يستعملون بعض الحيل للصيد ، منها إيقاد النيران للظباء في الليل [2] ، ومنها الصفير لتطمين الصيد ومن ثم الانقضاض عليه [3] ، وقد كان الكثير من الصيادين المحترفين فرساناً في الأصل ، حيث يجيدون عملية المطاردة ، كما ورد في قصة أبي قتادة ﷺ ، وكما سنذكر في قصة أكيدر دومة الجندل ، إضافة لذلك فإن الصيادين استعملوا الفخاخ والشراك [4] ، وكانت تنصب للطيور وللوحوش فتعلق بها فيأخذها الصائد ، وقد عرفت في زمن النبي ﷺ [5] ، كذلك كان من الفخاخ وضع حفر في أماكن ترتادها الحيوانات وتُغْطَّى بحيث لا يشعر بها الصيد حتى يقع فيها [6] ، وكثيراً ما كانت تصاد بواسطة هذه الحفر الحيوانات المختلفة وعلى رأسها الوحوش ، حيث كانوا يصيدون الضبع ، ويجيز لهم الإسلام أكله [7] كما يعرف من الأساليب (اللُبَد) وهو أن يلبس الصائد شيئاً من جلد أو صوف ، فيثبت في مكانه لا يتحرك إذا رأى طيوراً أو سباعاً أو نعاماً أو غيرها ، فإذا اقتربت منه لم يتحرك حتى يكون في وسطها ويتحين فرصة

---

[4]) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ١٢٤/٧، ١٢٥ .
[5]) محمود شكري : الألوسي : بلوغ الأرب ١٦٣/٢ .
[6]) د. عبد الرحمن رأفت الباشا : الصيد عند العرب ص ٩٠ .
[7]) الزبيدي : تاج العروس : ج١٤٩/٧ .
[8]) الزيني : القاسم بن علي، القوانين السلطانية في الصيد ورقة ١٥ مخطوط مصور ميكرفلم تحت رقم ٤١ فروسية معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .
[9]) د. عبد الرحمن رأفت الباشا : الصيد عند العرب ص ٩٢ .
[1]) الشافعي : الأم، ص ١٦٤/١ .

فيمسك بشيء منها [1]، وقد كان بعض العرب في الجاهلية يصيدون الأسود بهذه الطريقة [2] فيضرب بهم المثل في الشجاعة وربما كانوا يأكلون السباع فقد ورد عن أبي رافع الصائغ وهو أحد الموالي المخضرمين أنه قال: (أطيب شيء أكلته في الجاهلية فذكر عضو من سبع) [3].

[2]) الزبيدي : تاج العروس، ج٢/٤٩٠ .
[3]) المصدر السابق ج٢ /٤٩٠
٤) ابن عبد البر : الاستيعاب، (حاشية على الإصابة) ج٤ /٦٩ .

أنواع الصيد البري :-

هناك العديد من الطيور والحيوانات التي كانت تصاد في الحجاز وكان أهل الحجاز يعرفونها ويصيدونها ، فمن الحيوانات التي كانت تصاد في الحجاز:-

١- الحمار الوحشي: وقد صاد الصحابي الجليل أبو قتادة ﷺ[١] عام الحديبية حماراً وحشياً ، والناس محرمون وهو لم يُحرم بعد ، فأكل منه النبي ﷺ[٢] ، وقد أصطاد الصحابة في غزوة خيبر بعضاً من حمير الوحش فأكلوها[٣] ، وعرفت الحمر الوحشية عند العرب بأنها تعيش في جماعات ، ولكل جماعة أمير يقودها[٤] وكثيراً ما كانوا يصيدون منها وهي مما يؤكل من الحيوانات عند العرب ، وكانت منتشرة في زمن النبي ﷺ بكثرة يدل على ذلك ذكر صيد الصحابة منها في عدة غزوات مع الرسول ﷺ.

٢- البقر الوحشي: هو من الحيوانات المعروفة في الحجاز ، وكانوا يصيدونه ويأكلونه ، وقد ورد في كتب السيرة أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد ﷺ على أكيدر بن عبد الملك ﷺ صاحب دومة الجندل وقال لخالد: (أنك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى إذا كان من حصن أكيدر منظر العين وأكيدر على سطح بيته باتت البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فنزل أكيدر مع نفر من أهله ليصطادوا البقر فأسره خالد[٥].

---

[٥]) (أبو قتادة) هو الحارث بن ربعي الأنصاري صحابي جليل كان يسمي فارس رسول الله شهد أحد وما بعدها مع النبي ﷺ توفي بالكوفة في خلافة علي رضي الله عنه (ابن حجر : الإصابة ج١٥٨/٤) .

[٦]) البخاري : الصحيح (فتح الباري)١٣٩/٨ .
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٧٣٩ .

٧) ابن القيم : زاد المعاد، ص ١٨٧ .

٨) د. عبد الرحمن رأفت الباشا : الصيد عند العرب ص ١٩٥ .

[١]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج١٤٦/٣ وابن هشام، السيرة النبوية ٥٢٦/٤ وابن الأثير : الكامل ج٢٨١/٢ .

وقد عرف العرب بقر الوحش بكثرة وأكثروا من أسمائها، مما يلفت النظر ويدل على كثرتها [1] وكانوا أكثر ما يصيدونها طرداً بالخيل وهي تصاد بالشراك الحديدية [2] إضافة إلى صيدها بالرماح والنبال.

٣- الغزلان أو الظباء:

الغزلان أو الظباء من الحيوانات التي تعيش في صحراء بلاد العرب على شكل قطعان ويوجد بعض منها في الحجاز، وكان العرب يصطادونها [3] ويأكلونها، ويعتبرون لحمها من أطيب لحوم الصيد، كما كانوا يحتالون عليها بالليل فيوقدون لها ناراً حتى [4] إذا رأتها قلّ نظرها فامسكوها بسهولة، وكان الصيادون يستعملون الشراك في صيد الظباء وكما قال الشاعر:

فإن كنت لا أرمي الظباء فإنني

أدس لها تحت التراب الدواهيا [5]

ويُصطاد الظبي بالسهام، أو بالشراك، كما يصاد بكلاب الصيد، وأكثر ما يصيد الكلب من الظباء الذكر [6].

وقد كان الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع الأسلمي ﷺ يصيد الظباء فيهدي لحومها لرسول اللّه ﷺ مجففة أو طرية، وقد افتقده

---

[2]) عبد الرحمن رأفت الباشا : الصيد عند العرب ص ١٩٨ .
[3]) المصدر السابق : ص ٢٠١ .
[4]) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب، ج١٢٤/٧ .
[5]) محمود شكري الألوسي : بلوغ الأرب ج١٦٣/٢ .
الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية، ص ٧٤٥ .
[7]) د. عبد الرحمن رأفت الباشا : الصيد عند العرب ص ٢١٢ .

رسول الله ﷺ فقال له يا سلمة: (مالك لا تأتيني بما كنت تأتي به؟ فقال سلمة يا رسول الله تباعد عنا الصيد فقال له الرسول ﷺ: أما أنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك إذا ذهبت وتلقيتك إذا رجعت [1]، وقد كان بعضهم يصيدون الغزلان وهو مُحْرِم [2] مما يدل على وجدودها قرب مكة أو في طريقها.

٤- <u>الأرانب</u> :-

الأرانب من الحيوانات المعروفة في الحجاز، وتكثر قرب المزارع والبساتين وكثيراً ما يصطادها الرعاة والمسافرون ويأكلونها وقد صاد أنس بن مالك رضي الله عنه أرنباً وكان مسافراً مع رسول الله ﷺ، فذبحها أحد الصحابة وأعطوا الرسول ﷺ فأكل منها [3].

وقد اصطاد أحد الرعاة قرب المدينة أرنبين فلم يجد حديدة يذكيهما فذكاهما بحجر وجاء إلى الرسول ﷺ يخبره بذلك ويسأله هل يصح له أكلهما؟ فأجاز له الرسول ﷺ أكلهما [4].

٥- <u>الضبّ</u>:-

وهو حيوان زاحف يعيش في الصحراء على أكل الأعشاب ويتميز عن بقية الحيوانات بأنه لا يشرب الماء وإنما يستنشق الهواء ويكفيه ذلك عن الماء كما أنه يتكاثر عن طريق البيض ويسكن جحوراً خاصة به [5] وقد أُهدي إلى رسول ﷺ من إحدى الأعرابيات اللاتي يأتين المدينة وقد أُكِلَ على مائدته ولكنه لم يأكل منه، وكرهه ولم يحرمه [6].

---

[1]) الفيروز أبادي : المغانم المطابة، ص ٢٦٩ .
[2]) الشافعي : الأم، ج ١ /١٦٤ .
[3]) سنن الدارمي، ج ٢/ ٩٣ ـ الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية ص ٣٤٢ .
[4]) سنن الدارمي : ج٢ / ٩٣ .
[5]) الزبيدي : تاج العروس، ج ١/ ٣٤٣ .
[6]) صحيح البخاري ج ١٣١/٣ .

وقد ذكر أن رجلاً من بني سليم، أتى بضب إلى النبي ﷺ وقال له والده: لا تسلم حتى يسلم هذا الضب، فكلّم رسول الله ﷺ الضب فأجابه فأسلم الرجل، ورجع إلى قومه فأتاه منهم ألف إنسان مسلمين [1]، ونحن هنا لسنا في مجال تأكيد الرواية حول صحة إسلام الضب من عدمه ولكن أردنا الاستئناس بها في وجود الضب وصيده قرب المدينة في زمن الرسول ﷺ.

كما كان العرب يصيدون (اليربوع) ويأكلونه خصوصاً الأعراب منهم ولا يزال بعض الأعراب يأكله حتى اليوم.

٦- الطيور:

عرف أهل الحجاز في عصر الرسول ﷺ صيد الطيور المختلفة التي تتوفر في بيئتهم، فقد كانوا يصيدونها بمختلف الطرق ويأكلونها، وقد نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي مخلب من الطير [2] وقد كانت العصافير تصاد وتؤكل في المدينة وغيرها من مناطق الحجاز كما كان يصاد قرب المدينة (الحُبَارَى) وهي من ألذ الطيور التي تصاد عند العرب وهي تصاد بالقوس، أو بالصقور [3] ولا يزال الأعراب يصيدون الحُبَارى بالصقور ويتنافسون فيما ذلك بينهم على ذلك، وهي من أحب أنواع الصيد إليهم، وقد أكل النبي ﷺ من لحم الحبارى [4].

كما عرف من الطيور الحمام وكانوا يصطادونه [5] قرب المدينة ويأكلونه.

٧- الوحوش :

---

[1]) البكري : بهجة النفوس والأسرار مخطوط ورقة ١٧
والأصبهاني : أبي نعيم أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، ص ٣٢٢ طبعة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م بدون مكان .

٢) الحُبارى : طائر بري بحجم الدجاجة متوسط القدمين طويل العنق تعرف بهذا الاسم في جميع البلاد العربية منذ القدم وحتى الآن وهي من أحب الطيور إلى الصيادين خصوصاً من يصيد بالصقور (أمين المعلوف)، معجم الحيوان ص ٤٢ .

[3]) عبد الرحمن رأفت الباشا، الصيد عند العرب ص ٢٢٨ .

[4]) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ / ٨٨ .

٥) ابن القيم المصدر السابق نفس المكان .

كان العرب في الجاهلية يصيدون الوحوش إما للأكل أو للفخر وحينما جاء الإسلام حرَّم الكثير من هذه الوحوش، وأحلَّ منها (الضبع) حيث أجاز للمسلمين أكله فكانوا يصيدونه حتى أن الفقهاء فصلوا في ما على المُحْرِم إذا صاد ضبعاً، وقد نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذي ناب من الوحوش ومخلب من الطير[1] مما قلل من صيد الوحوش عند عرب الحجاز.

٨

[1]) الواقدي : محمد بن عمر بن واقد، المغازي، تحقيق مارسدن جونس ج ٢ /٦٦١ عالم الكتب بيروت .

٨- صيد البحر :

يقول الله تعالى في سورة النحل: (وهو الذي سَخَّرَ البَحْرَ لتأكُلوا منه لحماً طرياً وتَسْتَخْرِجُوا منه حِلية تلْبَسُونَها وترى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيه ولِتَبْتَغُوا من فَضْلِهِ ولَعَكُم تَشْكُرُن) [١].

هذه الآيات التي وردت في القرآن الكريم أفادت أن الله سبحانه وتعالى قد سخّر البحر لبني الإنسان لكي يستفيدوا من خيراته وعلى رأسها صيد السمك الذي كان معروفاً لكافة الشعوب بمختلف أنواعه حيث قال الرسول ﷺ: (أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال) [٢].

كما أن صيد البحر كان مسموحاً به للمحرمين حيث قال تعالى: (أُحِل لكُم صيدُ البَحْرِ وطَعَامُه متاعاً لكم وللسَّيّارَة وحُرِّم عليكُم صَيْدُ البَر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تُحْشَرون) [٣].

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله قائلاً: (إنّا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال له الرسول ﷺ: هو الطهور ماؤه الحل ميتته) [٤].

وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ أكل السمك والحيتان، فقد ورد في كتب الحديث والسير أنه في السنة الثامنة من الهجرة بعث رسول ﷺ ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وأَمَّرَ عليهم أبا عبيدة بن الجرّاح، فاتجهوا ناحية البحر ونفد زادهم فرمى إليهم البحر حوتاً ميّتاً فأكلوا منه حتى شبعوا وأكلوا منه ثلاثة أيام وكان كبيراً جداً، فقد نصب أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فيمر الراكب منه، وعند عودتهم إلى

---

[١]) سورة النحل، آية ١٤ .
[٢]) ابن القيم : زاد الميعاد ج ٣/ ١٧٠ .
[٣]) سورة المائدة : آية ٩٦ .
[٤]) سنن الدارمي : ج ٢ /٩١ .
أنس بن مالك: الموطأ ص ٤٠٣ .

المدينة احتملوا منه لرسول الله ﷺ فأكل منه، وقال: كلوا رزقاً ساقه الله إليكم [1].

وقد تحدث الباحث (محمد عزة دروزه) عن صيد البحر فقال: (إن صيد البحر مما يعول العرب عليه في معايشهم ويتخذون منه صناعة ومرتزقاً) [2] مستدلاً على ذلك بما ورد في القرآن من آيات عن البحر. كما أن باحثاً آخر يقول عكس كلامه فقد قال جواد علي: (لم يرد في الكتابات الجاهلية ما يفيد بدخول أهل العربية الغربية البحار والأخبار الإسلامية لا تشير إلى ذلك، بل الذي منعهم منها أن أهل الحجاز لم يكن لهم نصيب في البحر) [3] وهذا الكلام يناقض كلام محمد عزة دروزة وقد يكون إلى الصحة أقرب، ولكن يبدو أن القليل من الناس كانوا يصيدون في البحر في الحجاز بدليل الرجل الذي سأل النبي ﷺ عن الوضوء من ماء البحر وفي الواقع لم أعثر على نصوص يمكن الاعتماد في معرفة مدى ما كان لصيد السمك من دور في أرض الحجاز زمن الرسول ﷺ، ولكن كانت هناك بعض المواضع التي اشتهرت بصيد السمك وهي قريبة من الحجاز وقد اتصل أهلها بالرسول ﷺ وتعاهدوا معه، ففي غزوة تبوك أتي النبي ﷺ صاحب (أيله) فصالح الرسول ﷺ وأعطاه الجزية وكتب له الرسول ﷺ كتاباً نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا منة الله ومحمد النبي رسول الله إلى يمنة بن رؤبة [4] وأهل أيله سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث

---

[1]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ /ص ١٠٥ .
وابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٢ ص ٢٣٣ .
وسنن الدارمي : ج ٢ /٩١ .
[2]) محمد عزة دروزه : عصر النبي ص ١٢٢، الطبعة الثانية دار اليقظة بيروت ١٣٨٤ هـ .
[3]) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ٢٥٩/٧ .
[4]) هو زعيم أيله (السهيلي)، الروض الأنف ج ٤/ ١٧٨ .

منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقاً من برٍّ وبحر)[1].

ومن هذا النص نتبين أن أهل أيلة كانوا أهل صيد وركوب بحر وأعطاهم الرسول الأمان بعد ما أدّوا ما عليهم من جزية.

ومن موانئ الحجاز المشهورة ميناء (الجار) وهو ميناء المدينة المنوّرة [2] ولا يستبعد أن يكون هناك بعض الصيادين في (الجار) نظراً لأنه ميناء يستقبل السفن القادمة من الحبشة ومن مصر وأكثر ما اشتهر هذا الميناء في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، وقد عرف على عهد الرسول ﷺ جمع (العنبر) وهو طيب يلقيه البحر على الساحل بعد أن تقذفه الأسماك ويأخذه الناس ويبيعونه[3].

---

[5]) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ٥٢٥/٤ .
[1]) السمهودي : وفاء الوفا، ج ١١٧٣/٢ .
[2]) أبو عبيد القاسم بن سلاّم : الأموال، ص٤٣٤ .

٢- الجمـــع

كـان الجمـع والالتقـاط مـن الحـرف الأساسـية لـدى عـرب الحجـاز فقـد وجـد في بيئـتهم مـا يمكـن الاسـتفادة منـه في سـد الحاجـة الخاصـة للشـخص أو ببيعـه وأخـذ ثمنـه وكـان علـى رأس الأشـياء الـتي تجمـع ويسـتفاد منهـا (الحطـب)، وكـان مصـدر رزق لـبعض النـاس، حتـى أن الرسـول ﷺ قـال: (لأن يأخـذ أحـدكم أحـبُلاً فيأخـذ حزمـة مـن حطـب فيبيع فيكـف اللّه بهـا وجهـه خير مـن أن يسـأل النـاس أعطي أم منـع) [١]. وكـان هـذا النـوع مـن الإحـتراف لا يتطلـب وجـود رأس مـال معـين، بـل لا يحتاج الرجل فيه إلى أكثر من فـأس وحبل، وقـد لا يحتـاج إلى هـذا في بعض الأنواع من الجمع.

وجمع العشب وبيعه للصاغة أو غيرهم من موارد الكسب، وهو معروفٌ في المدينة زمن الرسول ﷺ وكان هناك من الصحابة من يجمع (الإذخر) ويبيعه [٢]، وقد كان الرسول ﷺ حين فتح مكة حرم قطع شجرها إلاّ الإذخر [٣] وهو مما يتخذ للبيوت وللقبور في مكة ويجمع من الحرم ومن غيره.

وقـد وضـع البخـاري بابـاً في صـحيحه وسمّـاه بـاب(بيـع الحطـب والكـلأ)[٤]، وكـان جماعـة مـن الأنصـار يحتطبـون الحطـب ويبيعونـه ويشترون بثمنه طعاماً يتصدقون به على أهل الصفّة[٥]، وكان الرسول ﷺ يأمر المحتاجين بالاحتطاب والبيع فهو خير من المسألة، فقد جاءه أحد الأنصار فشكى إليه الحاجة فقال له الرسول ﷺ: (انطلق وأحضر ما

---

[١]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ١١٩/١٠، ومالك بن أنس، الموطأ ص ٨٤٧ .
[٢]) انظر ابن حجر فتح الباري ج ١٠ /١١٩ (والأذخر) هو نبات معروف في مكة يستفاد منه في إشعال النار، وفي قبور الموتى وفي تسقيف المنازل .
[٣]) البلاذري : فتوح البلدان ص ٥٧ .
[٤]) البخاري : الصحيح (فتح الباري) ج ١٠ /١١٨ .
[٥]) د. أكرم ضياء العُمري : المجتمع المدني في عهد النبوة، القسم الأول ص ١٠١ .

تجده في بيتك، فجاء الأنصاري ببساط وقدح فباعهما الرسول ﷺ بدرهمين وأعطاه إياهما وقال له اشتر بدرهم طعاماً لأهلك وبدرهم فأساً ثم ائتني ففعل ذلك ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال له: (انطلق إلى الوادي واحتطب ثم ائتني بعد عشرة أيام) ثم أتى هذا الأنصاري بعد الأيام العشرة فقال للرسول ﷺ: لقد بورك لي فيما أمرتني به، فقال له النبي ﷺ: هذا خير لك من أن تأتيني يوم القيامة في وجهك نكتة من المسألة [1].

وكان عرب الحجاز في الجاهلية وبعد الإسلام يعرفون طريقة صنع الفحم من الحطب ومن الأشجار بإشعال الحطب ثم إطفائه بطريقة خاصة بحيث يبقى لديهم الفحم ويستفيدون منه في الإيقاد [2].

وكان الجمع في الطائف أكثر منه في أي مكان في الحجاز، ففي الطائف مصادر عديدة للجمع وذلك لاعتدال جوه، وكثرة أمطاره، وبالتالي كثرة الأشجار والغابات فيما حوله، وكان مما يجمع التين البرّي ويسمي الحَمَاط ويكثر شجره في أودية الطائف [3] وفي جباله وثمرة هذا النوع من التين أصغر قليلاً وأشد حمرة من التين المعروف، وشجره من الأشجار الطبيعية التي لا تحتاج إلى زراعة ولا عناية، ويباع ثمره في الأسواق ويمكن تجفيفه [4] كالتمر ويتعرض جامعوه إلى مخاطر جسيمة نظراً لأن الحيّات تفضل سكن الحماط وتكثر في شجره [5].

كما كان مما يُجمع (الكمأة) وهي مما يخرج من الأرض بغير زرع ولا ورق لها ولا ساق وتكون مخفية تحت الأرض، وتسمى جدري الأرض وهي من فصيلة النباتات الفطرية وتتشقق عنها الأرض في وقت معين من أيام الربيع فيراها الناس فيأخذونها وأكثر من يجنيها أهل

---

[6]) أنظر ـ الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية ص ٧١٦ .
[1]) جواد علي : المفصّل ج ٧ /٩٢، ٩٣ .
[2]) الزبيدي : تاج العروس، ١٢١/٥ .
[3]) جواد علي : المفصّل ٧ /٧٨ .
[4]) الزبيدي : تاج العروس، ج ٥ /١٢١ .

البادية [1]، ومما قاله الرسول ﷺ عنها أن ماءها دواء للعين [2]، كما كان هناك أنواع خاصة من الأشجار أو النباتات يجنيها الناس ويبيعونها ليستفاد منها في أشياء مختلفة ومنها:

(المرَّخ) و(العِفار) وهي من أنواع الشجر التي يتخذ منها الزناد لإشعال [3] النار وهما أحسن الأشجار في هذا المجال فقد قال الشاعر عنهما:

إذا المرخ لم يور تحت العفار

وظنّ بقدر فلم تعب [4]

ومن الشجر (الشْوحَطْ) و(النُّبْع)، وهما من أنواع الأشجار التي تنبت في جبال السروات وتصنع منها القسي وهي من أجود أنواع القسي [5] [5] ويفضلها الرماة على غيرها.

ومما كان يجمع ويستفاد منه ثمر (الحَنْظَلْ) [6]، حيث يؤخذ الحب من جوفه وينقع بالماء لمدة طويلة حتى تذهب مرارته ثم يجفف ويؤكل كطعام للمحتاجين، كما يؤكل للتسلية عند الكثيرين وهو يشبه (اللبّ) المعروف الآن ويسمى (هُبيد) وكان معروفاً في الحجاز غير أن قريشاً كانت تأنف من عمله، فكانوا يقولون عن قريش إنهم (لم يكونوا يهتبدون الهبيد) [7] ولا يزال هذا العمل معروفاً في بعض القرى حتى الآن ويسمى الناتج منه (الهبود) ويؤكل للتسلية.

ومما كان يجمع من الشجر (الأراك) وهو من شجر الحمض طيب الرائحة ويستاك بفروعه وبعروقة [8] ويؤخذ منه (السواك) المعروف، وقد

---

[5]) ابن القيم، زاد المعاد ١٨١/٣ .
[6]) البخاري : الصحيح (فتح الباري) ج ٢١ / ٢٨٢ .
[7]) محمود شكري الألوسي : بلوغ الأرب ج ٢ ص ١٦٨ .
[8]) الزبيدي : تاج العروس ج ٢ ص ٢٧٨ .
[1]) الزبيدي : تاج العروس ج ٥ ص ١٦٥ ـ ١٦٦ .
[2]) الحنظل : شجر شبه شجر البطيخ وثمر يشبه ثمره إلاّ أنه أصغر منه بكثير وهو شديد المرارة حتى ضرب به المثل .
[3]) محمود شكري الألوسي : بلوغ الأرب ج ٢٤٤/١.
[4]) الزبيدي : تاج العروس ٩٩/٧ ـ جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ٨٤/٧ .

كان الرسول ﷺ يحض على السواك [1] لذلك زادت قيمة هذا الشجر بعد الإسلام نظراً لأنه أحسن الأشجار وأطيبها للسواك، وكان يكثر بعرفات قرب مكة حتى أُطلق على مكان منها اسم (ذات أرواك) [2] ويوجد في أماكن أخرى كثيرة في الحجاز حيث يوجد في كثير من الأودية قرب الطائف، ولهذا الشجر ثمر طيب يسمى (الكُبَاثْ) وقد جمعه الصحابة } وكان معهم الرسول ﷺ فقال لهم: عليكم بالأسود فإنه أطيبه [3].

الجراد :-

كان مما يجمع عند العرب في الحجاز ويستفيدون منه استفادة كبيرة في الأكل فقد كانت الحاضرة والبادية تأكله [4]، وكان يأتي بكميات كبيرة وحين جاء الإسلام أقرَّ الناس على أكله، فقد ورد في الحديث قول النبي ﷺ: (أحلّت لنا ميتتان ودمان الحوت والجراد، والكبد والطحال) [5] ومما يدل على كثرة الجراد والاعتماد عليه ما ورد ورد في الصحيحين عن عبد الله بت أبي أوفى قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد)[6].

وإضافة إلى ذلك فقد كان جمع العسل من الأشجار والكهوف من الحرف المعروفة بالطائف، والتي اشتهرت بكثرة مناحلها حتى كان العسل من كثرته في الطائف يصدر إلى المناطق الأخرى في الحجاز[7].

---

٥) سنن الدارمي : ١٧٤/١ .
٦) الزبيدي : تاج العروس، ٧-٩٩ .
٧) إبن القيم : زاد المعاد ٣ /١٨٣ .
٨) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ٩٦/٧ .
١) ابن القيم : زاد المعاد، ج ٣ /١٧٠ .
٢) البخاري، الصحيح : فتح الباري ٢٩/٢١ .
ابن اليم : زاد المعاد ١٨٨/٣ .
٣) د. عبد الجبار منسي العبيدي : الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ٥٣ .

وقد كان للإسلام دور كبير في تشجيع جمع العسل وتصفيته، وتربية النحل أحياناً وذلك انطلاقاً من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية فقد سمى الله تعالى إحدى سور القرآن (النحل) كما أنزل الآيات في ذلك إذ قال تعالى (وأوحى ربك إلى النحل أن أتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) [1] .

وقد حثّ الرسول ﷺ على استعمال العسل للمرضى [2] وورد ذلك في عدة أحاديث وكان أهل الطائف بعد إسلامهم يؤدون إلى الرسول ﷺ قربة عسل عن كل عشر قرب [3] فلما تُوفي الرسول ﷺ انقطعوا عن أدائها أدائها فكتب عامل الطائف إلى عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك فأمرهم أن يؤدوا ما كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ، وفي هذا دليل على كثرة إنتاج الطائف للعسل زمن الرسول ﷺ حتى كانوا يقيسونه بالقرب.

٣- الرعي وتربية الحيوانات

يقول الله تعالى في سورة النحل:

---

[4]) سورة النحل آية ٦٨ ـ ٦٩ .
[5]) ابن القيم : زاد المعاد ٧٩/٣ .
[6]) البلاذري : فتوح البلدان، ج ١ ص ٦٨ .
وأبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج ص ٦٠ الطبعة الخامسة المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٦هـ .

(والأنعام خَلَقَهَا لكمُ فيها دفءٌ ومنافِعُ ومنهَا تأكُلُون، ولكم فيها جَمَالُ حِينَ تُريحُون وحين تَسْرَحُون، وتَحْمَلُ أَثْقَالَكُم إلى بَلَدٍ لمَ تَكُونُوا بَالِغيه إلاّ بشِق الأنفس إن رَبّكُم لرءُوفُ رحيم، والخيْلَ والبِغَال والحَمِير لِتَركَبُوهَا وزِينةً وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ)[1].

هذه الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم في سورة النحل تدل بالدرجة الأولى: على الفوائد التي دفعت الإنسان إلى الاعتناء بتربية الحيوانات أو (الأنعام) وهي ما يفيد من الحيوانات.

ومما لا شك فيه أن الاعتناء بتربية الأغنام ورعيها أو الإبل أو غيرها من الحيوانات كان من أهم الحرف التي عرفتها بلاد العرب في عصر الرسول ﷺ بل نكاد نجزم أنها كانت أهم حرفة عرفها العرب، وتفوق الزراعة انتشاراً وكثرة العاملين بها، فمختلف قبائل العرب في الحجاز وغيرها كان اعتمادها في الكسب بالدرجة الأولى عن طريق رعي الماشية، وتأتي الأغنام منها في المقام الأول، والإبل في المقام الثاني، وسنتناول بالتفصيل كل نوع منها على حدة، متعرضين للعاملين فيها، ومدى انتشارها، بالإضافة إلى الفوائد المجنية منها وما يتعلق بأساليب العناية بها وما إلى ذلك.

رعي الغنم:-

يعتبر رعي الغنم من الحرف الرئيسة في حياة الناس منذ القدم، وقد ارتبط رعي الأغنام في أذهان الناس بالنبوة والأنبياء، حيث أن الأنبياء كانوا رعاة أغنام قبل أن يرسلهم اللّه للناس، ومروا بتجربة رعي الغنم واستفادوا منها.

[1]) سورة النحل من آية ٥-٨ .

فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بعث الله نبياً إلاّ رعى الغنم فقال أصحابه وأنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: كنت أرعاها على قراريط [1] لأهل مكة [2]). ومن هذا الحديث يتبين لنا: أن رسول الله ﷺ حين كان بمكة قبل البعثة قد اشتغل لفترة من الزمن راعياً للغنم، كما أنه أخبر أن غيره من الأنبياء أيضاً قد رعوا الغنم.

وكانت الغنم في عصر الرسول ﷺ هي الثروة الأولى للأعراب أهل الحجاز، وكان اعتمادهم عليها بالدرجة الأولى كمصدر هام ورئيسي من مصادر الرزق، وكان الاعتماد في البادية على رعي الغنم والاستفادة منها، فقد كان الأعراب يعتمدون في غذائهم بالدرجة الأولى على اللبن ومصدره الأول الغنم.

كما كانوا يعتمدون على أصواف الأغنام في نسج بيوتهم إضافة إلى أنهم يعتمدون على لحومها في غذائهم، ويكرمون بها ضيوفهم، هذا بالنسبة للأعراب في البادية.

أما أهل المدن في مكة والمدينة والطائف وغيرها فكانت هناك مجموعات من الأغنام تخرج من هذه المدن للرعي، ثم تعود إليها في آخر النهار، حيث يستفيد أهلها من ألبانها في المساء، ثم تعود للرعي مرة أخرى في الصباح، وكانت هذه المجموعات تسمى (السَّرح)، وكان للمدينة في عصر الرسول ﷺ وأثناء وجوده بها سرح يخرج للرعي خارج المدينة ثم يعود في آخر النهار إليها.

---

[1] (قراريط) جمع قيراط وهو الجزء من الدينار (بن حجر العسقلاني، فتح الباري ج ١٠ /٥، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مصطفي محمد الهواري، السيد محمد عبد المعطي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٣٩٨هـ.

[2] صحيح البخاري ج ٣ /ص ٤٨ .

وحدث أنه حين قدم الرسول ﷺ من غزوة العشيرة في السنة الثانية من الهجرة - أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة [1] فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له (سَفْوان) من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر ولم يدركه، وقد سميت بغزوة (بدر الأولى)، وهكذا نعلم أنه كان يوجد للمدينة (سرح) [2] أو سروح كما كان يوجد لمكة وغيرها من يرعى لأهلها مجموعة من الأغنام في النهار ثم يعيدها إلى أصحابها في المساء ليستفيدوا من ألبانها.

وقد كانت هذه الطريقة معروفة إلى وقت قريب في بعض المدن الصغيرة في المملكة، وقد تكون حتى الآن معروفة في بعض القرى.

وكثيراً ما تتعرض السروح لغزوات الأعراب وإغاراتهم ونهبهم كما حدث لسرح المدينة على يد الفهري.

كما كان هناك بعض الرعايا الصغيرة من الأغنام كان يرعاها بعض الغلمان في مكة، حيث كان يرعى رسول الله ﷺ لأهل مكة ويصاحبه بعض الغلمان، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال ليلة لغلام يرعى معه بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال: أفعل فخرج الرسول ﷺ حتى إذا كان عند أول دار بمكة سمع عزفاً فقال ما هذا؟ فقيل عرس فلان، فجلس يسمع فضرب الله على أُذنيه فنام [3]، وبهذا نرى أن الرسول ﷺ وغيره من الغلمان كانوا يرعون لأهلهم أو لغيرهم ببعض الدراهم.

كما أن الرسول ﷺ حين كان بالمدينة كانت له سبع منائح من الغنم وسبع أعنز يرعاهن أيمن بن أم أيمن [4]، والمنيحة من الغنم أو الماعز

---

[3]) السهيلي : الروض الآمن ج٣/٢٢ .
[4]) (السرح) الماشية سواء منها الإبل أو الغنم التي تخرج للمرعى الزبيدي، تاج العروس ج ٢ /١٦٣ .
[1]) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢/٣٨ ز
[2]) الطبري : تاريخ المم والملوك ج ٣ /١٨٤ .

أو الإبل هي ما خصصت للبن من هذه البهائم، ولا تزال هذه التسمية تستعمل عند الأعراب حتى الآن فهم يسمون ما خصص للحلب من هذه البهائم بالمنيحة، ورعاة الغنم يختلفون، فمنهم من كان يرعى لنفسه أو لأهله وهؤلاء إما أنهم يملكون الغنم أو يملكها أهلهم أو هم مملوكون لأصحاب الغنم، أي من الرقيق، وإما أن يكون هؤلاء الرعاة أُجراء يعملون لدى أصحاب الأغنام بأجرة معينة.

وفي حادث الهجرة نرى أن أبا بكر ﷺ كان له راعي غنم يقوم برعي الغنم في النهار ثم يأتي بها في الليل إلى الغار ليحتلب منها الرسول ﷺ وأبو بكر ﷺ، ولكي يمحو بآثار الغنم أثر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها[1].

وقد كان لرسول الله ﷺ مجموعة من الغنم فكان كلما زادت على المائة ذبح منها شاة فكلما ولد شيء من الغنم ذبح مكانها شاة بحيث لا تزيد على المائة[2].

ولقد امتاز رعاة الغنم على غيرهم من الرعاة بالحساسية والخبرة، فقد كانت طبيعة الأغنام تتطلب من الرعاة نوعاً من الحذر المتمثل في معرفة أنواع الأعشاب التي ترعاها هذه الأغنام، فإن بعض الأعشاب سام ويقتل الغنم بمجرد أن تأكله، بل إن بعضاً منها يقتل الغنم بمجرد أن تشم رائحته، ومن هذه الأعشاب المعروفة (القشب)،
وهو نبات رطب مسموم يجنب الأعراب ماشيتهم عنه كي لا تحطمه فيفوح من ريحه ما يقتلها[3]. كما أن هناك بعض الأعشاب تصيب الأغنام بأمراض معينة أو تتسبب في رمي الحوامل منها لحملها.

---

[1]) السهيلي : الروض الأنف ج ٢ /٢٢٤ .

[2]) الخزاعي : أبي الحسن على بن محمد، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ص ٦٤٣، الطبعة الأولى المجلس العلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٠١.

[3]) انظر السهيلي : الروض الأنف ج ٣ /٦٣ .

إضافة إلى ذلك فإن الأغنام لا تستطيع مقاومة السباع كالذئب وغيره بعكس الإبل، فالرعاة للأغنام دائماً يجنبون أغنامهم المواطن التي تسكنها الذئاب خصوصاً في الليل، كما أنهم في الغالب يصطحبون معهم الكلاب التي تساعدهم على حماية أغنامهم من الذئب كما تساعدهم على تجميع هذه الأغنام عند الحاجة، وقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من أمسك كلباً فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية وفي رواية إلا كلب غنم أو حرث أو صيد)[1].

وهكذا نرى أن رعاة الغنم في عصر الرسول ﷺ قد عرفوا كلاب الرعي بل إن الرسول ﷺ أجازها لهم في حين أنّه كرّه إقتناء الكلب من غيرهم عدا كلاب الزراعة والصيد [2] وكذلك نعرف ما للكلب من أهمية عند رعاة الغنم.

كما أن الغنم تحتاج إلى الماء باستمرار فراعي الغنم لا يستطيع أن يبتعد بها عن الماء كثيراً وإلاّ هلكت من العطش.

إضافة إلى ذلك فإن راعي الغنم يجب أن تكون لديه القدرة على التصرّف السريع في كثير من الحالات التي تواجهه، فقد ورد في صحيح البخاري أن كعب بن مالك ﷺ ذكر أنه كانت لهم ترعى بسلع [3] فأبصرت جارية لنا بشاة من غنمها موتاً فكسرت حجراً فذبحتها به فقال لهم لا تأكلوا حتى أسأل النبي ﷺ وأرسل إلى النبي ﷺ من يسأله وأنه سأل النبي ﷺ عن ذاك أو أرسل، فأمره بأكلها [4] وهكذا نرى سرعة تصرف هذه الراعية وبداهتها، وكما رأينا فإنه إذا كان الرجال

---

[4]) فتح الباري : ج ١٠ ص ٧٠ .
[1]) الشافعي : أبي عبد الله محمد بن إدريس، الأم، القاهرة ١٣٨٨ـــ١٩٦٨م ج ٢ /١٩٢ .
[2]) (سُلعْ) جبل معروف في المدينة المنوّرة(السمهودي وفاء الوفاء ج ٣ /١٢٣٦) .
[3]) البخاري : الصحيح، ج٦١/٣ .

والغلمان يقومون برعي الأغنام فقد كانت النساء أيضا يقمنْ بذلك وكذلك الفتيات الصغار، وكثيراً ما رأينا في قصص العرب وأشعارهم ما يدل على هذا وعلى قيام شيء من الغزل أو الشعر المتبادل بين هؤلاء الغلمان وأولئك الجواري.

وكانت الطائف وما حولها من المناطق المشهورة برعي الأغنام وبكثرتها حتى إن الرسول ﷺ غنم من أهلها ما يقرب من أربعين ألفا [1] من الغنم، وهذا العدد الضخم يبيّن لنا ضخامة ما كان موجوداً في الحجاز من الأغنام وبوجه خاص في الطائف، كما يبيّن لنا كثرة العاملين برعي الأغنام في تلك الأيام ويؤكد لنا هذه الكثرة أيضا، أن الرسول ﷺ غنم من بني المصطلق بعد غزوتهم في سنة خمس من الهجرة، خمسة الآف شاة[2]، ومثل هذه الوقائع كثيرة في تاريخ الحروب الإسلامية في عصر الرسول ﷺ.

وتعتبر الأغنام المصدر الأول للبن عند العرب فهم يعتمدون على اللبن كغذاء وأكثر ما يوفره لهم الأغنام والماعز إضافة إلى الإبل، ولكن الأغنام هي الأكثر، أما البقر فلا تكاد تذكر مقارنة بالأغنام وقد وردت آيات قرآنية وأحاديث ونصوص كثيرة عن استعمال اللبن في عصر الرسول ﷺ، ففي القرآن يقول اللّه تعالى: (وإن لَكُم في الأَنْعَام لَعِبْرَةً نُسقِكُم مّمَّا في بُطُونه من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خَالصاً سَائِغاً للّشَّاربين)[3].

---

[4]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج٣ / ٨٦ .
ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ٢ /١٥٢ .
د. أكرم ضياء العُمري : المجتمع المدني في عهد النبوة، الجهاد ضد المشركين الطبعة الأولى ١٤٠٤ص ٢٠٦ .
[5]) إبراهيم بن إبراهيم قريبي : مرويات غزوة بني المصطلق جمع وتحقيق ودراسة، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة .
١) سورة النحل : آية، ٦٦ .

وقد وردت كثير من النصوص عن طريقة حلب الأغنام، وعن تنظيف ضروع الأغنام قبل حلبها، فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: (انطلقت فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه فقلت: لمن أنت؟ قال: لرجل من قريش، فسمّاه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ فقال: نعم فقلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاه من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفّيه فقال: هكذا ـ ضرب إحدى كفيه بالأخرى ـ فحلب كثبة من لبن، وقد جعلت لرسول ﷺ دواة على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فانتهيت إلى النبي ﷺ فقلت: إشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت)[1].

كذلك وردت قصة أخرى عن حلب النبي ﷺ نفسه للغنم فقد روي أن الرسول ﷺ حين انطلق في الهجرة مستخفياً هو وأبو بكر (مرا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ها هنا عناقا حملت أول الشتاء وقد أخرجت وما بقي لها لبن فقال: أدع بها فدعا بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا، ثم أنزلت وجاء أبو بكر بمجن [2] فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب الراعي ثم حلب فشرب[3].

وقد نهى رسول الله ﷺ أن يحلب أحد ماشية غيره إلاّ بإذنه وذلك لأنها طعامه فقد روى عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يحلبن أحد ماشية أمريء بغير إذنه، أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته،

---

[2]) البخاري : الصحيح، ج٣/٩٦، كذلك السيرة النبوية للذهبي ص ٢٢٣ والذهبي : محمد بن أحمد عثمان السيرة النبوية تحقيق حسام الدين القدسي ص ٢٢٣ دار الهلال بيروت .

[3]) المجن : الترس المصنوع من الجلد : الزبيدي، تاج العروس، ج٩/٣٤١ .

[4]) الإمام الذهبي، السيرة النبوية ص ٢٢٩ .

فتكسر خزانته فينقل طعامه فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعمتهم فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلاّ بإذنه[1].

[1]) البخاري، الصحيح ج ٣ /٩٥ .

تصنيع اللبن :

من المعروف أن اللبن كان يكثر عند الأعراب في البادية أو عند غيرهم من الرعاة وذلك في بعض المواسم أثناء فصل الربيع وغيره، واللبن بطبيعته سريع الفساد ولا يحتمل طوال الوقت إضافة إلى الحر الشديد في الحجاز الذي يعجل بفساده لذلك يستخدم الرعاة في الحجاز طريقة يستطيعون الاستفادة بها من اللبن قبل فساده ويستطيعون بواسطتها حفظ الناتج من اللبن إلى مدة طويلة قد تزيد على السنة، وذلك بتحويل اللبن المخيض إلى أقط، ويتأتى ذلك عن طريق طبخه حتى يتخثر ثم يوضع في وعاء يستطيع أن يسرب الماء، ويصنع هذا الوعاء من الخوص أو الصوف أو ما شابههما، ثم يترك حتى ينزل عنه الماء ويشكل بعد ذلك باليد شكل قطع صغيرة يظهر فيها أثر الأصابع ثم يترك على ظهر الخيمة أو بساط أو فرش في الشمس حتى يجف تماماً ثم يخزن بعد ذلك، ويحمل إلى المدن وفي الأسفار.

ولا تزال هذه الطريقة معروفة حتى الآن عند الأعراب ويسمّى بنفس التسمية (أقط).

وقد ذكره الرسول ﷺ ضمن الأصناف التي يصلح أن تخرج في زكاة الفطر[1].

كما ورد في السير أن أعرابية قدمت المدينة فأهدت إلى النبي ﷺ أقطاً وسمناً [2].

وكانت قريش من القبائل التي لا تعمل الأقط وتفتخر بذلك بين القبائل حيث يقال عن قريش كانوا لا يسلؤون السمن أي يطبخون السمن ويعالجونه كما أنهم لا يأقطون الأقط[3].

---

[1]) مالك بن أنس : الموطأ، ص ٢٢٩ الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠١- ١٩٨١.
[2]) البخاري : الصحيح ج ٣ /١٣١ . والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٣ /٣٥٠ .
[3]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الرب ج ١ /٢٤٤ .

وكان يؤخذ من لبن الغنم المخيض (السمن) يطبخ ويوضع إما في قرب من الجلد خاصة أو في أوان أخرى ويجلب إلى الأسواق، وكان يكثر في أوقات معينة من السنة، إضافة إلى ذلك فإن لحوم الغنم كانت من أجود اللحوم وأحبها إلى أنفسهم، حتى إنهم يقدمونه إلى أضيافهم وقد كان الرسول ﷺ يأكله ويفضل من لحم الضأن (الذراع) [٤]

تربية الإبل :-

يقول الله تعالى في سورة الغاشية: (أفلا يَنْظُرُونَ إلى الإبلِ كَيفَ خُلِقَت)[١] فالإبل من أهم الحيوانات عند العرب وأضخمها وأكثرها فائدة لهم، فهي سلاح في الحرب، ناقلة في السلم، ساقية للبن، ذبيحة للحم، بانية للبيت، كاسية للجسم، فللإبل أهمية كبيرة جداً لدى العرب في زمن الرسول ﷺ ولها دور كبير وخطير في حياتهم يقدره ويعرفه كل من رأى الجمل وعرف مقدرته وقوته والمزايا التي يتصف بها عن غيره من الحيوانات، والجمل هو أعزّ الحيوانات لدى العرب وأنفعها وبه كانوا يتفاخرون، يقول جواد علي: (الجمل هو الحيوان الوحيد الذي لم يجد الأعرابي في تربيته بأساً ولا غضاضة ولا حطة لقدره ومنزلته فاجتناه وتباهى به وافتخر، وجعله مقياس ثرائه وماله وأعزّ شيء عنده في حياته وما الذي يملكه الأعرابي في دنياه غير هذا الجمل)[٢]

والله سبحانه وتعالى يقول في القرآن: (اللّهُ الذي جَعَلَ لكُم الأَنعَامَ لتَرْكَبُوا مِنْهاَ ومِنْهَا تأكُلُونِ)[٣] ويقول الله تعالى: (والأَنعَامِ خَلَقَهَا لكُم فيها دفءٌ ومَنَافِعٌ ومِنْهَا تأكُلُون، ولكُم فيها جَمَالُ حِينَ تُرِيحُون

---

[٤] ابن القيم: الحافظ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزي، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج١٨٥/٣ المكتبة العلمية، بيروت.

[١]) سورة الغاشية : آية ١٧ .

[٢]) د. جواد علي ـ المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٧ /١١٣، الطبعة الثانية غافر آية ٧٩ .

[٣]) سورة غافر آية ٧٩ .

وحِينَ تَسرَحُون، وَتَحمِلُ أَثقَالَكُم إلى بلدٍ لم تكُونُوا بَالِغِيهِ إلاّ بَشَقَّ الأنفُسِ إن رَبّكُم لرؤوفُ رَحِيمُ)[1]

وهكذا نرى أن، الجمل يقوم في حياة الأعراب بدور كبير، فمن المعروف أن حياة الأعراب وطبيعتهم تحتم عليهم التنقل المستمر تبعاً للماء والكلأ من مكان إلى آخر عدة مرات خلال العام، بل وأحياناً خلال الشهر الواحد أو الأسبوع الواحد، وهم و الحالة هذه بحاجة إلى وسيلة تساعدهم على نقل خيامهم ومتاعهم فكان الجمل يقوم بهذه المهمة خير قيام نظراً لقدرته الفائقة في حمل الأمتعة والأثقال حتى إن الجمل الواحد يستطيع حمل ما زنته ٥٠٠ رطل[2] أو أكثر يجوب بها الصحراء، إضافة إلى مقدرته الشديدة على تحمل الجوع والعطش وقدرته الفائقة على إطعام نفسه سواء من الأشجار الأرضية أو من الأشجار العالية ذات الأشواك الحادة، فهو يستطيع أن يستخلص الأوراق الخضراء من بين الأشجار الشائكة، وهذه المقدرة لا يتمتع بها إلاّ القليل من الحيوانات، وقدرته على الصبر على العطش تكاد لا توجد في غيره من الحيوانات فالجمل يستطيع أن يصبر عن شرب الماء ثمانية أيام وقد يصل إلى العشرة أيام.

وكانت للعرب طرق مختلفة في سقي الإبل فهم إما أن يسقوها كل يوم فيقولون سقيناها رفهاً، أو يتركونها ترعى يومين ثم يسقونها في الثالث فيقولون سقيناها غباً، أو يتركونها ثلاثة أيام في المرعى وتشرب في الرابع فيقولون سقيناها ربعاً، وإذا سقوها في اليوم العاشر قالوا سقيناها عشراً[3] وهذه المقدرة العجيبة لدى الإبل في الصبر على

---

[4]) سورة النحل : آية من ٥ -٧ .
[5]) غوستاف لوبون : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ص ٦٠ دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٩هـ، لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٩ ص ٢٩١ .
[1]) انظر محمود الألوسي : بلوغ الأرب ج ١ ص ٣٩٦ .

العطش دفعت رعاة الإبل إلى استغلال هذه الناحية وذلك بالابتعاد بها عن المياه والدخول بها في الصحاري والمراعي البعيدة، التي لا تستطيع الوصول إليها الأغنام وبالتالي وجد أناس من الرعاة متوحشون لا يعرفون إلاّ الصحراء ولا يختلطون بالناس كثيراً ويجهلون كثيراً من الحضارة ولا يختلطون بأحد إلاّ في النادر حين يحتاج الماء في فصل الصيف وقلة المطر، فهم في بعض السنوات في فصل الربيع يتوغلون في الصحراء ويرعون الكلأ ويشربون من مياه الأمطار المتبقية في بعض البقع ولا يعودون إلى مياه الآبار في الحفر إلاّ عندما تقلّ هذه المياه أو تنعدم، عند ذلك يبحثون عن المياه قرب الحفر والآبار[1].

وقد كانت هناك كثير من الإبل السائحة التي ترعى بنفسها وكان العرب يسمون إبلهم بأوسام مختلفة حتى يعرف كلٌّ إبله[2] وحتى يمكن الفصل بين الرعاة فيما إذا تنازعوا.

وقد كان رسول الله ﷺ يقوم بنفسه بوسم إبل الصدقة[3] حتى تميّز من بين الإبل وكان وسم الإبل يتم عن طريق كيها بالنار بعلامة معينة، وكانت الإبل كثيراً ما تضيع وقد سأل أعرابي رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل، فقال: (مالك ولها، معها حذائها وسقاؤها ترد الماء وتأكل الشجر)[4]، ففي هذا الحديث نرى مقدرة الإبل على العيش وحدها والدفاع عن نفسها ضد الحيوانات المفترسة بعكس الغنم التي قال فيها رسول الله ﷺ: (لك أو لأخيك أو للذئب)[5] فهي معرضة للهلاك.

وكان الرعاة يقصدون بإبلهم مراعي معينة تساعدها على إدرار اللبن وتزيد لحمها طعماً (كالعُصْل) مثلا وهو نبات من الحمض يكثر

---

[2]) انظر جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ج ٧ ص ١٠٧ .
[3]) القلقشندي في نهاية الأرب ص ٤٦٣ .
[1]) الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية ص ٦٤٨ .
[2]) و٣) ابن حجر : فتح الباري ج ١٠ ص ١٥٧ .
٤) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ج ٧ / ١٧٢، ١٧٣ .

في السباح ويُساعد الإبل على شرب الماء بكثرة وبالتالي يزيد في سمنها، وقد كانت الإبل ترد الماء فيستخدمها الرعاة لإخراج الماء حتى تشرب هي وتشرب معها الأغنام، إضافة إلى سدّ حاجة الرعاة من الماء، وتعمل الأحواض قرب الآبار لكي يجمع فيها الماء لشرب الإبل وغيرها ويوضع في هذه الأحواض حجرٌ معينٌ بحيث يعرفون بواسطته مقدار الماء ومقدار ما شربته الإبل منه[1].

وتعتبر الإبل حساسة إلى حد ما حيث أنها إذا صالت وغضبت تصعب السيطرة عليها ويفرّ من أمامها الرعاة وشجعان الرجال ولا يمكن الوقوف في وجهها ما دامت غضبى، وقد حدث أن صال جمل على عهد رسول الله ﷺ في نخل لبني سُلَيْم حتى أنهم لم يستطيعوا دخول النخل[2] واستنجدوا برسول الله ﷺ فسخّر الله الجمل لرسول الله ﷺ حتى عاد أهله ينضحون عليه الماء من جديد، ويدل على مقدار ثروة الحجاز من الإبل أن الرسول ﷺ غنم من أهل الطائف في غزوة حنين أربعة وعشرين ألف[3] بعير وهذا عدد لا يستهان به.

وقد كانت هناك بعض الإبل الأصيلة عند العرب وكانوا يكرونه للضراب، حيث يحضر أصحاب النوق نوقهم إلى الجمل فينزو على الناقة مقابل أجر معين يأخذه صاحب الجمل وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك عندما سأله رجل من كلاب عن تلك الأجرة[4] ورغّب المسلمين في أن لا يأخذوا أجرة إن هم فعلوا ذلك.

---

٥) الإمام الذهبي : السيرة النبوية ص ٢٤٣، ٢٤٤ .
٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ٢ /١٥٢ .
وإبراهيم بن إبراهيم قريبي : مرويات غزوة حنين ج ١ /٣٧٧ .

[1]) ابن حجر، فتح الباري ج ١٠/ ٢٩ .

وكما كان للجمل أهمية عند البادية كان له أهمية عند الحاضرة أيضا فقد كان المزارعون يستخرجون الماء في الغالب على نواضح من الإبل، وقد كان ذلك معروفاً في المدينة في عصر الرسول ﷺ، فقد روى عن جابر بن عبد الله ﷺ أن ناضحاً لبعض بني سُلَيْم صال عليهم وامتنع حتى عطشت نخله فانطلق إلى النبي ﷺ فاشتكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: انطلق، وذهب النبي ﷺ فلما بلغا باب النخل قال: يا رسول الله لا تدخل قال: ادخلوا لا بأس عليكم فلما رآه الجمل أقبل يمشي واضعاً رأسه حتى قام بين يدي رسول الله ﷺ، فسجد فقال النبي ﷺ ائتوا حملكم فأخطموه وارتحلوه، ففعلوا وقالوا: سجد لك يا رسول الله حين رآك قال: لا تقولوا ذلك لي، لا تقولوا ما لم أبلغ، فلعمري ما سجد لي ولكن سخّره الله لي[1] ولقد كان لهذا النوع من الإبل دور خاص حيث أنه يتلقى عناية أكبر من غيره من الإبل التي في المراعي، نظراً لما يلقاه هذا النوع من عمل ومشقة طوال اليوم فد كانوا يعلفونه الفصفصة وهو (رطب القت)[2] إضافة إلى أنهم في المدينة كانوا يعلفونه النوى، فقد ذكر أنه قبل غزوة بدر حين أحسّ أبو سفيان بخطر النبي ﷺ بعث من يتجسس له الأخبار خشية أن يقع هو وتجارته في يد الرسول ﷺ، فقال أبو سفيان لمن يتجسس الأخبار: هل رأيت أحداً؟ قال فقال: ما رأيت أحداً أنكره إلاّ أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شنّ لهما ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من روْث بعيريهما ففته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائق يثرب[3]، ومن هذه الحادثة نعرف أن أهل يثرب كانوا يعتنون

---

[2]) الإمام الذهبي : السيرة النبوية، ص ٢٤٣ .
[3]) رطب القت : البرسيم الأخضر .
[4]) السهيلي : الروض الأنف ج ٣ /ص ٣٥ ز
الحلبي : علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون ج ٢ /٣٩٠ دار المعرفة بيروت ١٤٠٠-١٩٨٠م .

بإبلهم ويحاولون تعويض ما يفوتها في المرعى بإطعامها النوى أو غيره فيما ينتج لهم من أعلاف.

كما كان للإبل مكانة كبيرة لدى الحاضرة نظرا لما تقوم به من نقل للأفراد في الأسفار بين المدن، ونظراً لما تقوم به من نقل للبضائع من مكان إلى آخر.

كما كان للإبل دور حربي هام لدى قبائل العرب يكاد لا يقلّ عن دور الخيل، فقد كانت القبائل تستعمل الإبل في نقل الأفراد الغزاة عندما يريدون الإيقاع بقبيلة أخرى، كما كان للإبل دور كبير في الغزوات التي قادها رسول الله ﷺ في صدر الإسلام فقد كان مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر سبعون بعيراً، وكان رسول الله ﷺ مع اثنين من الصحابة [.....] بعيراً واحداً[1] وكان كل ثلاثة من الصحابة أيضا يعتقبون بعيراً.

وقد كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة ترعي بالغابة يراح إليه كل ليلة منها بقربتين عظيمين من لبن، فيها لقاح غزار يرعاهم يسار مولى رسول الله ﷺ، وقد قتله العرنيون في القصة المشهورة واستاقوا اللقاح[2] فجيء بهم إلى رسول الله ﷺ فسملهم.

وقد عرف من الإبل في عهد الرسول ﷺ ناقته (القصواء) واشتهرت في كتب السيرة النبوية، وهي التي ابتاعها أبو بكر من بني (الحريش) بثمانمائة درهم ومعها ناقة أخرى قبل الهجرة، فاشتراها الرسول ﷺ بأربعمائة درهم فكانت عنده حتى ماتت، وهاجر عليها النبي ﷺ وكانت تسمى القصواء والجدعاء والعضباء[3] وقصتها في الهجرة معروفة حينما قال الرسول ﷺ دعوها فإنها مأمورة.

---

[1]) ابن هشام السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقاء وآخرين ج ٢ / ٦١٣ .
[2])الطبري :تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٨٣ .
[3]) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١٥ .

ومما يدل على أهمية الإبل عند عرب الحجاز في ذلك العصر أن ديات القتلى كانت تدفع عدداً من الإبل كما أنها تدفع فداء فقد دفعها عبد المطلب فداء لابنه عبدالله حيث قام بذبح مائة من الإبل فداء له[1]، كما أن العرب كانوا يذبحون لضيوفهم الكبار شيئاً من الإبل وذلك إظهاراً للكرم ولمكانة الضيف عند مُكْرِمه، وكان كبار القوم يعطونها الشعراء إذا أرادوا مكافأتهم على مدح قالوه أو هجاء دفعوه، كما كانت تعقر الإبل قبل الإسلام قرابين للأصنام أو هدياً[2] في الحج، أما بعد الإسلام فمنع ذلك واستمرت تذبح هدياً في مكة من قبل الحجاج.

وقد كان لرعاة الإبل أصوات وألحان خاصة يتغنون بها فتعرفهم الإبل وتتبعهم أو تتفرق في المرعى إن هم أرادوا ذلك ولكل حالة نداء خاص، وقد كان لرسول الله ﷺ حَادٍ حسن الصوت عبد أسود اسمه (أنجشة) حدا بأمهات المؤمنين في حجة الوداع فأسرعت الإبل فقال له الرسول ﷺ رويدك يا أنجشة رفقاً بالقوارير[3].

وقد كان حلب الناقة يحتاج إلى نوع خاص من المداراة، وذلك لأن الناقة تستعصي على الحلب أحياناً فيلجأ الرعاة إلى تمسيح الناقة وذلك ضرعها ومخاطبتها بألفاظ معينة فهم يقولون (بس بس) ويسمى ذلك (الإبساس)[4]، كما أن العرب تعرف طريقة غريبة لاستمرار حلب الناقة فيما إذا مات ولدها أو ذبح فهم يقومون بسلخه برأسه وقوائمه ثم يحشون جلده تبناً لتزأمه أمه، وتشم رائحته فتدر عليه ولا ينقطع لبنها فتحلب بسهولة، ويقال للجلد المحشو بالتبن بهذه الطريقة (البو)[5].

---

[4]) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ١ /٢٨٩ .
[1]) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ج ٧ / ١١٢ .
[2]) العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج١/٤٥٥ القاهرة ١٣٨٠هـ
[3]) السهيلي : الروض الأنف ج ٣ /٢٢٣ .
[4]) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ج١١٣/٧.

تربية الأبقار :-

لم تكن نظرة عرب الحجاز للأبقار كنظرتهم للإبل، بل كانوا يحتقرونها إلى حد ما، ويكرهون تربيتها نظراً إلى أنها تحتاج إلى خدمة ورعاية أكثر من غيرها، أما في البادية فتكاد الأبقار أن تكون معدومة، ولم أر نصوصاً تدلّ على وجودها عند الأعراب في البادية، وقد وجدت الأبقار في المدن والقرى في عهد الرسول ﷺ وكانت تستخدم في الحرث وفي النضح. وكانت مصدراً من مصادر الألبان إلاّ أنها لم تكن كثيرة، وقد ورد الحديث حثّ الرسول ﷺ (عليكم بألبان البقر فإنها تقم من كل الشجر)[1].

وقد كان أهل الحجاز في المدن يعرفون لحوم البقر ويأكلونها، ففي حجة الوداع ذبح الرسول ﷺ عن نسائه البقر[2]، وأتين بلحمه، وفي منطقة الطائف كان هناك كثير من البقر حتى أنهم خرجوا بمجموعة كبيرة منها يوم حنين[3] ضمن ما خرجوا به من النعم.

تربية الدواجن :-

يعتبر الدجاج من الدواجن المألوفة في الحجاز، في عصر الرسول ﷺ، وقد كانت موجودة في المدن والقرى والمزارع بأعداد محدودة وقد كان معروفاً في المدينة بلحمه الطيب، وقد أكله الرسول ﷺ[4].

وقد كان في خيبر الكثير من الدجاج عند فتحها، وقد طلب شاعر من بني عبس من الرسول ﷺ أن يعطيه دجاج خيبر فأعطاه الرسول إياه فقال شعراً منه:-

---

[1]) ابن القيم : زاد الميعاد ج ٣ ص ١٩٠ .

[2]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٦٨

والدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام، سنن الدارمي، ج ٢ /٦٣، طبع بعناية محمد أحمد دهان .

[3]) إبراهيم ابن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين، رسالة ماجستير من قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنّورة إشراف د. أكرم ضياء العمري، ١٤٠٤هـ ج ١ ص ٣٧٧ .

[4]) ابن القيم : زاد المعاد ج٣ /١٨٨ .

جرت بأبطحها الذيول فلم تدع إلاّ الـــــدجاج تصـــــيح في الأسحار[1]

[1]) السهيلي : الروض الأنف ج ٤ ص ٤٥ .

الحمير :

عُرفت الحمير في الحجاز في عصر الرسول ﷺ واقتناها الناس، واستفادوا منها، فقد كانت معروفة في المدينة المنوّرة ومعروفة في خيبر قبل فتحها وقد غنم الرسول ﷺ حماراً من خيبر فسمّاه يعفور[1]، وتعني هذه التسمية (الأبيض بياضاً غير خالص)[2].

وقد وردت روايات عديدة تدل على أن الرسول ﷺ إذا أراد أحد أصحابه أرسل إليه هذا الحمار فيقرع باب الرجل فإذا خرج أومأ إليه برأسه فبعرف أن الرسول ﷺ يريده [3]، وقد بقي هذا الحمار حتى توفي رسول الله ﷺ فتردى في بئر فمات[4].

كما كان لرسول الله ﷺ بغلتان إحداهما (فضة) أهداها له فروة بن عمر الجذامي ﷺ، والأخرى تسمى (دلدل) وهي أول بغلة رؤيت في الإسلام وكانت هدية من المقوقس[5] صاحب مصر إلى رسول الله ﷺ ضمن الهدايا التي أرسلها للرسول ﷺ، وقد ورد اسم الخيل والبغال والحمير في آية واحدة حيث يقول الله تعالى: (والخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ لِتَركَبُوها وزِينَةً ويَخلُقُ ما لا تَعْلَمُون)[6].

المراعي :

لقد كانت المراعي في منطقة الحجاز كثيرة وكافية لما فيها من الثروة الحيوانية، وكان لهذه المراعي شيء من التنظيم إلى حد ما، قبل الإسلام وبعده، فالمراعي في الأساس كانت مشاعة وهي لمن سبق

---

[6]) البكري : عبد الله بن عبد الملك القرشي، بهجة النفوس الأسرار في تاريخ دار هجرة المختار ورقة ٦٢ مخطوط تحت رقم ١١٢٥ ميكروفلم مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة مصور من مكتبة لاله لي تركيا .

[7]) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١٥ .

[1]) انظر السهيلي : الروض الأنف ج ٣ ص ٨٤، كذلك البكري، بهجة النفوس والأسرار مخطوط ورقة ٦٢ .

[2]) العصامي : سمط النجوم العوالي ج ١ /٤٦٣ .

[3]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٨٣ كذلك ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١٤ – ٣١٥ .

[4]) سورة النحل آية ٨ .

إليها ، إلّا أن بعض القبائل كانت تستأثر ببعض البقاع وتدفع عنها الناس، وتحتكر المراعي لأفراد القبيلة[1]، وأحيانا يكون الاحتكار من قبل بعض الأفراد الأقوياء في القبيلة كزعيم القبيلة أو غيره[2]، فقد كانت بنو كلاب تحمي ضرية قبل الإسلام وتمنع عنها القبائل[3] وهي من جهات المدينة في الطريق بين البصرة ومكة[4]، وقد كان كليب بن وائل يوافي بكلب نشازاً من الأرض ثم يستعويه ويحمي ما انتهى إليه عواؤه من كل الجهات ويشارك الناس فيما عداه من المرعى فكان ذلك سبباً في قتله وفيه يقول الشاعر:

كما كان يبغيها كليب بظلمهِ من العزِّ حتى طاح وهو قتيلها
على وائلٍ إذ يَتْرُك الكلبَ نابحا وإذ يمنع الأفناء منها حلولها[5]

وحينما جاء الإسلام، لم يترك الناس بدون تشريعات بدون تشريعات تخص المراعي بل وضع الرسول ﷺ أحكاماً فيما بين الناس في المراعي لكي يمنع حدوث منازعات في ذلك.

وكان أساس التشريع في هذا الأمر ما وضحه الرسول ﷺ من أن الناس شركاء في ثلاثة (الماء، والنار، والكلأ)[6].

ثم أن الرسول ﷺ شرع (الحمى) وذلك خاص بمصالح الجهاد فقال ﷺ (لا حمى إلاّ للّه ورسوله)[7] وقد حمى رسول اللّه ﷺ النقيع[8] لخيل

---

[5]) جواد علي : المفصّل ، ج ٧ /٩٧ .
[6]) السمهودي : وفاء الوفاء، ج ٤ /١٠٨٧ .
[7]) القلقشندي : نهاية الأرب ص ٤٠٧ .
[8]) الفيروز أبادي : مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) تحقيق حمد الجاسر ص ٢٣٠، الطبعة الأولى دار اليمامة بالرياض ١٣٨٩-١٩٦٩م وياقوت الحموي معجم البلدان ج ٣ /٤٥٧ .
[1]) الماوردي : أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية ص ١٨٦ دار الفكر بيروت .
[2]) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ن تحقيق محمد خليل هراس ص ٣٧٥ دار الفكر، القاهرة ١٣٩٥هـ والماوردي، الأحكام السلطانية ص ١٨٥ .
[3]) أبو يعلي الحكام السلطانية ص ٢٢٣ .
أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال ص ٣٧٥ .
[4]) البقيع موضع قرب المدينة يكثر فيه الأعشاب
الفيروز أبادي : المغانم المطابه ص ٤١٥ .

المسلمين[1] من المهاجرين والأنصار، ثم حماه من بعد أبو بكر وعمر، والحمى في الإسلام كان يهدف لمصلحة الناس ليس كما يفعل العرب في الجاهلية من أنه يحمي لمصلحة شخص معين، وجعل الرسول ﷺ يقيد المراعي لمن سبق إليها، فكان الناس في ذلك سواسية يستوي فيه غنيّهم وفقيرهم.

وقد تأكّدت هذه التشريعات بعد وفاة الرسول ﷺ حيث حمى عمر رضي الله عنه ضرية والربذة وأمر عامله على الحمى أن يرفق بالناس ومواشيهم[2] ويعاملهم بالحسنى.

وهكذا نرى أن الرعي وتربية المواشي بمختلف أنواعها كان من أهم الحرف العامة في بلاد الحجاز وأكثرها انتشاراً عند الحضر وفي البوادي، وكانت الأعراب والقبائل المختلفة يعتمدون على الرعي بصورة رئيسة كمصدر للعيش ويعولون عليه، وتعيش على ذلك قبائل كثيرة بأفراد كثيرين وأسر عديدة، فكان الرعي هو الحِرفة الرئيسة عند العرب عامة وعند عرب الحجاز خاصة، وكانت القبائل تنتقل تبعاً للكلأ والماء بهدف توفير الغذاء لمواشيهم التي تعتبر بالدرجة الأولى مصدر عيشهم مما يدفع إلى الاحتكاك مع القبائل الأخرى.

---

[5]) أبو عبيد القاسم بن سلام : الأموال ص ٣٧٦ .
وأبو يعلي : الأحكام السلطانية ص ٢٢٢ .
[6]) عمر بن شبه : تاريخ المدينة ج ٣ /٨٣٩ .
وأبو عبيد القاسم بن سلام : الأموال ص ٣٧٦ .

٤- الزراعة في الحجاز

تعتبر الزراعة من أهم الحرف التي عرفها الإنسان ومن أقدمها وذلك لأنها تسدّ حاجة طبيعية لدى الإنسان فهي أهم المصادر الأساسية التي يتم عن طريقها تأمين الغذاء للإنسان، كما أنه عن طريق الزراعة يتم تأمين بعض الحاجات اللازمة للإنسان في صناعات أخرى ضرورية تعتمد في خاماتها الأولية على الزراعة، ومن المعروف أن الزراعة في أي مكان أو زمان تتأثر بعدة عوامل منها عوامل بشرية ومنها عوامل طبيعية، فمنطقة الحجاز كما هو معروف منطقة واسعة ويسكنها العرب بالدرجة الأولى كما كان يسكنها عناصر أخرى كاليهود وغيرهم من الموالي.

وقد كانت نظرة العرب للزراعة قبل الإسلام وفي الحجاز بخاصة تختلف من الأعراب البادية إلى المتحضرين، فالعرب المتحضرون في مكة وفي الطائف وفي المدينة كانوا يعملون بالزراعة ولا يأنفون منها، أما أهل البادية فكانوا يحتقرون الزراعة ويسخرون من المزارعين، وقد تكون هناك بعض الظروف الخاصة التي دعتهم لذلك، ولكن حينما جاء الإسلام أخذ يشجّع على الزراعة والعمل فيها وفي غيرها من الحرف، شريطة أن لا تصرف المسلم عن الجهاد، وقد وردت عدة آيات قرآنية جاء فيها ذكر للزراعة ومنها قوله تعالى:﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الأنعام: ١٤١ [1]

[1]) سورة النعام آية (١٤١)

فالقرآن هنا يشجع على الزراعة كما أنه يدعو المزارعين إلى دفع زكاة ما يخرج لديهم من زرع، ثم يقول الله تعالى في سورة أخرى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الواقعة: ٦٣ - ٦٥ [1]

وكان أصحاب الرسول ﷺ يعملون بالزراعة في المدينة، فكان الأنصار أصحاب مزارع فلما قدم عليهم المهاجرون } قال الأنصار للنبي ﷺ: يا رسول الله إقسم بيننا وبين إخواننا النخل، قال: (لا) فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا: سمعنا وأطعنا[2].

وكان الرسول ﷺ يمنح إقطاعات لبعض الصحابة وغيرهم كي يستغلوها في الزراعة فقد أقطع الزبير بن العوام [3] أرضاً بالمدينة استثمرها في الزراعة في حياة الرسول ﷺ.

كما أقطع على بن أبي طالب عيون بينبع اشتهرت فيما بعد بكثرة إنتاجها وعمل فيها على ﷺ بنفسه[4].

كذلك فإن الرسول ﷺ أمر الصحابة } باستغلال الأراضي الزراعية وشجّع على ذلك فقال ﷺ: (من أحيا أرضاً ميتةً فله فيها أجر وما أكلت العانية منها فله منها صدقة)[5].

كذلك حضّ الرسول ﷺ ملاّك الأراضي على استغلالها أو دفعها إلى من يستغلها، فقال ﷺ: (من كانت له أرض فليحرثها فإن كره أن يحرثها فليمنحها أخاه فإن كره أن يمنحها أخاه فليدعها)[6]. وقد شجعّ

---

[2]) سورة الواقعة آية ٦٣-٦٥ .
[1]) صحيح البخاري : ج٦٧/٣ .
٢) انظر نص الإقطاع (محمد حميد الله : الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة ص ٣١٩ الطبعة الرابعة دار النفائس بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
[3]) عمر بن شبه : تاريخ المدينة ج ٢ /٢٢٢.
٤) سنن الدارمي : ج ٢٦٧/٢ .
٥) سنن الدارمي: ج ٢ / ٢٧٠ .
٦) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ١٠ /٨٤ .

الرسول ﷺ على استغلال الأراضي ووضع قاعدة شرعية سارت عليها الأمة من بعده في تملُّك الأراضي حيث قال ﷺ: (من أحيا أرض مواتا فهي له)[1] كما ورد في حديث آخر عن أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول ﷺ: (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق)[2].

وقد ورد من الأحاديث الكثيرة ما يرغّب المسلمين في الزرع، حتى أن البخاري رحمه اللّه جعل بابا في كتاب المزارعة سمّاه (باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه)، وقد ورد عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول ﷺ ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة)[3]، كما روى أنس بن مالك ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: (لو قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)[4]

العوامل المؤثرة في الزراعة :-

لقد اختلفت الزراعة من مكان إلى مكان باختلاف العوامل المؤثرة فيها، سواء منها العوامل البشرية، أو العوامل الطبيعية وعند التعّرض للزراعة في أي مكان أو زمان لابد من معرفة هذه الظروف، فالزراعة في الحجاز كأي منطقة أخرى اتخذت طابعاً خاصاً، متأثرة بالظروف المحيطة بها والتي أثّرت عليها، وقد تمثلت هذه الظروف في التالي:-

أ- التربة :-

---

٧) المصدر السابق

[1]) سنن الدارمي : ج ١٠ /٦٧ .
[2]) الإمام أحمد بن حنبل : المسند، ج ٣ /١٩١ المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٨هـ .

تعد منطقة الحجاز من المناطق التي تسود فيها أنواع من التربة تبعاً لتنوع السطح واختلافه، حيث السهول والجبال والأودية، وما يهمنا هو معرفة الأراضي التي استخدمت في الزراعة، حيث يبدو أن معظم المناطق المزروعة تتألف تربتها من أنواع عديدة من الطمي الذي يتكون من رمال خشنة وحصى وغرين وقد قسّمها الباحثون إلى ثلاثة أنواع من الطمي:

١- طمي السهول وهي إرسابات فيضان السهول وتتوزع على جوانب الأودية.

٢- طمي المسيلات ويتوزع في قيعان الأودية.

٣- طمي المدرجات ويعتمد على طول مجاري الأودية وقربها[١].

كما أن هناك بعض المناطق السبخة التي تغمرها المياه من وقت لآخر وتكون بالقرب من الأودية[٢] وهي قليلة الاستخدام في الزراعة، وعلى العموم فإنه كانت هناك الكثير من الأراضي الصالحة للزراعة وتمتد في الغالب قرب الأودية.

وقد اشتهرت في المدينة من الأودية التي انتشرت الزراعة بها في عصر الرسول ﷺ، منها وادي العقيق الذي هو أهم أودية المدينة وفيه أموال أهل المدينة ومزارعهم[٣] كذلك من الأودية المهمة التي استخدمت للزراعة في المدينة وادي (بَطْحَان) وكانت به مزراع بني النضير وأموالهم كذلك وادي (مَهْزُوز) كانت به أموال بني قريظة[٤] ووادي (قَنَاةْ) وهو ثالث أودية المدينة ووادي (رَانُونَا)[٥].

---

[٣]) انظر د. عمر الفاروق السيد رجب : الحجاز أرضه وسكانه دراسات ايكيولوجية ص ١٠٧، ١٠٨، الطبعة الأولي دار الشروق جدة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

[٤]) انظر المرجع السابق ص ١١٠ .

[١]) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ /١٣٨ .

[٢]) ياقوت : معجم البلدان ج ١/ ٤٤٦ .

[٣]) عمر بن شبه النميري : تاريخ المدينة المنّورة ص ١٦٨ .
وعبد السلام حافظ : المدينة المنّورة في التاريخ ص ٣٨ الطبعة الثانية النادي الأدبي بالمدينة ١٤٠٢-١٩٨٢م .

وكذلك من الأودية التي استفيد من أراضيها وادي القرى.

كذلك عرف في الطائف كثير من الأودية التي استفيد منها بالزراعة أهمها وادي (وج) ويقع غرب الطائف وفيه الكثير من المزارع والبساتين وترفده بعض الأودية الأخرى، كذلك وادي (لِيَةْ) ويقع شرق الطائف وبالقرب منها، كذلك هناك الكثير من الأودية المزروعة والمحيطة بالطائف[1] كما وجدت بعض المزارع أو الواحات الصغيرة التي استفيد منها في الزراعة مثل تيما و (نخله) وغيرها.

ب - المناخ:

يعتبر المناخ من أهم العوامل المؤثرة في الإنتاج الزراعي ومناخ الحجاز يختلف من جزء إلى جزء، فرغم التحديد الجغرافي الشمولي للحجاز إلا أن المناخ يختلف من رقعة إلى أخرى، فهو في مناطق الجبال كالطائف مناخ معتدل في فصل الصيف والشتاء، كما أن أمطاره شبه موسمية ويسود فيه ما يسمى بالمناخ الجبلي نظرا لارتفاعه[2] ولذلك نجد له تأثيراً في مزروعاته حيث تنجح زراعة الفواكه كما تكاد تنعدم زراعة النخيل.

أما مناطق المدينة المنّورة وخيبر وادي القرى فإنها تتميز بالمناخ الصحراوي أو شبه الصحراوي ولذلك نجد الزراعة فيها تعتمد على الري بالدرجة الأولى، كما أن أهم المحاصيل الزراعية في هذه المناطق هي التمور.

أما مكة المكرمة فإن المناخ السائد فيها هو من نوع خاص إذ أنها شديدة الحرارة نظراً لوقوعها بين الجبال، ولذلك تتعذر فيها الزراعة إلا القليل من الخضروات وغيرها نظراً لشدة حرارتها.

---

٤) د. العبيدي : الطائف ص ١٩ -٢١ .

٥) انظر د. عمر الفاروق السيد رجب : الحجاز أرضه وسكانه ص ١٢٦ .

وهكذا نرى أن للمناخ دوراً كبيراً وهاماً في أنواع الزراعة السائدة في الحجاز ونرى كذلك التباين الشديد في مناخ منطقتين متلاصقتين هما مكة والطائف، كذلك نرى الخلاف في المحاصيل الزراعية لهاتين المنطقتين حيث تكاد تنعدم الزراعة في مكة.

كما أن اختلاف المناخ والأمطار له دور رئيسي أيضاً في النباتات الطبيعية كالأعشاب والأشجار الطبيعية سواء منها المثمرة أم غير المثمرة وهي التي تكون في العادة غابات يستفاد منها وهي توجد في الطائف، كما يوجد بعض الغابات قرب المدينة استفيد منها في الاحتطاب في عصر الرسول ﷺ.

كما أن للمطر دوراً رئيسياً في توفر المراعي وجودتها في مختلف مناطق الحجاز.

المناطق الزراعية في الحجاز :-

تكاد معظم الأراضي في الحجاز في عصر الرسول ﷺ غير مستغلة للزراعة، وذلك لأسباب عديدة، منها تضاريس المنطقة التي تحكّمت في توزيع الرقعة الزراعية، ومنها وجود قبائل عديدة تسيطر على مناطق شاسعة وتستغلها للرعي فقط دون الزراعة، وذلك مما حدا بمن يريد الزراعة في هذه المناطق إلى الامتناع عن ذلك إضافة إلى كره هؤلاء الأعراب للزراعة.

كذلك فإن وفرة المياه أو قلتها من الأشياء التي تحكّمت في توزيع الرقعة الزراعية في الحجاز.

ويمكننا أن نحدد أهم المناطق الزراعية الرئيسة للحجاز في عصر الرسول ﷺ والتي اشتهرت بإنتاج زراعي وفير حسب النصوص التي وردت

في المصادر الرئيسة من كتب السنة وكتب السيرة والمصادر الأخرى كالتالي:

أ- منطقة الطائف:

والأودية المحيطة بها وكانت من أشهر المناطق الزراعية في ذلك العصر لا في الحجاز وحده بل وفي جزيرة العرب كلها، وذلك لما اشتهرت به من زراعة ضخمة وتصديرها لأنواع عديدة من الإنتاج الزراعي، كالزبيب وغيره، وقد كانت فيها العديد من الأودية المزروعة والمنتجة.

ب:منطقة المدينة المنّورة:

وكانت من كبرى المواقع الزراعية في الحجاز قبل الإسلام وفي عصر الرسول ﷺ، تركزت فيها زراعة النخيل بالدرجة الأولى[1]، واشتهرت بتصدير التمور إلى أنحاء كثيرة من بلاد العرب، فقد كانت بعض قبائل نجد كغطفان وغيرها تقدم لشراء التمور من المدينة، مما يدل على عظم الرقعة الزراعية في المدينة وكثرة أوديتها المزروعة، وكان يشترك في زراعة المدينة كل من العرب واليهود كملاّك، إضافة إلى مساعديهم من الموالي.

ج- خيبر :

وتقع إلى الشمال من المدينة المنوّرة وكانت تشتمل على الكثير من بساتين النخيل حتى إنها لكثرتها أقيم عليها سبعة حصون لحمايتها[2]، وقد فتحها الرسول ﷺ سنة سبع[3] من الهجرة، وكانت من أشهر المناطق في بلاد العرب إنتاجاً للتمور، وكان العاملون بها معظمهم من اليهود،

---

١) عبد الله عبد العزيز بن إدريس : مجتمع المدينة في عهد الرسول ص ٢٠٦ الطبعة الأولى جامعة الملك سعود ١٤٠٢-١٩٨٢م .
٢) ياقوت الحموي :، معجم البلدان ج ٢ /٤٠٩ .
الفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ٣٥ .
٣) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٣ /٣٢٨ .

أما المالكون لها قبل فتح خيبر فكلهم تقريباً من يهود ، وكانت تسمى ريف الحجاز لكثرة نخيلها ومزارعها وتبعد عن المدينة ١٦٥ كيلو متراً شمالاً ولها أودية كثيرة ومياها وفيرة[١] ، وكانت تُغِلُّ على الرسول ﷺ الكثير من التمر والشعير بعد فتحها[٢].

د- وادي القرى:-

وكان يسكنه يهود وهم في الغالب يعملون في الزراعة وقد كتبوا للنبي ﷺ بعد فتح خيبر فصالحوه على الشطر مما يخرج من أرضهم[٣] ويقع بين المدينة والشام وبين تيما وخيبر، فيه الكثير من القرى فالوداي من أوله إلى آخره قرى منظومة ولذلك سمي وادي القرى[١] وأصبح اسم هذا الوادي في هذه الأيام (وادي العلا) وهو على بعد ٣٢٢ ميلاً وبه مزارع كثيرة في هذه الأيام وتسكنه قبيلة عنزة[٤].

هـ: فَدَك:-

وهي قرية بينها وبين المدينة يومان، إلى الشمال من المدينة، إلى الشرق من خيبر، كان بها عيون ونخيل كثيرة[٥]، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً، حيث أرسلوا إلى الرسول ﷺ أن يصالحهم

---

٤) عاتق البلادي، المعجم الجغرافي للسيرة النبوية ص ١١٨ .
٥) عمر بن شبه النمري : تاريخ المدينة ج ١ /١٧٨ .
١) محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل ص ٥٢١ .
[١] ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٤ / ٣٣٨

على النصف من ثمارهم فأجابهم فكانت خالصة لرسول الله ﷺ فهي مما لم يوجف عليه نخيل ولا ركاب[1].

و- دومة الجَنْدَل:-

تقع بين المدينة ودمشق، بها عين تصبّ فتسقي ما به من نخل[2]، وقد اشتهرت بزراعتها أيام الرسول ﷺ وقد كان بها حصن لأكيدر بن عبد الملك رجل كنده وكان نصرانياً وكان ملكاً عليها وفيها الكثير من المزارع وكان صاحب نعمة، وقد أرسل الرسول ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فأسره، وذلك أثناء غزوة تبوك وقدم به على الرسول ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية ثم خلّى سبيله فرجع إلى قريته وقد كتب له الرسول ﷺ كتاب[3]، ويدل نص الكتاب على وجود نخيل ومزارع في دومة الجندل.

ز- أيْلة:-

مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) وهي آخر الحجاز وأول الشام وكان بها زرع في عهد الرسول ﷺ، وكانت بيد يهود[4]، وقدم وفدهم على الرسول ﷺ وهو في تبوك فصالحوه على الجزية حتى بلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً بذلك يدل

---

١) السهيلي، الروض الأنف ج ٤ ص ١٧٨ .
٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ١ ص ٢٩٢ .

نصه على أنهم كانوا أهل زراعة، وأهل سفن وصيد بحر[1] وهي قرب ميناء العقبة حالياً في الأردن[2].

ج- أذرح والجربا :

وهما من المواضع الزراعية التي مرّ بها الرسول ﷺ في غزوة تبوك وفرض عليها الجزية[3] وهما منطقتان متلاصقتان[4] بينهما ميل واحد بحيث نستطيع أن نرى أحدهما من الأخرى، وهما الآن داخلتان ضمن الحدود الجنوبية للأردن[5] وتدل النصوص على أنهما كانتا مسكونتين وبهما حركة زراعية نشطة.

٣) انظر نص كتاب الصلح في السهيلي الروض الأنف ج ٤ ص١٧٨
٤) عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة ص ٣٥ .
٥) السهيلي : الروض الأنف، ج ١ ص ١٧٨ .
٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان د ١ ص ١٢٩ .
٧) عاتق غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية للسيرة النبوية ص ٨٠ .

العاملون بالزراعة وأجناسهم :

حين ننظر في الرقعة الزراعية في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، فلابد أن يتبادر إلى أذهاننا من كان يعمل بالزراعة من سكان هذه المنطقة، ففي مختلف مناطق الحجاز نجد أن العاملين في الزراعة أناس كثيرون من مختلف الفئات منهم:

العرب :

وهم في المدينة من الأوس والخزرج أو من أحلافهما ويمتلكون عدداً كبيراً من البساتين والمزارع قرب المدينة ويعملون في الزراعة بأنفسهم وبالاستعانة بغيرهم، ويبدو أنهم لا يأنفون من الزراعة كما تأنف منها بعض القبائل الأخرى وقد كان الأنصار من الحيين يمتلكون بساتين للنخيل، حتى أنهم حينما قدم المهاجرون إلى المدينة قالت الأنصار للنبي ﷺ: (إقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: لا فقالوا: تكفونا في المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا)[1] ومن الأنصار من تصدّق ببستانه كأبي طلحة[2]، ومن أكثر الأنصار زراعة وأموالاً سعد بن عبادة رضي الله عنه حيث قال للرسول ﷺ يوم الهجرة (ليس من قومي أكثر عذقا ولا فم بئر مني مع الثروة والجلد والعدد فهَلُمّ إلينا يا رسول الله)[3].

وقد حرص المهاجرون في المدينة أيضاً على العمل في الزراعة جنبا إلى جنب مع إخوانهم الأنصار حتى أن بعض المهاجرين طلب من الرسول ﷺ أن يقطعه أرضاً ليقوم بزراعتها فأقطع الزبير بن العوّام[4] كما أقطع علي بن أبي طالب وغيرهما من الصحابة.

---

[1]) صحيح البخاري، ج ٣ / ٦٧ .
[2]) أبي عبيد القاسم بن سلام : الأموال ص ٦٧١ .
صحيح البخاري : ج ٣ /٦٥، ٦٦ .
[3]) الصالحي السامي : سبل الهدى والرشاد ج ٣ / ٣٨٨ .
[4]) محمد حميد الله : الوثائق السياسية للعصر النبوي ص ٣١٩ .

وكان يقطن قرب المدينة بعض الأعراب إلاّ أنهم لم يكونوا أصحاب زراعة كما هي عادة الأعراب، بل ربما إن بعضهم كان يكره الزراعة ولعل مرد ذلك لقلة المياه أو لأن الزراعة تقيّد الأعرابي فتربطه بمكان واحد لمدة طويلة من الزمن، ويتبين كره الأعراب للزراعة من حديث ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية: (أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له ألست فيما شئت؟ قال بلى ولكني أحب أن أزرع فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء فقال الأعرابي والله لا تجده إلا قريشا أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي ﷺ)[1]

كما أن قبيلتي ثقيف وهوازن وأحلافهما في الطائف كانوا يحترفون الزراعة بأنفسهم ويعملون مع مواليهم في بساتينهم.

<u>اليهود</u> :-

لقد اشتهر اليهود ببراعتهم في الزراعة خاصة في المدينة، وأنهم كانوا أصحاب مزارع ونخيل وكان لديهم من الخبرة ما يجعلهم يتفوقون على غيرهم في الزراعة إضافة إلى كثرتهم العددية حيث كان اليهود ينتمون إلى ثلاثة قبائل: هي: بنو قينقاع، بن النضير، وبني قريظة، وكانت لهذه القبائل حقولها ومزارعها الخاصة، ولها أملاك وحصون تتبع هذه المزارع[2].

كما أن بعض المؤرخين يرجح أن أول من قام بالزراعة في المدينة هم وبنو قريظة، وبنو النضير من يهود[3].

---

[1]) البخاري : الصحيح (فتح الباري) ج ١٠ ص ٩٤، ٩٥ .
[2]) انظر محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل، ص ٤٣٧ .
[3]) البكري : بهجة النفوس والأسرار مخطوط ورقة ٣٠ .

ومما يدل على أن اليهود كان لهم الكثير من النخيل والأملاك في المدينة أن مخيريق (وهو أحد بني النضير) أسلم يوم أحد وتصدّق بماله وكان سبعة حوائط، ثم قُتل شهيداً في أحد[1].

كذلك مما يدل على اهتمام اليهود بالزراعة، وخاصة بالنخيل، أن أحد اليهود طلب من سلمان الفارسي ﷺ أن يغرس له عدداً كبيراً من النخل مقابل أن يعتقه.

وكانت مزارع اليهود في خيبر وفي وادي القرى من أكثر المناطق إنتاجاً للتمور وغيرها، وكان اليهود في خيبر أصحاب خبرة عظيمة في النخيل والزروع حتى إن الرسول ﷺ أبقاهم بعد فتح خيبر فيها يزرعونها على الشطر مما يخرج منها[2]، ثقة من الرسول ﷺ بقدرتهم على زراعتها، كذلك فعل الرسول ﷺ الشيء نفسه مع يهود وادي القرى، وكان عبدالله بن سلام ﷺ وهو أحد اليهود الذين أسلموا، يعمل على رأس نخله حينما أخبر بوصول النبي ﷺ إلى المدينة[3].

<u>الموالي</u> :-

كان ضمن العاملين بالزراعة في الحجاز فريق من الرقيق الأجانب منهم من قدم من العراق مثل (عداس) الذي أعطى الرسول قطيف عنب حينما ذهب الرسول ﷺ إلى الطائف[4]، ومنهم سلمان الفارسي ﷺ الذي

---

[4]) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١،
أبو يعلي، الأحكام السلطانية ص ١٩٩ .
[1]) البلاذري : فتوح البلدان، ص ٣٧ .
وأبو عبيد القاسم سلاّم : الأموال ص ٥٨١ .
[2]) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ٣ / ٥٣٥ .
٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢/ ٤٢١ .
٤) محمد عزة دروزة : عصر النبي ص ١٠٨ .
[5]) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ / ٤٨٥ .
ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق مصطفي عبد الواحد ج٦٥٨/٣ دار المعرفة بيروت .
والفأسي. : محمد بن أحمد الحسيني المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ج ١ /٢٦٤ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

ابتاعه أحد اليهود لكي يعمل معه في الزراعة وقد رجح (الأستاذ محمد عزة دروزة) وجود جاليات أجنبية سورية ومصرية ورومية وعراقية في مدن الحجاز وأن منهم من كان يقوم بأعمال صناعية ويسدون فراغاً غير يسير[1] ولعل الزراعة كانت من أهم الأشياء التي عمل فيها هؤلاء الأجانب.

ومما يدل على كثرة الموالي، أن الرسول ﷺ حينما حاصر الطائف وأعلن عتق من ينزل إليه من الموالي، نزل إليه ثلاثة وعشرون عبداً من موالي الطائف[2]، وكانت هناك مجموعة كبيرة من الموالي الأحباش يعملون في المدينة في حقول الأنصار ويدل على وجودهم الملموس أنهم حين قدم رسول ﷺ المدينة يوم الهجرة خرج هؤلاء الأحباش واجتمعوا ولعبوا بحرابهم فرحاً بقدوم النبي ﷺ إلى المدينة[3].

أساليب الزراعة في الحجاز :-

لقد امتازت الزراعة في الحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول ﷺ بالتركيز على أنواع معينة من المزروعات، ففي الطائف كان التركيز على الكروم بالدرجة الأولى، وفي المدينة وخيبر ووادي القرى كان التركيز على النخيل بالدرجة الأولى، مع وجود أنواع أخرى من الأشجار في كل هذه المناطق، ومن هنا ظهر في الحجاز ما يعرف (بالبساتين) وهي مجموعة الأشجار المصطفة أو ما يسمى بالسكك.

---

[1])) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ٣ /٣٨٦ .
٢) السهيلي، الروض الأنف ج ٣/ ١٤٢ .
٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣١ .

وامتازت بساتين النخيل عن غيرها بتسمية خاصة حيث كانت النخيل المجتمعة تسمى (صور النخل)[1] ولا تزال هذه التسمية تطلق على النخيل المجتمعة حتى الآن، وكان الاعتماد في الدرجة الأولى على زراعة البساتين هذه ... إضافة إلى أن المزارعين في تلك الأيام استغلوا كل شبر من الأرض يمر به الماء، فكما هو معروف أن هذه البساتين ثابتة، ويوجد فيما بين الأشجار بعض المساحات القليلة التي يمر بها الماء فكانت تزرع بالحبوب وغيرها من النباتات الموسمية، فقد ذكر البلاذري أن بني النضير كانوا يزرعون تحت النخل في أرضهم فكانت أموالهم خالصة لرسول الله ﷺ، فكان يدخل منها قوت أهله وأزواجه سنة، فما فضل جعله في الكراع والسلاح[2] وقد عرفت هذه البساتين بـ (الحوائط) ومفردها (حائط)[3]، وقد ورد ذكر عدة حوائط اشتهرت في عهد الرسول ﷺ، فقد ورد أن الرسول ﷺ عندما طورد في الطائف حتى أعياه التعب عمد إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظلّ (حبلة) منه[4]، وقد وردت أيضاً عدة نصوص عن حوائط المدينة فقد ورد أن الرسول ﷺ سلك بأصحابه في حرة بني حارثه لأحد المنافقين فقام المنافق يحثو في وجوههم التراب ويقول: (إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي)[5] وقد ورد أنه حينما نزل قول الله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قام أبو الدحداح الأنصاري ﷺ حين سمع الآية فتصدق

---

٤) ابن منظور : لسان العرب ج ٢ / ١٠٥٢ .

١) الذهبي : السيرة النبوية ص ١٨٦ (الحلبة) شجرة العنب، ابن منظور لسان العرب ج ٧٦٢/٢)
٢) السهيلي : الروض الأنف ج ٣ /١٥٠ .
٣) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ /٥٩ .
٤) السهيلي : الروض الأنف ج ٣ /١٨٠ .

بحائطه[1]، وقد كان أول وقف في الإسلام هو ما وقفه مخيريق الذي قام يوم أحد وكلّم اليهود وقال: إنكم تعلمون أن محمداً نبي وأن عليكم نصرته، وكان يوم سبت فقالوا: اليوم سبت قال: لا سبت لكم ثم خرج يقاتل مع الرسول ﷺ في أحد وقال: إن أصبت فما لي لمحمد يصنع فيه ما يشاء فقتل رضي الله عنه شهيداً في أحد، فقال عنه الرسول ﷺ مخيريق سابق يهود، ووقّف رسول الله ﷺ حوائطه وكانت سبعة حوائط في المدينة أسماؤها الأعراف والصَافية، والدّلاَلْ، وبُرقْه، وحُسنى، ومَشْرَبَة أم إبراهيم[2] والمثيب[3].

وقد كان وسط هذه البساتين بعض الآبار الخاصة، التي وضعت عليها (السّواني) التي تخرج الماء فتصبه في (القنوات) التي تتخلل النخيل أو الأشجار فتسقيها كما أن هذه القنوات التي يمر بها الماء استغلت في بعض الزراعات البسيطة، كالدّباء، أو القثّاء، أو غيرها من المزروعات المؤقتة، وتسمية هذه البساتين بالحوائط ربما لأن هذه البساتين محاطة بأسوار تمنع عنها البهائم والناس، وقد تكون هذه الأسوار من البناء وقد تكون من جريد النخل، أو من أغصان الأشجار التي توفر لها الحماية اللازمة وعدم التخريب.

وقد كانت هذه البساتين غالباً في وسط البلد أو ملاصقة لها لتوفير الحماية الكافية لها وكانوا يطلقون عليها إذا كانت من هذا النوع تسمية (الضَّامِنَة)[4] وذلك لأن أصحابها يحرسونها وهي مضمونة ضد الاعتداء الخارجي حيث أنها تقع ضمن حماية البلد، أما ما كان

---

٥) البلاذري، فتوح البلدان ص ٣١ .
٦) ابن منظور : لسان العرب، ج٤/٢٦١١ .

خارج البلد أو بعيداً عنه فكان أهل الحجاز يسمونه (الضَّاحِيَة)[1] وهي لا تتمتع بالحماية الكافية كما تتمتع بها البلد أو الضامنة حيث لا تحمي بسور أو حائط يمنع الاعتداء عليها، وقد وردت هاتان التسميتان في كتاب الرسول ﷺ لأكيدر صاحب دومة الجندل[2] كما وجدت الزروع في أماكن أخرى منفصلة عن البساتين، وهي زروع موسمية، قد يكون للمطر دور كبير في سقياها، فقد كانت قرب أحد في المدينة منطقة تسمي (الصُّمْغَة) فيها زروع كثيرة للمسلمين سَرّحت فيها قريش ببهائمها في معركة أحد زيادة في الاعتداء والإضرار بالمسلمين فأتلفت معظمها مما أغضب الأنصار حتى قال أحدهم (أترعى زروع بني قيلة ولمّا نضارب)؟[3].

أما العمل في الأراضي واستغلالها فقد كان صاحب الأرض مع أولاده أو بعض الأرقاء والأجراء يقومون بمباشرة أراضيهم وزراعتها واستغلالها، وفي حالة عجز صاحب الأرض عن استغلالها أو انشغاله عن ذلك أو وجود من يكون أفضل رعاية وأكثر خبرة منه في الزراعة، فإنه كان يقوم بتأجير هذه الأرض إلى من يقوم عليها بالإصلاح والزراعة والرعاية، وهذا التأجير يتكون من قسمين إما للمزارعة، أو كراء الأرض، فالمزارعة كانت معروفة وقد ورد في الحديث عن ابن عمر رضي اللّه عنهما: (أن رسول ﷺ أعطى خيبر لليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها).[4]

---

[1]) ابن منظور : لسان العرب، ج٢ /١٠٥٢ .
[2]) انظر نص الكتاب في السهيلي : الروض الأنف، ج١٩٦/٤ .
[3]) الضَّمْغَة : أحد المواقع بقرب وادي قناة إلى الشمال الشرقي من المدينة (السمهودي : وفاء الوفاء، ج١٢٥٤/٤) .
[4]) صحيح البخاري : ج٣ /٦٩ .
والقاسم بن سلاّم : الأموال ص ٥٨١ .
وأبي يعلى : الأموال ص ٥٨١ .
والماوردي : الأحكام السلطانية ص ١٧٠ .

ولما اتفق رسول الله ﷺ مع يهود خيبر، طلب أهل فدك من الرسول ﷺ أن يعاملهم كما عامل أهل خيبر، فاتفق معهم الرسول ﷺ على النصف مما تخرج الأرض وكانت فدك خالصة للرسول لأنها لم يجلب عليها بخيل ولا ركاب[1].

وقد كان هناك نوع آخر من الكراء عند أهل المدينة وذلك أنهم كانوا يكرون الأرض ويكون إنتاج رقعة معينة منها لصاحب الأرض الأصلي، وقد نهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك[2] لأن الزراعة تتعرض للإصابة، فقد تكون هذه الإصابة فيما يخص صاحب الأرض، وقد تكون الإصابة فيما يخص المستأجر فتلحق بأحدهما الضرر دون الآخر، وقد كان البعض أيضاً يؤجر الأرض لمن يستغلها ويكون لصاحب الأرض ما على السواقي من الزرع فقط، وهو شبيه بالنوع الأول أيضاً نهاهم الرسول ﷺ عن ذلك لما قد يقع من النزاع بين الطرفين نتيجة للضرر الذي يقع على محصول أحدهما، إما بسبب الإهمال أو الآفات الزراعية، روي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: (كنا نكري الأرض على عهد رسول الله ﷺ بما على السواقي من الزرع وبما سعد من الماء منها فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، ورخّص لنا في أن نكريها بالذهب والورق)[3]، وهكذا نرى أن هناك نوعاً من الكراء يكون بالذهب والفضة عرف في عصر الرسول ﷺ في المدينة وأقرّ الناس عليه.

ري المزراع :-

---

[1]) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣٥٣/٣ .
والبلاذري : فتوح البلدان ص ٤٢ .
والمارودي : الأحكام السلطانية ص ١٧٠ .
وأبي يعلى : الأحكام السلطانية ص ٢٠١ .
وابن كثير : السيرة النبوية ج ٤١٣/٣ .
ابن الأثير : الكامل ج ٢ /٢٢١ .

٢) انظر صحيح البخاري ج ٣ /٦٨ .

[3]) سنن الدارمي : ج٢٧١/٢ (سعد من الماء أي تسرب ونضح قريب من السواقي)

تعتبر منطقة الحجاز من المناطق قليلة الأمطار مقارنة بغيرها، ويستثنى من ذلك الطائف وما حولها، حيث تعتبر إلى حد ما من المناطق التي تهطل عليها الأمطار بكميات كافية لقيام الزراعة على المطر.

ففي معظم نواحي الحجاز اعتمدت الزراعة على مياه الآبار بالدرجة الأولى، وقد كان للعرب في الحجاز وغيرها بعض الطرق التي يعرفون بها ما في باطن الأرض من ماء، قبل أن يبدأوا بحفر الآبار للزراعة وغيرها، وتعرف هذه الطرق عن العرب بعلم (الرِّياقة): (وهو معرفة استنباط الماء من الأرض، بواسطة الإمارات الدالة على وجوده، فيعرف بعده وقربه بشم التراب، أو رائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة لحيوان مخصوص وهو من فروع الفراسة، أو بوضع أذنه على الأرض)[1] وبعد معرفة ما في باطن الأرض من مياه يتم حفر الآبار التي تعتمد عليها الزراعة بالدرجة الأولى، أما إخراج الماء من البئر فيتم بطرق عديدة وتعتمد بالدرجة الأولى على الحيوانات التي تقوم بجذب الماء من باطن البئر وإخراجه ومن الحيوانات المستخدمة في هذه العملية (الجمال)، وتقوم بدور رئيس، كذلك تستخدم الحمير والثيران[2] وهي ما تسمى بالنواضح حتى أنهم إذا استعظموا زراعة أحد عدّوا ما كان ينضح الماء لديه فيقولون كان فلان يزرع على عشرين ناضحاً أو على ثلاثين ناضحاً.

وقد كانت (السواني) هي التي تخرج الماء من البئر وتحتوي على حبال ربطت بها بعض الأوعية، وتقوم النواضح بإنزال السواني في الماء ثم سحبها مرة أخرى بعد امتلائها وتفريغها في السواقي وإعادة هذه العملية، وقد كانت هذه الطريقة معروفة في بلاد العرب حتى وقت

---

[1]) محمود شكري الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج٣/٣٤٣ .
[2]) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب ج ٧ /٤١ .
انظر، الفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ٤٦ .

قريب وقد قلّت بالتدرج حتى قضت عليها الآلات الحديثة وتسمى هذه العملية بـ (السّني)، وقد تطلق لفظة السانية أو السواني على الحيوانات نفسها، وبعد إخراج الماء من البئر بطريقة (السني) يصبّ إما في أحواض لتجميعه، أو في السواقي مباشرة: وهي عبارة عن قناطر تنقل الماء إلى النخل وإلى الزرع، وغالباً ما تكون هذه السواقي مزروعة ومستغلة حيث يجري فيها الماء وقد عرفت هذه الطريقة في يثرب (المدينة)[1] وفي غيرها من مناطق الزراعة في الحجاز.

كما أن مياه الأمطار كانت مصدراً رئيساً للزراعة في الطائف وفي أوديته المجاورة، حيث بساتين العنب تعتمد عليها بالدرجة الأولى كما تعتمد عليها معظم المزروعات الأخرى في الطائف وما جاورها، منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحالي.

كما أن الأمطار في المدينة المنوّرة كان يستفاد منها في ري بساتين النخيل والحقول، حيث كانت (شِرَاجُ الحْرَة) في المدينة من مسايل الماء، فإذا هطلت الأمطار انحدرت إليها وامتلأت بها، فتسيل إلى الأراضي المزروعة ترويها بالماء، وقد تحبس الشراج فتكون أحواضاً يستفاد منها في السقي للزروع والنخل، وقد خوصم فيها الزبير بن العوّام ﷺ عند الرسول ﷺ لحبسه الماء فقال له الرسول ﷺ اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك [2].

أما الطائف فقد امتازت عن بقية المواقع في الحجاز بوفرة مياهها الكافية لإيجاد نظم ري زراعية متميزة سواء بالري المباشر أو بإقامة

---

[3]) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ج ٧ /٧١ .
[1]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٥ .
ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٣ /٣٣٠ .

السدود التي تعمل على احتجاز الأمطار والاستفادة منها في فصل انعدام المطر، مما ساعد على ظهور ملكيات زراعية كبيرة [1].

وقد كانت المزارع إضافة إلى قيامها بسد الحاجات الغذائية عبارة عن منتجعات يقصدها أصحابها إذا كانوا من الأغنياء للترويح، فقد كان كبار تجار قريش في الجاهلية وبعد الإسلام قد جعلوا لأنفسهم مزارع وحوائط في الطائف يقصدونها في فصل الصيف، فيجدون فيها الظل والماء البارد والخضرة الجميلة، ويهربون إليها من حر مكة.

وكذلك بالنسبة للمدينة فقد كان في حوائط المدينة ما يعرف بالعريش (وهو المكان المحاط بجريد النخل المسقوف بجريد النخل) بحيث يتميز بوجود الظل إضافة إلى تخلل الهواء له بشدة مما يجعله أبرد مكان في الحائط خصوصاً إذا أحاط به الماء أو رشّ بالماء فيكون مكاناً لطيفاً للجلوس وقضاء الوقت فقد ورد أن (أبا خيثمة)[2] ﷺ بعد مسير رسول الله ﷺ إلى تبوك بأيام، رجع إلى أهله فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط وقد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت هل فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً [3]. فقال أأكون في هذا ورسول الله في الحر؟! فاحتمل رحله ولحق برسول الله ﷺ في تبوك.

وقد عرف الحجاز بعض الآفات الزراعية التي كانت تتلف الثمار أو جزءاً منها، فقد عرف الجراد [4] وكان يلحق أضراراً كثيرة بالمزارعين كما عرفت أنواع أخرى من الأمراض التي كانت تصيب الزروع، وقد وجه الرسول ﷺ أمراً للمزارعين بعدم بيع الثمار قبل بدو

---

[2]) انظر عبد الجبار منسي العبيدي : الطائف ص ٢٧ .

[1]) (أبا خثيمة) هو عبد الله بن خثيمة الأنصاري السلمي، شهد أحد مع النبي ﷺ وشهد تبوك بقي إلى خلافة يزيد بن معاوية (ابن حجر، الإصابة ج ٤ /٥٤) .

[2]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ١٤٤ .

[3]) ابن القيم زاد المعاد ج ٣ /١٨٨ .

د. غوستاف لوبون : حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ص ٦٠ .

صلاحها ، وذلك منعاً للتخاصم الذي يقع نتيجة بيع الثمار قبل صلاحها ، ثم تعرضها لإحدى الآفات الزراعية ، وتلفها قبل أن يستفيد منها المشتري ، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (من ابتاع ثمرة فأصابته جائحة فلا يأخذن منه شيئا .. بم تأخذ مال أخيك بغير حق) [1].

[1]) سنن الدارمي ج ٢ /٢٥١، ٢٥٢ .

الوسائل المساعدة في الزراعة :-

عرف أهل الحجاز غي عهد الرسول ﷺ كثيراً من الأدوات والآلات التي يستفاد منها ذلك الوقت في الزراعة فقد عرفوا :-

المحراث:- وكان يسمي عند أهل المدينة (سكه) وهي الحديدة التي تحرث بها الأرض وتجر بواسطة حيوان أو إنسان.

الفأس :-

كان من الآلات الحديدية التي عرفت في عصر الرسول ﷺ واستفيد منها في الزراعة، كما استفيد منها في البناء والاحتطاب وغيرها.

كلب الحرث :-

وهو الكلب المستخدم في حراسة المزرعة وقد كان في عصر الرسول ﷺ، ووضع البخاري في كتاب المزارعة باب اقتناء الكلب للحرث وقد أجازه الرسول ﷺ[1] حينما حذر من اقتناء الكلب إلا كلب حرث أو كلب صيد أو كلب رعي.

السانية :-

وهي الآلة التي تقوم بإخراج الماء من البئر وتتكون من مجموعة من الأوعية مربوطة بالحبال بطريقة معينة يتم إنزالها إلى البئر وسحبها

١) انظر (فتح الباري) ج ١٠ /٧٠ .

مـرة أخـرى، بعـد امتلائهـا بواسـطة بعـد الحيوانـات، كالجمـال، أو البقر، أو الحمير.

كما عرفت لدى المزارعين في الحجاز :

السـواقي: وهـي القنـاطر الـتي تحمـل الميـاه مـن البئـر وتقـوم بتوزيعـه داخـل البستان، كما عرفت:

السدود : وهي تختلف بالطبع حسب المناطق فهي في المدينة سدود صغيرة كـان يقيمهـا أصـحاب المـزارع في الحـرات القريبـة مـنهم أو في أشـجارها لتجمع لهم السيل أيام المطر ثم يرسلونه إلى مزارعهم، وفي الطائف تعتبر السـدود أكـبر نسـبياً، ولـو أن السـدود اشـتهرت في الطـائف في عهـد عثمان بن عفان ﷺ فيما بعد إلا أنه من المرجح وجود بعض السدود قبل تلك الفترة وربما قبل الإسلام أيضاً.

الإنتاج الزراعي

التمور :-

كان التمر خير زاد للعرب في أسفارهم وتنقلاتهم في الصحراء لأنه يحمل عدة مزايا لا تتوافر في غيره من الأغذية الأخرى، فهو لا يحتاج إلى طبخ، كما أنه ذا قيمة غذائية عالية، إضافة إلى سهولة حمله في التنقلات والأسفار، حيث كانت القوافل تحمله معها للتموين.

كما أن المسلمين كانوا يحملونه في أثناء غزواتهم مع رسول الله ﷺ، كما كان يزود الرسول ﷺ به أصحابه في السرايا التي يبعثها، فقد ورد أن الرسول ﷺ زوّد سرية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بجراب فيه تمر، حتى قلّ عليهم التمر فكان الواحد منهم يمص التمرة ويشرب عليها الماء [1].

وقد كان التمر خير زاد للأعراب في الصحراء للمزايا التي ذكرناها لإضافة إلى أنه مع اللبن يشكل غذاء كاملاً، كما أن نوى التمر غذاء للحيوانات، حيث يستخدم كعلف لها، وكان مفيداً جداً وكان الناس يهتمون به حتى أن رسول الله ﷺ حين قسّم أموال خيبر بعد فتحها كان ضمن ما قسّمه على الصحابة النوى [2] ولعل أحسن ما قيل في النخيل ما قاله صاحب نخل من أهل عُمان عنها حيث قال: (إن النخل حملها غذاء، وسعفها ضياء، وجذعها بناء، وكربها صلاء، وليفها رشاء، وخوصها وعاء، وفروها إناء)[3].

---

[1]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٥ .
[2]) انظر مقاسم أموال خيبر في (السهيلي : الروض الأنف ج ٤ /٤٨) .
[3]) سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٥٦ الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت ١٩٧٤ ـ ١٣٩٤هـ .
الرشاء : الجبل، الفرو، وعاء من جذع النخل ينبذ فيه، نفس المصدر

وقد ورد في حوادث غزوة الخندق ما يدل على اعتماد الأعراب على التمر، وأنهم كانوا يقدمون إلى المدينة لشراء التمر حيث أن غطفان قد اصطلحوا مع الرسول ﷺ على أن يأخذوا ثلث ثمار المدينة ويعودوا، لولا أن سعد بن معاذ رضي الله عنه أقنع الرسول ﷺ بعدم إمضاء هذا الصلح، وأن هؤلاء الأعراب مشركون وأنهم ما كانوا يطمعون أن يأكلوا من تمر المدينة في الجاهلية إلا قرى أو بيعاً فكيف يأخذونه غصباً في الإسلام، فامتنع الرسول ﷺ عن إمضاء الصلح مع غطفان [1]، وفي هذه الحادثة دليل كبير على اعتماد الأعراب على التمور، وأنهم كانوا يقدمون إلى المدينة لشرائها من أصحاب النخيل في المدينة، كما كانوا يقدمون على غيرها من الأماكن الأخرى التي اشتهرت بإنتاج النخيل في الحجاز، كخيبر وغيرها، وقد حثّ الرسول ﷺ على وجود التمر في البيت حيث قال ﷺ لعائشة: (يا عائشة بيت لا تمر فيه أهله جياع) [2] وقد رُوي عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: (رأيت النبي ﷺ يأكل التمر بالقثا)[3].

وقد كان هناك نوع من التصنيع الخاص للتمور سواء في طريقة تخزينه أو غير ذلك، حيث كانوا يلجؤون إلى طرق عدة من أجل المحافظة على التمر أطول زمن ممكن، حيث كان يستخدم إنتاج التمر في أحد الأعوام لعدة أعوام أخرى مقبلة، فقد كانوا يقومون بكبس التمر ليسهل حمله، حيث يشغل حيزاً أقل كما أنه يحتفظ عند كبسه بطراوته لزمن أطول، إضافة إلى قلة الفساد فيه بعد الكبس، ومن ثم تغليف التمر وهو نزع نواة ثم كنزه في قرب من الجلد أو في ظروف من الخوص، ومن ثم يكبس بشدة وما كبس داخل

---

[1]) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ /٢٢٣ .
[2]) الدارمي : سنن الدارمي ج ٢ / ١٠٤ .
[3]) البخاري : الصحيح (فتح الباري) ج٢٠ /٢٧٤ .

(خصاف) فيسمى مخصوفاً [1] ولا تزال هذه الطريقة متبعة حتى الآن وهي من أقدم الطرق التي عرفت في تخزين التمور ومن أنجحها ، حيث أن الخوص يؤخذ من سعف النخيل وهو من إنتاج المزارع حيث يمر بمرحلة خاصة لنسج الخوص بحيث يصنع على شكل سلال وأكياس تستعمل في عدة أغراض ويسهل حملها ، ومن أهم استخداماتها تخزين التمور وقد كان سلمان الفارسي ﷺ ممن ينسجون الخوص [2] ، وقد عرفت في عصر الرسول ﷺ العديد من أنواع التمور التي ورد ذكرها من خلال النصوص فقد عرف منها مثلاً :-

البُرْني :-

وهو من أنواع التمر المعروفة في عهد الرسول ﷺ وقد قال الرسول ﷺ (إنه من خير تمركم وإنه دواء وليس بداء) [3].

العجوة :-

من أنواع التمور المعروفة في المدينة وقد أهدى الرسول ﷺ تمر عجوة إلى أبي سفيان بمكة فرد عليه أبو سفيان بهدية عوضاً عن هديته عبارة عن أدم في السنة الخامسة للهجرة [4].

اللينة :-

هي كرام النخل عموماً ويستثنى منها بعض العلماء العجوة والبرني [5] وهي لفظة عامة قد تدل على النخيل عموماً وقد وردت في سورة

---

[4]) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ج ٧ /٦٨-٦٩ .
(والخِصَافُ) جمع خصفة وهي سلال خاصة تعمل من الخوص لكي يحمل فيها التمر (ابن منظور: لسان العرب ؛ ج١١٧٤/٢) .
[5]) ابن حجر العسقلاني : الإصابة ج ٢ /٦٣ .
[1]) السهيلي : الروض الأنف ج ٣ /٢٥٠ .
[2]) محمد حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوي ص ٧٦ .
[3]) الشوكاني : محمد علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ج ١٩٧/٥ .
دار الفكر بيروت ـ والسهيلي : الروض الأنف ج ٢٤١/٣ .

الحشر: (ما قَطَعْتُم من لِّينَةٍ أو تَرَكتُمُوهَا قآئِمةً على أُصُولِهاَ فبإذنِ اللّه وليُخزِيَ الفَاسِقِين)[1].

عذق بن زيد :-

والعذق هو عرجون النخلة وهو ما يحمل التمر وابن زيد شخص نسب إليه النوع المذكور م التمر[٦] وقد ورد اسم هذا النوع من التمر[2] في قضاء دين أحد الصحابة الذين توفوا زمن الرسول ﷺ وهذا التمر من الأنواع التي اشتهرت في المدينة أيام الرسول ﷺ.

مناطق إنتاج التمور في الحجاز :-

كانت أهم المناطق التي تزرع النخيل وتنتج التمور في الحجاز (يثرب) أو المدينة كما سماها الرسول ﷺ وكانت الأعراب تقدم إليها لشراء التمور، وفي المدينة كان كثير من اليهود يعملون بزراعة النخيل ويهتمون بها، فقد طلب أحد اليهود من سلمان الفارسي غرس ثلاثمائة نخلة لكي يعتقه [3] كما أن أصحاب رسول ﷺ كانوا يغرسون النخل ويهتمون به انطلاقاً من قول الرسول ﷺ لهم: (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)[4].

ومن الأماكن الأخرى التي اشتهرت بزراعة النخيل وإنتاج التمور (خيبر) حيث كانت تنتج أنواعاً جيدة من التمر يدل على ذلك ما ورد في

---

[4]) سورة الحشر آية ٥ .

[5]) ابن حجر : فتح الباري ج ٩ /٢٠٢ .
[1]) السهيلي : الروض الأنف ج١/٢٥٠ .
[2]) البخاري : الصحيح، ج٣/٦٦ .

الأحاديث من قدوم التمور الجيدة من خيبر بعد فتحها، حيث أراد بعض الصحابة أن يشتروا الصاع بالصاعين من تمور خيبر لولا أن نهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك[1]. ويدل على كثرة تمر خيبر وجودته قول حسان بن ثابت رضي الله عنه في إحدى قصائده بعد إسلامه:

فإنا ومن يهدي القصائد نحونا

كمستبضع تمراً إلى أهل خيبر[2]

ومن هذا البيت يمكننا معرفة كثرة التمر ورخصه في خيبر، وأن التمر يصدّر منها ولا يستورد لها كما نفهم من خلال هذا البيت كذلك.

الأماكن الأخرى التي اشتهرت بإنتاج التمور وادي القرى وكان يقطنه أيضا جماعة من اليهود وكان به مجموعة من القرى تعتمد في حياتها على الزراعة بالدرجة الأولى ويشكّل النخيل الغالبية العظمى من مزارعهم.

كذلك اشتهرت (فدك) بإنتاج التمور[3] وهي مما أفاء الله على رسوله ﷺ حيث صالحه أهلها على نصف ثمارهم وكانوا قوماً من اليهود فكانت نصف ثمارهم تقدم إلى الرسول ﷺ فيوزعها على أبناء السبيل وينفق منها على زوجاته وأهل بيته. ومن الأماكن الأخرى التي تزرع النخل ينبع وقد أقطعها الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد تألّقت شهرتها وعرف إنتاجها بعد الرسول ﷺ[4] مما يرجح لدينا وجود هذه العيون واستغلالها في عصر الرسول ﷺ سواء من قبل علي رضي الله عنه أو غيره.

---

[3]) انظر الدارمي : سنن الدارمي ج ٢ /٢٥٨ .
[4]) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : ص ١٠٩ دار بيروت للطباعة بيروت ١٣٩٨هـ .
[1]) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ /٢٣٩ .
[2]) ياقوت الحموي : ج ٥ /٤٥٠.

الحبـوب :-

يعدّ القمح من أهم أنواع الحبوب التي كانت تزرع في الحجاز أيام رسول ﷺ، وهو البرّ المعروف وقد ورد ذكره في عدة أحاديث مناه ما يتعلق بالزكاة وغيرها وهو غذاء الناس الأغنياء[1] في ذلك الوقت، ويزرع في كثير من المناطق الحجازية في المدينة وخيبر ووادي القرى وغيرها.

ويأتي الشعير في الدرجة الأولى من حيث الأهمية بين الحبوب المأكولة، حيث تكثر زراعته في خيبر، وكان رسول اللّه ﷺ بعد فتح خيبر يعطي نسائه كل عام من شعير خيبر[2] ويعتبر الشعير غذاءً شعبياً حيث يأكله عامة الناس، وقد كانت هناك بعض الأماكن قرب (أحد) يزرعها أناس من المسلمين وتسمى الصمغة، وقد اعتدت عليها قريش في معركة أحد وأفسدتها برعي بهائمهم في هذه الزروع[3] ومن الحبوب المعروفة في زمن الرسول ﷺ (الذرة) ويدل على وجودها أن بعض كبار رجالات قريش كان يطعمها خيله كما ورد عن أبي بن خلف حيث كان يهدد رسول اللّه ﷺ قائلاً: إن عندي فرساً أعلفه كل يوم فرقاً[4] من ذرة[5]، ومن الحبوب التي كانت تعرفها قريش ويحتمل أن تكون قد زُرِعَت في الحجاز العدس والحُمص حيث أن رجال قريش كانوا يصفون الحجارة التي أصابت الفيل بأنها دون الحمص وفوق العدس[6] مما يدل على معرفتهم بها وبأحجامها فقد تكون قد زرعت في

---

[3]) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ج ٧ /٥٧ .
[4]) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٨ .
[5]) السهيلي : الروض الأنف ج ٣ /١٥٠ .
[6]) الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا أو ثلاثة أصواع .
(ابن الرفعة : أبي العباس نجم الدين الأنصاري، الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد أحمد إسماعيل الخاروف ص ٦٩ حاشية ٢) كلية الشريعة مكة المكرمة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .
[7]) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ / ٨٤ .
الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ /١٩ .
[1]) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ٢٤٩/١ .

الحجاز كما أنه من الممكن أن تكون مما يستورد في تلك الأيام، وليس لدينا ما يرجح رأياً على آخر إلا أنه من المؤكد معرفتهم بها وإلاّ لما قاسوا الحجارة بحجمها.

الفواكه :-

تعد زراعة الكروم وإنتاج العنب من أنجح الزراعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، وقد تركزت زراعة العنب بالدرجة الأولى في ذلك الوقت بالطائف، وقد كثرت في الطائف بساتين العنب، حتى أن أناساً من قريش كانوا يجعلون لهم بعض البساتين في الطائف تنتج العنب والزبيب لأغراض متعددة، وقصة الرسول ﷺ حينما حاول أن يلجأ إلى الطائف ورد فيها ذكر لبستان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأنهما أرسلا غلاماً لهما يدعى (عدّاساً) بقطيف عنب إلى الرسول ﷺ[1].

كما يدل على كثرة عنب الطائف أن الرسول ﷺ حينما حاصر الطائف أمر المسلمين بقطع أعناب ثقيف فقطعت [2] مما أغضبهم.

وكان الزبيب ينتج في الطائف بكثرة ونظراً لوفرة العنب وجودته فقد كان يصدّر إلى أماكن أخرى حتى أن بعض الصحابة في المدينة في عصر الرسول ﷺ كان يطعم ضيوفه من زبيب الطائف[3]، وقد عرفت زراعة العنب في المدينة وخيبر وغيرهما ولكن أعظمها كان في الطائف وكان الزبيب الناتج من العنب يصدّر ضمن تجارة قريش المنتشرة [4] في الشمال أو الجنوب.

---

[2]) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ / ٤٢١ .
ابن الأثير : الكامل، ج ٢ /٩٢ .
٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٤٨٣/٤ .
ابن الأثير : الكامل ج ٢/ ٢٦٧ .
٤) الإمام الذهبي : السيرة النبوية ص ٩٩ .
٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٢/ ١١٤ .

وقد ذكر الرمان من الأنواع الأخرى من الفواكه التي اشتهرت الطائف بإنتاجها في زمن الرسول ﷺ[1] ولا تزال هذه الشهرة محفوظة للطائف، كما يرجح أحد الباحثين وهو (الأستاذ محمد عزة دروزة) أن الزيتون كان ينبت في الحجاز ويستدل على ذلك بوروده في عدة آيات قرآنية[2]، كما يستدل على استخدام زيته في الحجاز، ومن المعروف وجود أشجار الزيتون البري في منطقة الحجاز ولكنها غير مثمرة وقد يكون الزيت المستخدم مستورداً من الشام أو غيرها.

وقد كانت أشجار السدر تنتشر بكثرة في الطائف وفي وادي (وج) بالدرجة الأولى وقد دهش المسلمون حين رأوها وسألوا الرسول ﷺ هل في الجنة سدر مثل سدر وج[3] فأنزل الله: (وأَصْحَابُ الْيمَينِ ما أَصْحَابُ اليَمِينِ فِي سِدرٍ مَّخْضُود)[4] الآيات ويسمى السدر (النبق)[5].

ومن الفواكه المعروفة التين وهناك بعض أنواع التين البري المعروف بالحماط يوجد في أودية الطائف ويجلبه الناس إلى الأسواق، والحماط يشبه التين إلا أن ثمره أصغر من التين وأشد حمرة ومنابته في الودية وأجواف الجبال وهو شديد الحلاوة ويدخر كما يدخر التمر[6].

كما ن الفواكه المعروفة في الحجاز التي امتدحها الرسول ﷺ وشبه بها المؤمن (الأترج) وهو معروف حتى اليوم في الحجاز وهو شبيه بالليمون إلا أنه كبير الحجم وله لحم أبيض بين القشرة الداخلية

---

١) انظر البلاذري ك فتوح البلدان ص ٦٩ .
٢) محمد عزة دروزة : عصر النبي ص ١٣٠، ١٣١ .
٣) ابن فهد، تحفة الطائف، ورقة ١١ .
٤) سورة الواقعة آية ٢٨، ٢٩ .
٥) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ /١٩٤ .
٦) جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب ص ٧ /٧٨ .
٧) انظر ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ /١٥٦ .

والقشرة الخارجية الرقيقة والحمض الموجود في الوسط ويؤكل لحمه ويستفاد من قشره في بعض الأدوية، كما يستعمل حمضه في منافع أخرى وهو طيب الرائحة[1].

الخضروات :-

لقد عرف العديد من الخضروات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ فكان مما عرف منها (السفرجل)، وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قوله في السفرجل أنه يذهب بطخاء القلب [2] مما يدل على معرفته له بل أنه ورد في رواية أخرى عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله وبيده سفرجلة فقال دونكما فإنها تجم الفؤاد [3].

كذلك مما عرف من الخضروات القثاء وكان يزرع في مكة نفسها [4] كما كان يزرع بالمدينة وقد وضع البخاري باباً في كتاب الأطعمة سمّاه باب الرطب بالقثاء[5] وقد اشتهر عند الرسول ﷺ أكله للقثاء وقد قدم جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه للرسول ﷺ جرو قثاء في إحدى الغزوات اصطحبه معه من المدينة [6] مما يدل على زراعته في بساتين المدينة.

الدباء :-

مما كان يزرع في المدينة وقد أكله الرسول ﷺ مرارا مرة مع الثريد حين دعاه خيّاط إلى طعام فكان يتبعه في الإناء[7] وقد ورد عن

---

[1]) السهيلي : الروض الأنف ج ٣ / ٣٠٠ .
٢) ابن القيم : زاد المعاد، ج ٣ / ١٦٨ .
[3]) البلاذري : فتوح البلدان ص ٥٨ .
٤) البخاري : الصحيح، ج ٦ /٢١٠ .
[5]) الإمام مالك : الموطأ ص ٧٩١ .
[6]) صحيح البخاري : ج ٦ / ٢٠٦ .

عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثروا فيه من الدباء فإنه يشد قلب الحزين[1].

البصل والثوم:

كذلك من المزروعات المعروفة بالمدينة الثوم والبصل وقد وردت عدة نصوص تفيد استخدام الثوم والبصل، منها ما ورد عن أبي أيوب الأنصاري أنه حينما كان الرسول ﷺ في منزله أول الهجرة قال: بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا فيه بصلاً أو ثوماً فلم أر ليده فيه أثراً قال فجئته فزعاً فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك وكنت إذا رددته تيممت أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة قال إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي وأما أنتم فكلوه قال فأكلناه ولم نضع له تلك الشجرة بعد[2].

الريحان :-

عرفت زراعته في الحجاز وقد ورد أن الرسول ﷺ قال: (من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة)[3] وقد كان يعتمد يعتمد عليه في صناعة الطيب، وكان من أنواع الرياحين المعروفة (الفاغية) وقد ورد في حديث عن رسول ﷺ أنه قال سيّد الرياحين في الدنيا والآخرة (الفاغية) وورد أيضا عن أنس بن مالك ﷺ قال كان أحب الرياحين إلى رسول الله ﷺ الفاغية [4]، وقد اشتهرت الطائف بزراعة

---

[4]) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ / ١٩٥ .
[1]) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ٣ /٣٩٢ .
[2]) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ / ١١٦ .
[3]) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ /١٧٧ .

الأصناف العديدة من الريحان والزهور والياسمين والورود المنوعة التي تستخرج منها العطور[1].

وهكذا فإننا نرى أن الزراعة أيام الرسول ﷺ كانت منتشرة في مناطق عديدة من الحجاز، وتلبي معظم حاجات السكان الحاضرة والبادية من المنتجات الزراعية المختلفة، وكانت لهم أساليبهم الخاصة في الزراعة كما كان لبيئتهم تأثير كبير عليهم حيث حاولوا استغلال الظروف المحيطة بهم في خدمة الزراعة حسب إمكاناتهم المحدودة، وقد كان للإسلام دور كبير في تنشيط الزراعة تمثل في توجيهات الرسول ﷺ المختلفة التي مرّ بنا بعضها والتي زادت من إحياء الناس للأراضي، وأصلحت بين الناس في العقود الزراعية وأبطلت ما كان فاسداً منها، وأعتبر المسلمون العمل والإنتاج نوعاً من أنواع العبادة يثابون عليه وخصوصاً في الزراعة، حيث أنه لا يأكل طير ولا دابة من مزرعة الرجل إلا كان له بذلك أجر كما بيّن الرسول ﷺ ذلك.

الفصل الثالث

التجارة

- تجارة قريش
- تجارة المدينة
- التجارة في مدن الحجاز الأخرى

[1]) د. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ٥١ .

- الأسواق
- السلع المتداولة
- توجيهات الإسلام في التجارة
- النقود المتداولة
- الكيل والميزان
- قياس الأطوال

التجـارة

تعتبر التجارة من أكبر الحرف وأهمها في عصر الرسول ﷺ خصوصاً في مكـة، حيث لم تكن مكة بلداً زراعياً فوهب الله أهلها القدرة على التجارة، وأجادوها كحرفة رئيسة يعمل بها الصغير والكبير والرجل والمرأة، يقول ابن خلدون عن التجارة: (إعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيّان كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً، فالمحاولة لذلك الربح إما أن يختزن السلعة وتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه السلعة)[1]، وهذه كانت حال التجارة في الحجاز وفي غيرها لا تخرج عن تعريف ابن خلدون، وقد لخصها في كلمة أخرى مختصرة حين قال: (اشتراء الرخيص وبيع الغالي) [2] وقد كانت التجارة في الحجاز منتشرة قبل الإسلام، وفيها الكثير من الظلم والبيع الحرام، حتى جاء الإسلام وكانت له توجيهات عظيمة في مجال التجارة فرفع الظلم عن التاجر وعن المستهلك وسنتعرض لكثير من مواضع التجارة باختصار وعن السلع المتوفرة وعن الأسواق المشهورة وعن النقود والكيل والميزان وسنبدأ بتجارة قريش.

تجارة قريش :-

تعتبر التجارة عند قريش إبان ظهور الإسلام من أعظم الحرف والمهن التي عرفها العرب قاطبة، وتعتبر التجارة في مكة وفيما بينها

---

[1]) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد، المقدمة ص ٣٩٤ الطبعة الرابعة مكتبة الهلال ببيروت ١٣٩٨هـ .
[2]) المصدر السابق المكان السابق .

وبين البلاد الأخرى المصدر الأول للدخل وللثراء عند أهل مكة، ذلك لأن مكة بطبيعتها لم تكن بلداً زراعياً فكانت البلد التجاري الأول في الحجاز، وكانت قريش أعظم قبائل العرب تجارة يدل على هذا أنه نزل في تجارة قريش وقوافلها قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ قريش: ١ - ٤ [١] والمراد بهذه الآيات ما كانت تألفه قريش من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، واتجارهم وأمنهم في هذه الأسفار لأنهم أهل الحرم وساكنيه[٢] وبالإضافة إلى أن أهل مكة أهل سفر وقوافل فقد كانت التجارة تقدم إليهم من الخارج في مواسم كثيرة أهمها موسم الحج، حيث إن العرب تقدم مكة للحج وللتجارة في آن واحد.

وقد قيل إن قريشاً إنما سميت (قريشاً) [لأنهم كانوا أهل تجارة وتكسب وضرب في البلاد ابتغاء الرزق يتقرشون البياعات فيشترونها، ولم يكونوا أهل زرع وضَرْع، من قولهم فلان يتقرش المال أي يجمعه][٣] وكانت تجارة قريش عظيمة ورحلاتها في طلب التجارة عديدة، حتى أنهم كانوا يُتاجرون في الصيف مع بلاد الشام.

وكانت أهم المراكز في الشام التي يصلون إليها هي (بصرى) التي وصلها الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب[٤] و(غزة) التي توفي فيها هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ وتعتبر وفاة هاشم بغزة - وهو من أوائل تجار قريش [٥] - دليلا على وصول تجارة قريش إلى غزة، وبالتالي فقد

---

[١] سورة قريش .
[٢] ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم ج ٤ /٥٥٣، دار المعرفة بيروت ١٣٨٨-١٩٧٦م .
[٣] سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ص ١٩١، الطبعة الثالثة دار الفكر بيروت ١٩٧٤م .
(التقرش) الجمع من ههنا وهنها وقيل جمع المال وغيره .
(الزبيدي، تاج العروس، ج٤ /٣٣٧) .
[٤] ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ /١٨١ الأصبهاني دلائل النبوة ص ١٢٤ .
[٥] الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج / ٣١٦ .

تكون تجارة قريش اتصلت بمصر وغيرها مما يطل على البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)، كما أن تجارة قريش اتصلت باليمن جنوباً، وهي ما يعرف برحلة الشتاء، حيث كانت العديد من قوافل قريش تتجه جنوباً ناحية اليمن، وبالتالي كانت مكة الواسعة جنت قريش الكثير[1] من الأرباح وقد قامت أدلة عديدة على وصول تجارة قريش إلى العراق وفارس مروراً باليمامة، وخصوصاً بعد تعرّض الرسول ﷺ المستمر لتجارة قريش في طريقها إلى الشام مما جعل القرشيين يميلون إلى الاتجاه إلى العراق عن طريق اليمامة، إما بهدف الإتجار مع الفرس والعرب في العراق أو بهدف الانتقال إلى الشام عن طريق العراق، وقد تعرّض لهم بعض المسلمين من سرايا الرسول ﷺ عن طريق اليمامة، فقد استطاع (زيد بن حارثة رضي الله عنه) بأمر من الرسول ﷺ أن يتعّرض لعير من قريش في السنة الثالثة من الهجرة كان فيها أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة سلك بها طريق العراق، واستطاع المسلمون الاستيلاء على هذه العير والعودة بها إلى المدينة [2] فكانت ضربة موجعة لقريش وهي ما سمي (غزوة القردة).

كما أن قريشاً قد وصلت بتجارتها إلى الحبشة دون أدنى شك فكان أهل مكة يتجرون في الحبشة، وكان الأحباش يعرفون السلع القادمة من مكة بدليل أن عمرو بن العاص أهدى النجاشي (أُدماً)[3] وقال أنه كان من أعجب ما يأتيه من مكة[4].

كما أن هذه التجارة كان لها زعماء يقودونها معروفين في البلاد التي يصلون إليها، فكان أبو سفيان معروفاً لدى الروم في الشام،

---

[6]) جواد علي : المفصّل ج ٧ /٢٨٥ .
[1]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ٥، ٦ .
[2]) (الأُدُم) جمع أديم وهو الجلد المدبوغ (الزبيدي، تاج العروس ج ٨ /١٨١) .
[3]) السهيلي، الروض الأنف ج ٢ /٨٧ .

فحين أراد قيصر الروم السؤال عن رسول الله ﷺ وحقيقته استدعى أبو سفيان وسأله[1]، كما أن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان معروفاً عند النجاشي، ولهذا رشح عمرو نفسه كي ترسله قريش إلى النجاشي لكي يؤذي أصحاب محمد ﷺ الذين هاجروا إلى الحبشة.

ومن المعروف أن التجارة في هذه الدول كانت تحتاج إلى سماح مسبق من قبل حكام هذه البلاد، فكان هؤلاء الرؤساء يقومون بذلك، كما أن القبائل التي تمر بها قوافل قريش تكون على علم مسبق، وتحمي هذه القوافل من الاعتداء عليها وإلاّ لتعرضت للغارات والسرقة[2]، فكانت بين قريش وبين هذه القبائل وهذه الدول أنواع من الاتفاقيات لتأمين هذه التجارة وحمايتها مقابل شيء معين قد يكون مالاً أو حماية بالمثل في المناطق التي تخضع لقريش، فكان هناك نوع من الاتفاقيات المتبادلة بين قريش وهذه القبائل وبين تجار قريش ودول [3] في اليمن والشام والعراق والحبشة وربما غيرها.

وقد يكون لوقوع الحج في مكة دور كبير في حماية هذه القبائل لتجارة قريش فقد كان أهل مكة يكرمون الحجاج من مختلف القبائل كما أن هذه القبائل كانت بحاجة ماسة إلى الأسواق القريبة من مكة كسوق عكاظ وغيره، فهي تخشى فيما لو اعتدت على تجارة قريش وقوافلها في بلاد أن ترد قريش بالمثل على أفراد القبيلة المعتدية ومن هنا كانت المصالح متبادلة، كما تدلنا على هذا حادثة تعذيب أبي ذر الغفاري في مكة بعد إسلامه إذ أقبل العباس على الرجال الذين يعذبونه وقال لهم: ويلكم ألستم تعلمون أنه من (غِفَار) وأنه من طريق تجارتكم

---

[4]) ابن كثير، السيرة النبوية ج ٣ / ٤٩٦ .
[5]) جواد علي، المفصّل، ج ٧ /٢٨٨ .
[1]) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ١٥٣ .

على الشام .. فكفوا عنه[1]، وبهذا نعرف حرص قريش على بقاء الود مع هذه القبائل بدافع المصلحة المتبادلة وذلك لحماية تجارتها من الاعتداء حيث كانت هناك مصالح متبادلة تتلخص فيما ألمحنا إليه من أنه لو اعتدى على أحد أفراد القبائل التي تمر بها تجارة قريش لتعّرضت قريش للقادمين إلى مكة للحج أو التجارة من هذه القبائل.

كما كان لحلف الفضول دور كبير في تأمين تجارة قريش إذ اجتمع جماعة من قريش في دار عبد الله بن جدعان واتفقوا على أن لا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حرّ ولا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا حقه وكان هذا الاتفاق قبل خمسة عشر سنة من البعثة النبوية، وقد حضر رسول الله ﷺ هذا الحلف الذي يهدف إلى رفع الظلم عن المظلومين وكان عمر الرسول ﷺ حينذاك خمساً وعشرين سنة، وقد كان هذا الحلف نتيجة لعملية ظلم وقعت في مكة، خلاصتها أن رجلاً سهمياً اشترى من زبيدي بضاعة فلم يعطه حقه فأنشد الزبيدي أبياتاً من الشعر يستحث بها قريشاً على رد مظلمته وإعطائه حقه، فاجتمع القوم واتفقوا في هذا الاجتماع على أن يكونوا يداً واحدة مع المظلوم على الظالم، وسمي (حلف الفضول)، وقال الرسول ﷺ عنه (لقد شهدت في دار ابن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو ادعى به في الإسلام لأجبت)[2].

---

[2]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٢ /٤٢٣ .
وابن حجر : الإصابة ج ٤ /٦٣ .
ابن عبد البر : الاستيعاب : (حاشية على الإصابة) ج ٤ /٦٣ .

[1]) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ٢ /٢٠٨ .
وابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفي السقا وآخرين ج ١ /١٣٤ .
والحلبي : علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (إنسان العيون ج ١ /٢١٢
دار المعرفة بيروت ١٤٠٠- ١٩٨٠م .
وابن كثير، السيرة النبوية ج ١ /٢٥٧ .

في رأي أنه كان لهذا لاتفاق على ردّ المظالم دور كبير في قدوم الكثير من التجار إلى مكة آمنين مطمئنين إلى ردّ حقوقهم إليهم، إضافة إلى تأمين تجارة قريش التي تمر بالقبائل نظراً إلى أن قريشاً أصبحت تؤمن الوافدين إلى مكة وتمنع وقوع الظلم بهم.

وكانت قريش في مكة تؤذي النبي ﷺ وأصحابه في أنفسهم وفي أموالهم، فلما هاجر الرسول ﷺ استولى مشركو قريش على أموال المهاجرين في مكة، فكان لابد للرسول ﷺ من إيقاع الأذى بقريش وبأموالها جزاء لها على ما استحلته من أموال المهاجرين، ولهذا كان الرسول ﷺ يترصد لتجارة قريش ولقوافلها فيبعث سراياه التي تعطل مسيرة هذه القوافل وتستولى على بعضها، فكان هذا العمل ضربة موجعة ضد قريش، إذ أن هذه التجارة وهذه القوافل هي مصدر القوة والمال لهؤلاء القوم.

وكان من أولى السرايا التي بعث بها رسول الله ﷺ لتعترض هذه القوافل سرية عبدالله بن جحش التي ترصّدت لعير قريش في (نخلة) (موضع بين مكة الطائف) فغنموا ما في هذه العير من أموال قريش وقتلوا وأسروا بعضهم [1] فكانت ضربة موجعة لقريش، وقد تكررت ضربات المسلمين ضد تجارة قريش فأوجعتهم وأضرت بهم، وكان هذا الأسلوب الذي اتبعه المسلمون بمثابة الحصار الاقتصادي المفروض على أهل مكة، جزاء استيلائهم على أموال المسلمين في مكة ومنعهم من خروجها، وتعذيبهم للمسلمين في مكة ولأهل المهاجرين.

ولمعرفة عظم تجارة قريش من ناحية الكم العددي للقوافل علينا أن نتبع الحركات الجهادية التي قادها الرسول ﷺ أو التي أرسلها ضد

---

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٢ / ٦٠٣ .
الواقدي : المغازي ج ١ / ١٣ .
الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ /٢٦٢ .

تجارة قريش، ففي خلال سنة ونصف قبل معركة بدر وحتى السنة الثانية من الهجرة كانت الغزوات الموجهة ضد تجارة قريش سبع غزوات [1] وهذا يعني أن قوافل قريش كانت تزيد على سبع قوافل خلال هذه الفترة الزمنية فقط، مع العلم أن الرسول ﷺ كان يعترض للقوافل المتجهة إلى الشام أو العراق فقط، وهي التي يمكن التعرّض لها من قبل جند الرسول ﷺ في المدينة، ويحتمل أن يكون مثل هذا العدد من القوافل اتجه إلى اليمن في خلال هذه الفترة أو أكثر من ذلك، ومن ناحية كبر حجم هذه القوافل التجارية نستطيع أن نؤكد كبر حجمها بدليل أن الرسول ﷺ تعرض لعير لقريش في غزوة بواط [2] وكان مقدارها ألفين وخمسمائة بعير، وهذا العدد كبير جداً مقارناً بتلك الأيام، ويتصل بهذا الأمر - أيضا - الضربات التي أنزلها بعض الصحابة الذين أسلموا في مكة ومنعوا من الهجرة إلى المدينة بموجب صلح الحديبية فقد كانت ضربات قوية لتجارة قريش، وعلى رأس هؤلاء أبو بصير [3] رضي الله عنه الذي اتخذ من (العِيص)[5] مكاناً لمهاجمة قوافل قريش التجارية وقبل هذا احتلت مكة مركزاً تجارياً مرموقاً لا يكاد يضاهيها موقع آخر في بلاد العرب قاطبة مما أكسب أهلها الثراء الشديد، فقد كانوا يشتركون في تمويل القوافل برؤوس الأموال بغرض التجارة ويجنون منها الأرباح[1]

إذ لم تكن لهم تجارة خاصة أو قيادة للقوافل ولم تكن التجارة في قريش مقصورة على الرجال فقط، بل حتى النساء كنّ يشاركْن في

---

[1] محمد عزة دروزة، عصر النبي ص ٧٤ .
[2] الواقدي : المغازي ج ١/ ١٢ .
ابن الأثير الكامل، ج ٢ / ١١٢ .
[3] (أبو بصير) هو صحابي جليل أسلم بعد صلح الحديبية مباشرة فرده الرسول إلى قريش بمقتضي الصلح ففر من قريش وأخذ يترصّد تجارتهم في العيص مع بعض أصحابه ممن أسلم حتى طلبت قريش من الرسول أن يدعوهم إلى المدينة ويسمي (عتبة بن أسيد الثقفي) (ابن حجر، الإصابة ج ٤٥٢/٢) .
[5] (العيص) ناحية ساحل البحر الأحمر على طريق تجارة قريش إلى الشام (ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ١٧٣/٤).
[1] سعيد الأفغاني: أسواق العرب ص ١٣١

هذه التجارة، فخديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال ليضاربوا لها في مالها وتجعل لهم شيئاً من العوائد، ولما علمت بأمانة محمد وصدق حديثه وكرم أخلاقه أرسلت إليه، وطلبت أن يخرج في مالها للمتاجرة إلى الشام، وأعطته أفضل مما تعطي غيره [1].

وكان من أثرياء مكة المشهورين (عبد الله بن جدعان)، وهو من أكرمهم، وكان له جفنة للطعام يأكل منها الراكب على البعير ويستعمل أواني الذهب والفضة حتى أنهم سمّوه (حاسي الذهب)[2] وكان من أثرياء مكة المشهورين - أيضا - (الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن مخزوم) وهو من أشراف مكة وكبرائها وكان لكثرة تجارته يكسو الكعبة وحده عاماً وتكسوها قريش مجتمعة عاماً آخر [3].

ومن كبار تجار قريش ومن زعمائها التجاريين والسياسيين، كذلك - (أبو سفيان بن حرب) الذي كان يقود القافلة التي أراد الرسول ﷺ التعّرض لها قبيل غزوة بدر، فكان ذلك السبب المباشر في وقوع القتال بين المشركين والمسلمين [4] في غزوة بدر واشتهر بالتجارة من قريش (أبو طالب) عمّ النبي ﷺ الذي كان يخرج إلى الشام مع تجارة قريش وقد خرج معه الرسول ﷺ إلى بصرى في الشام كما هو معروف في قصة بحيرا الراهب [5]. والنماذج عن تجارة قريش وتجارها كثيرة ويصعب حصرها إلا أننا اقتصرنا على بعض الأمثلة فقط من خلال ما

---

[1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ٢/٣٩ .
الأصبهاني، دلائل النبوة ص ١٣١ .
[2]) الفاسي، تقي الدين، تحفة الكرام مخطوط ورقة ١١٧
محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ١ /٨٧،٨٩ .
[3]) ابن الأثير : الكامل ج ٢ /٧١ .
[4]) الطبري : تاريخ الممم والملوك ج ٢ /٢٧٠ .
[5]) ابن هشام، السيرة النبوية ج ١/١٨٠
الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٢/١٩٥
ابن كثير، السيرة النبوية ج ١/٢٤٣ .

ورد في النصوص، على أساس أن هذه الأمثلة تحقق الغاية المقصودة وتكفي للدلالة عليها.

تجارة المدينة :-

تعتبر المدينة المنوّرة بلداً زراعياً بالدرجة الأولى قبل الهجرة النبوية وبعد الهجرة ولم يمنع ذلك من وجود من يشتغل في التجارة.

والتجارة قبل الهجرة النبوية كانت متركزة في أيدي يهود المدينة أكثر من غيرهم [1] حتى أن الأسواق كانت تسمى بأسمائهم، فكان فيها ما يعرف بـ (سوق بني قينقاع) [2] لأنهم كانوا أكثر المشتغلين به والمسيطرين عليه، وهي من أهم أسواق المدينة في العصر الجاهلي، وكان الناس يأتونها من كل مكان وتزدحم بهم باستمرار [3]، وكان الناس يتبايعون فيها والشعراء يلتقون فيها أيضاً، وقد كان لبعض العرب من الأوس والخزرج نشاط في التجارة، ويبدو أنه كانت لهم أسواق صغيرة خاصة بهم، مثل سوق (مزاحم) [4] إلا أن أسواق المدينة وتجارتها بصفة عامة كانت أقلّ من مكة بكثير.

وتمتاز المدينة عن مكة بمنتجاتها الزراعية من التمور وغيرها التي تجعل الأعراب يقدمون إليها لشراء هذه التمور، كما أن أهل مكة أنفسهم كانوا يأتون إلى المدينة لشراء هذه التمور وذلك مما أوجد نشاطاً تجارياً ملموساً في المدينة أواخر العصر الجاهلي، وكان اليهود

---

[5]) د. محمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي، ص ١٢٦، دمشق ١٤٠٣-١٩٨٣م .
[1]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ١ / ٣٠٤ .
٢) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٤ /١٢٣٨ .
٣) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٤ / ١٣٠٦ .
٤) محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل ص ٤٣٧ .

في المدينة يسيطرون على رؤوس الأموال ويقرضون الناس بالرِّبا وكانت هذه الأموال تساعدهم على السيطرة والنفوذ في المدينة [1].

وكما ذكرنا فقد كان للأوس والخزرج دور في تجارة المدينة إلا أن دورهم الزراعي كان أقوي من ذلك، إذ أن أشهر أسواق المدينة وهو (سوق بني قينقاع) يسيطر عليه اليهود، ويتحكمون فيه مما جعل الصبغة الغالبة على العرب في المدينة أنهم أهل زراعة أكثر منهم أهل تجارة.

وحينما هاجر الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنوّرة كان معظم المهاجرين معه من قريش وفيهم نزعة قريش التجارية فكان الكثير منهم ما إن يصل إلى المدينة حتى يسأل عن السوق فيشتري ويبيع بحثاً عن الرزق، فعبد الرحمن بن عوف ﷺ لما قدم المدينة آخى الرسول ﷺ بينه وبين (سعد بن الربيع) فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، وسوف أقسم مالي بيني وبينك وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلّت تزوجتها فقال له عبد الرحمن بن عوف: لا حاجة لي بذلك، ولكن هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق بني قينقاع، ثم إن عبد الرحمن بن عوف أخذ يتردد على السوق حتى جمع مالاً كبيراً ثم تزوج [2].

وقد كان عمر ﷺ ممن يتاجر في الأسواق بعد الهجرة حتى أنه حين فاته حديث رسول الله ﷺ قال لمحدثيه: (ألهاني الصفق بالأسواق) [3].

وحينما يأمر الرسول ﷺ أصحابه بالصدقة كانوا ينطلقون إلى الأسواق يقول أحد الصحابة (كان رسول الله ﷺ إذا أمر بالصدقة انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل فيصيب المدوان لبعضهم لمائة ألف) [1].

---

[1]) انظر، البخاري، الصحيح ج ٣ /
الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٣ /٥٣٠ .
[2]) البخاري، الصحيح ج ٣ /١٩ .

وقد أحسّ الرسول ﷺ بسيطرة اليهود على التجارة في المدينة عن طريق سيطرتهم على سوق بني قينقاع فأراد الرسول ﷺ أن يجعل للمدينة سوقاً آخر تكون السيطرة فيه للمسلمين، فضرب رسول الله ﷺ قباء في موضع (بقيع ابن الزبي) فقال هذا سوقكم، فأغاظ هذا العمل اليهود وأحسوا بخطر هذا السوق ومنافسته لهم، فجاء كعب بن الأشرف فدخل القبة وقطع أطنابها [٢]، فقال رسول الله ﷺ: لا جرم لأنقلها إلى موضع هو أغيظ من هذا، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: (هذا سوقكم، فلا ينقص منه أو لا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج)[٣].

وقد منع الرسول ﷺ أن يؤخذ على أحد كراء في السوق [٤] وقد كان اختيار الرسول ﷺ لهذا السوق موفقاً حيث كان بمثابة المدخل للمدينة للقادمين من جهة الشام أو من مكة واليمن أو من مواطن القبائل المجاورة الأخرى مما جعل سوق المسلمين يتلقى الوفود والتجار حال وصولهم إلى المدينة وقبل وصولهم سوق بني قينقاع [٥]، وذلك مما أغضب اليهود.

وزادت التجارة في سوق المسلمين بالمدينة تدريجياً نتيجة نشاط المهاجرين الذين كان أغلبهم من قريش والتجارة تجري في عروقهم، فكان أبو بكر ﷺ وعمر وعثمان رضي الله عنهما ممن [٦] يعلمون في

---

[٣]) البخاري، الصحيح، ج ٣ /٥٢ .
(وإن لبعضهم لمائة ألف حين الحديث أما حينما كانوا يحاملون في زمن الرسول فلم يكن الرجل منهم يملك شيئا يدفعه للصدقة) .
[٤]) السمهودي : وفاء الوفاء ج ٢ /٧٤٨ .
٥) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ١ /٣٠٤
البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٨ .
٦) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢ / ٧٤٩ .
٧) عبد الله بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول ص ٢٠٩ .

[١]) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٧٠٢
و(البز) الأقمشة والمنسوجات من الثياب وغيرها ـ الزبيدي تاج العروس ج ٩/٤ .

البيع والشراء وكان عثمان ﷺ وطلحة بن عبيد الله ممن يبيعون (البر) في سوق المدينة وكان الرسول ﷺ يجلس إلى البائعين في سوق المدينة ويشتري منهم وقد عرف الزبير بن العوام ﷺ تاجراً واشتهر في أسواق المدينة بذلك وقيل له يوماً بم أدركت في التجارة ما أدركت؟ فقال: لم أشتر معيباً ولم أَرُدّ ربحاً والله يبارك لمن يشارك، وقد كان الزبير يشارك في رحلات تجارية من المدينة إلى الشام أيام الرسول ﷺ، فقد لقي الزبير رسول الله ﷺ في ركب من المسلمين كان الزبير معهم وهم تجار قافلون من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاء [1]، وقد كان الكثير من الصحابة يرحلون في قوافل تجارية إلى الشام بعد الهجرة النبوية.

وقد حدث أن قدمت إلى المدينة تجارة من الشام والرسول ﷺ قائم يخطب على المنبر يوم الجمعة فانصرف الناس عن الرسول ﷺ وذهبوا إلى العير حتى لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً [2] فنزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الجمعة: ١١ وقد كان أحد الصحابة وهو طلحة بن عبيد الله ﷺ غائباً في تجارة إلى الشام فقدم بعد أن رجع رسول الله ﷺ من غزوة بدر فكلم الرسول ﷺ فضرب له بسهم فقال وأجري يا رسول الله يريد إشراكه في أجر المقاتلين في سبيل الله ببدر فقال الرسول ﷺ: وأجرك خمسة نفر [3]، وكان كثير من الأعراب فيما حول المدينة يقدمون إليها

---

[2]) البكري، بهجة النفوس والأسرار، مخطوط ورقة ٢٠
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٦٩٨ .
[3]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ٦
ابن كثير، تفسير القرآن ج ٤ / ٣٦٧
الترمذي، سنن الترمذي ج ٥ /٤١٤ .
[5]) السهيلي، الروض الأنف ج ٣ / ٨٧ .

لشراء التمور وبيع ما لديهم من إنتاج كالسمن والأقط والأغنام والإبل فكان للأعراب فيما حول المدينة دور كبير في تنشيط التجارة فيها.

وقد كانت أسواق المدينة كغيرها من أسواق الحجاز تعرض فيها السلع المختلفة سواء منها المنتجة محلياً والمستوردة من بلاد أخرى كالشام وغيرها.

وتمتاز أسواق المدينة عن غيرها بكثرة ما يعرض فيها من إنتاج زراعي من تمر وحبوب أنتجت محلياً في المدينة، بالإضافة إلى سلع أخرى كالجلود والسلاح ومختلف أنواع الطعام، كما أن سوق المدينة كانت تعرض فيه الإبل والغنم والخيل للبيع ولها أماكن مخصصة من السوق فقد كان عبد الله بن عمر ﷺ ممن يبيعون الإبل في (البقيع)[1] والسمسرة معروفة في المدينة أيام الرسول ﷺ، وهي الدخول بين البائع والمشتري[2]، وكانوا في سوق المدينة يسمون السماسرة، فقد ورد في حديث عن أحد الصحابة قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نسمى السماسرة، فقال يا معشر التّجار إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدقة)[3] فدلّ على ذلك تسميتهم بالسماسرة وأن الرسول ﷺ سماهم التجار.

والرسول ﷺ رغم انشغاله بالجهاد في سبيل الله إلا أنه أخذ يراقب أسواق المدينة بنفسه ويصدر توجيهاته لمن يرتاد السوق، فقد زار السوق مرة (ووجد عند أحد البائعين طعاماً فأعجبه حسنه فأدخل رسول الله ﷺ يده في جوفه فأخرج شيئاً ليس بالظاهر فأفف لصاحب الطعام ثم قال: لا غش بين المسلمين من غشنا فليس منا)[4].

---

[1]) الدارمي، سنن الدارمي ج ٢ / ٢٥٩ .
[2]) جواد علي، المفصّل ج ٧ / ٤١٣ .
[3]) الترمذي، سنن الترمذي ج ٣ / ٥١٤ .
[4]) سنن الدارمي ج ٢ /٢٤٨
الترمذي، سنن الترمذي ج ٣ /٦٠٦ .

وكان للرسول توجيهات كثيرة سار عليها المحتسبون فيما بعد، وكانت أساساً للبيوع في الإسلام كما وارد في كتب الحسبة، والتي سنعرض لها في موضعها، وقد أخذ الخلفاء الراشدون والمسلمون من بعدهم أحكاماً كثيرة من زيارات الرسول ﷺ للأسواق فكان أبو بكر ﷺ فيما بعد يراقب الأسواق بنفسه وكان عمر ﷺ يراقب الأسواق أيضاً، ويعيّن من يراقب معه في حضوره أو في غيابه، وبفضلهم قلّ الغش في الأسواق وهؤلاء هم الذين عرفوا بالمحتسبين في كتب النظم الإسلامية.

<u>التجارة في مدن الحجاز الأخرى</u>:-

لقد كان لمدن الحجاز الأخرى كالطائف وخيبر أسواق تجارية، وكان لأهلها دور كبير في التجارة، إلا أننا نلمح أن أسواق الطائف وخيبر المشهورة هي الأسواق الموسمية كسوق عكاظ قرب الطائف وسوق نطاة في خيبر، أما الأسواق الدائمة فأكثر ما ورد فيها من النصوص ما ذكر عن أسواق المدينة أيام الرسول ﷺ ما نقله كُتّاب الحديث والسير، ولا يخفى على أحد أن للطائف دوراً كبيراً ومهماً في تجارة قريش بل إن الطائف تعتبر المصدر الرئيسي الأول لتجارة قريش الصادرة من الحجاز سواء في مجال تصنيع الجلود وبيعها، أم في مجال إنتاج الزبيب وخلافه من المنتجات الزراعية الأخرى التي تحملها تجارة قريش إلى الشام واليمن، إضافة إلى قدوم الكثير من القبائل إلى الطائف للتزود بالطعام من إنتاج الطائف الزراعي، كما وادي القرى (شمال المدينة) وغيره لا يخلو من أسواق شبه دائمة وإن لم تسعفنا

المصادر بشيء عن ذلك إلا أن المرجح عندي عدم خلو أي قرية كبيرة من أسواق تجارية شبه دائمة في تلك الأيام.

الأسواق:-

تعتبر بلاد الحجاز من أكثر بلاد العرب تجارة وثراء، وقد تميّزت عن غيرها بكثرة أسواقها وعظمها في الجاهلية، فكان في كل مدينة في الحجاز سوق قائم طوال العام كما كان هناك بعض الأسواق الموسمية المهمة، وهي ما سنتعرض له بشيء من التفصيل فقد كان هناك بعض الأسواق العظيمة في بلاد الحجاز والتي يغشاها عامة العرب للكسب والشراء وتقصدها البضائع من فارس واليمن والشام، فكانت تجتمع فيها مختلف أنواع السلع، وكان لها أيام معينة من السنة، وأشهرها عند العرب عموماً (سوق عكاظ) حيث يقدم الناس إليه للتجارة ثم للحج بعده نظراً لقرب زمن الحج من زمن السوق، ثم ينصرف الناس عنه إلى (سوق مجنة) ثم إلى (ذي المجاز) ثم بعد الحج إلى (سوق نطاة) في خيبر، وكل هذه الأسواق من أسواق الحجاز التي عرفت في الجاهلية والإسلام وكانت لها شهرتها الواسعة التي ملأت كتب الأدب من خلال ما يجري فيها من مناظرات ومفاخرات إضافة إلى التجارة وقد كان الرسول ﷺ يرتاد هذه الأسواق حتى كان من جملة انتقاد بعض الكفار له أنه كان يتردد على الأسواق، وقد ذكر من خلال القرآن الكريم حين قال اللّه تعالى: (وقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يأَكُلُ وَيَمشِي فِي الأسْوَاقِ لَولاَ أُنزِل إِلَيهِ مَلَكْ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) [1] ثم إن اللّه سبحانه وتعالى أجاب عن نبيّه بقوله: (وما أرسَلنَا قَبْلَكَ مِنَ المُرسَلِينَ إلا إِنَّهُمْ لَيَأكُلُون الطَّعَامَ ويَمَشُونَ فِي الأَسواَق وَجَعَلنَا بَعَضكُم لَبَضٍ فِتنَة

[1]) سورة الفرقان آية ٧ .

أَتصبِرُون وَكَان رَبُكَ بَصِيراً)[1] وهكذا نرى دفاع اللّه عن نبيه من خلال القرآن الكريم، ومن هذا الدفاع يتبين لنا أن مشي الرسول ﷺ في الأسواق لم يكن عيباً يعاب عليه وإنما كان الأنبياء قبله كذلك، وكان مشي الرسول ﷺ قبل النبوة للتجارة ثم كان مشيه بعد النبوة لتبليغ دعوته وعرض نفسه على القبائل، حيث بذل الرسول ﷺ جهداً كبيراً امتد قرابة عشر سنوات في التردد على هذه الأسواق والمواسم خصوصاً ما كان منها قرب مكة محاولاً بذلك دعوة الناس إلى اللّه، مما سنفصله في حينه. وقد وضع البخاري باباً في كتابه الصحيح سماه (باب الأسواق التي كانت في الجاهلية فتبايع بها الناس في الإسلام) ثم أورد حديثاً عن عبد اللّه بن عباس ﷺ قال: (كانت عكاظ ومجنه وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل اللّه: (ليس عليكم جناح ـ في مواسم الحج)[2] وهذا الحديث الوارد عن ابن عباس يدل على الأسواق القائمة حول مكة قبل الإسلام كما أنه يصحح تحرّج الناس منها بعد الإسلام، ونزول آيات من القرآن تمنح الناس حق التجارة أثناء موسم الحج وتجيز لهم وذلك وهو قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ البقرة: ١٩٨ [3] وهكذا أجاز للناس التعامل مع هذه الأسواق في الإسلام إلا أن هذه الأسواق مع تطور الزمن والحوادث انقطعت في أوقات مختلفة خلال القرن الثاني الهجري، فقد هُجِرَ سوق عكاظ في سنة ١٢٩ هجرية بعد ثورة الخوارج الحروية، ثم هجرت مجنة

---

[2]) سورة الفرقان آية ٢٠ .
[3]) البخاري (الصحيح) فتح الباري ج ٩ /١٧٢ .
[1]) سورة البقرة آية ١٩٨ .

وذو المجاز بعد ذلك واكتفي الناس بعد سقوط هذه الأسواق بأسواق مكة ومنى وعرفه [1] وسنفصل قليلاً في حديثنا عن كل سوق منها على حدة.

سوق عكاظ:-

(عكاظ) اسم لمكان بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال [2] جنوب شرقي مكة [3]، وعكاظ مكان لهوازن وثقيف وهي الغالبة فيه [4]، ولها دور في تنظيمه.

وكان سوق عكاظ يقام في هذا المكان في كل عام وهو أعظم أسواق العرب قاطبة [5]، وأكثرها وروداً في أشعارهم وأخبارهم وملأت شهرته الآفاق وحفت الكتب بأخباره، ويقوم هذا السوق ابتداء من أول شهر ذي القعدة حتى العشرين منه [6] وعلى أرجح الأقوال، وربما بدأ السوق قبل ذلك حيث يكون بعض التجار قد وصلوا قبل موعد السوق بأيام إلا أن عظمة السوق وقوته وشدته تبدأ من أول ذي القعدة وتنتهي في العشرين منه.

وكما هي العادة في جميع أسواق العرب كانت هذه الأسواق مجالاً للمفاخرة والمناظرة وإنشاد الشعر وتحكيمه [7] إلا أن ما يهمنا من هذه السوق هو الجانب التجاري فيها وفي رأينا أنه جانب أساسي فيها.

---

[2]) الأزرقي، أخبار مكة ج ١ /١٩٠ .
[3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٤ /١٤٢ ـ الزبيدي ن تاج العروس ج ٥ /٢٥٤ .
[4]) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٢٨٦ .
[5]) د. ناصر بن سعد الرشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشاطاته وموقعه، الطبعة الأولى، دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٧هـ، ص ٢٨ .
[6]) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٦٧ .
[7]) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٢٨٨، والزبيدي تاج العروس ج ٥ /٢٥٤، جواد على، المفصّل ج ٧ /٣٨٧ .
[8]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ١ /٢٦٧ .

وقد كان يجتمع في سوق عكاظ التجار من مختلف بلاد العرب من الحجاز والبحرين واليمن واليمامة، وعمان والعراق، ومن سائر أطراف الجزيرة، فهي سوق عامة لجميع التجار، وكان مما يشجع الناس على القدوم إلى عكاظ بتجارتهم أنها تقام في الأشهر الحرم، وبالتالي تتميز بالأمن حيث تعارف العرب بينهم على عدم الاعتداء على أحد خلال هذه الأشهر، كما أن هذه السوق تميّز عن غيره بعدم فرض ضرائب أو مكوس على من يحضرون السوق ولاسيما عدم وجود من (يعشر) الناس في هذا السوق (أي يأخذ عليهم ضريبة تقارب العشر)[1] حيث كانت معظم الأسواق الأخرى (تعشّر) كما أن قرب عكاظ من مكة وقرب موعدها من موسم الحج كان من شأنه أن يشجّع الناس على القدوم إليها للتجارة، ثم التوجه بعدها إلى أسواق مجنة وذي المجاز ثم ينتهي بهم المطاف إلى الحج، ومن ثم يعودون إلى بلادهم، فلكل هذه الأسباب وغيرها أزدهرت هذه السوق بمختلف البضائع التي يحملها الناس من الشام أو اليمن أو الحيرة أو البحرين أو فارس أو الحبشة حتى غدت سوقاً تجارية رابحة يجد الناس فيها في الغالب ما يطلبونه من بيع أو شراء وقد كان القرشيون من أحرص الناس على شهود هذه السوق نظراً لأن القرشيين كانوا يجلبون إليها في تجارتهم مختلف السلع من الشام واليمن ويسوقون أكبرها عن طريق هذه السوق.

وقد كانت هذه السوق تعج بألوف المتسوقين من العرب وغيرهم مما يشجّع التجار على جلب سلعهم [2]، يقول الشاعر عن كثرة المتسوقين:

---

[1]) ابن حبيب، المحبر ص ٢٦٧
وسعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٢٩١
وجواد على، المفصّل، ج ٧ /٣٧٩ .

[2]) د. ناصر الرشيد : سوق عكاظ ص ٤٨ .

إذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف [1]

ويقول الشاعر الآخر:

يا قوم قد وافى عكاظ الموسم تسعون ألفاً كلهم ملائم [2]

وكان أشراف العرب يرسلون عِيرهم إلى عكاظ لتبيع لهم وتشتري بضائع أخرى، وكان على رأس هؤلاء (النعمان بن المنذر) ملك الحيرة وأحد ولاة كسرى على العرب، فقد كان يرسل ما يعرف بـ (اللطيمة)[3] وهي قافلة تقدم من فارس إلى سوق عكاظ، وتحمل معها الطيب والأقمشة الفاخرة ومختلف البضائع من فارس ويتحمل حمايتها رجال من العرب ينتدبهم النعمان بن المنذر وعندما تبيع هذه القافلة ما معها من بضائع، تشتري بضائع أخرى بديلة من جلود الطائف أو برود اليمن مما يندر وجوده في بلاد فارس [4] وتعود بها إلى الحيرة، لذلك اعتبرت عكاظ من أغنى أسواق العرب بالسلع المتنوعة التي تختلف من إنتاج للبادية كالسمن والأقط، والأغنام، والإبل وغيرها [5]، ومن مختلف أنواع المصنوعات من سلاح وأوانٍ وغيرها، تجلب من اليمن والشام وفارس، يضاف إلى ذلك كرائم الخيل التي كان يجلبها العرب والفرس[1]، وهكذا يجد كل طلبته في هذا السوق، كما أن هذا السوق لا يخلو من الرقيق الذي يجلبه العرب وغيرهم ليباع في هذا السوق ويقبضوا الثمن، وكان الرقيق الذي يجلب إلى سوق عكاظ هم في الغالب ممن أُسروا في عمليات السلب والنهب بين القبائل العربية، ويدل على ذلك شراء أم المؤمنين خديجة بنت خويلد لزيد بن حارثة مولى

---

[3]) الزبيدي، تاج العروس ٥ / ٢٥٤ .
[4]) ابن حبيب : المحبر ص ١٨٢ .
[1]) ابن حبيب : المحبر ص ١٨٢ .
[2]) وسعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٢٧٩
و ناصر الرشيد : سوق عكاظ ص ٥٩
٣) جواد على، المفصّل، ج ٧ /٣٧٩ .
٤) الحلبي، السيرة الحلبية ج ١ /٤٣٨ .
[1]) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٢٨١

الرسول ﷺ من سوق عكاظ [1]، وقيل إنه بيع بسوق حُباشة [2]، وقد شهد رسول الله ﷺ سوق عكاظ وغيرها من الأسواق التي قرب مكة قبل البعثة النبوية، وكان رسول الله ﷺ في عكاظ حين قصدها (قس بن ساعدة الأيادي) وقال موعظته المشهورة التي مطلعها (أيها الناس اسمعوا وعو من عاش مات ومن مات فات) إلخ، وبعد النبوة امتدح الرسول ﷺ قس بن ساعدة ومواعظه وقال عنه: (يرحم الله قسًّا إني لأرجو الله أن يبعث يوم القيامة أمة واحده)[3].

وبعد البعثة النبوية بثلاث سنوات كان الرسول يشهد سوق عكاظ وغيره داعياً الناس للإسلام (مكث رسول الله ﷺ ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلّغ رسالات ربه ولهم الجنة فلا يجد أحد ينصره ولا يجيبه حتى أنه سأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، ويقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا العرب وتذل لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة، وأبو لهب وراءه يقول لا تطيعوه فإنه صابيء كاذب فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون قومك بك أعلم)[4] فكان الرسول ﷺ من خلال هذه الأسواق كما نرى يدعو الناس إلى الدين الجديد مستغلاً فرصة هذا التجمع الكبير.

سوق مجنة :-

---

٥) السهيلي، الروض الأنف ج ١ / ٢٨٦ .
٦) القلقشندي، نهاية الأرب ص ٩٥
سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٣١٤ .

[1]) الصالحي، الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٢ /٥٩٣ .

(مجنة) موضع يقع في مر الظهران على مسافة أميال من مكة، وتقوم فيه سوق مشهورة كل عام يتوافد إليها العرب من كل مكان وأكثر من يقصدها الحجاج بتجارتهم[1]، وتقوم هذه السوق بعد الفراغ من سوق عكاظ مباشرة في العشر الأواخر من شهر ذي القعدة [2]، وتتسم بنفس الطابع الذي تتسم به الأسواق الأخرى من بيع وشراء ومفاخرة ومناظرة وتنتهي هذه السوق مع هلال ذي الحجة، حيث ينتقل الناس منها إلى سوق ذي المجاز، ويبدوا أن مجنة موضع مياه، وهذا ما نفهمه من خلال ما قاله بلال رضي اللّٰه عنه، عندما تمثل باليت الذي يقول:

وهل أرِدَنْ يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل[3]

سوق ذي المجاز :-

ماء قريب من عرفة لهذيل تقوم فيه سوق للعرب يتبايع الناس فيها ويشترون، وكان لقربها من مكة دور كبير في نشاط هذا السوق إضافة إلى أن سوقها موسمي يقوم أول يوم التروية وهو اليوم الثامن[4] أي قرابة أسبوع أو أكثر قليلاً، ويحضر هذا السوق وفود الحجاج من سائر العرب ممن شهد عكاظاً أو مجنة قبلها، وممن لم يشهدهما ويجري في

---

[2]) السهيلي، الروض ج ٣ / ١٦
ومحمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ١ /٢٦٦ .
وياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٥ / ٥٩ .
[3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٥ / ٥٨
وسعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٣٤٥ .
٤) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٣ / ٤٢٩ .
[1]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٥ / ٥٥
وابن حبيب، المحبر ص ٢٦٧
ومحمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ١ /٢٧٠ .
والأزرقي، أخبار مكة ج ١ /١٨٩ .
٢) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٣٤٨ .

سوق ذي المجاز البيع والشراء بين سائر العرب وتجارهم كما أنها لا تخلوا من المناظرات الأدبية كما يجري عادة في الأسواق[1]، ولقرب أيام الحج من أيام السوق فان السوق تزدهر بمختلف التجار من العرب كما تزدهر بمختلف البضائع.

سوق دومة الجندل :-

بلدة تقع في الطريق بين الشام والحجاز، وبين الشام وهجر وفي منتصف الطريق بين المدينة والشام.

كانت دومة الجندل سوقاً مشهورة في الجاهلية وليست داخلة ضمن الحجاز إلا أنها في العصور الإسلامية كانت من أعمال المدينة [2]، وهي بلد زراعة ونخيل قبل الإسلام وقد افتتحها الرسول ﷺ سنة تسع من الهجرة وأسر صاحبها أكيدر ثم صالحة وأطلقه وكتب له كتاباً.

وكانت سوق الجندل سوقاً يقصدها العرب ابتداء من أول شهر ربيع الأول حتى نهايته [3] وكان يقصدها كثير من النبط وأهل الشام للبيع والشراء فكانت مركز التقاء بين أهل الحجاز وأهل الشام وأهل فارس [4]، ولهذا فهي سوق مزدهرة بمختلف أنواع البضائع، وكان يتولى الحماية فيها (أكيدر دومة الجندل) أو رؤساء بني (كلب) [5] .

سوق نَطَاة :-

(سوق نطاة) أحد الأسواق التجارية الموسمية في بلاد الحجاز.

---

٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٢ / ٤٨٧ .
٤) القلقشندي، نهاية الأرب ص ٤٦٤ .
٥) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ٢٣٢ .

[1]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ١ / ٢٦٤ .

ونطاة اسم لموضع في خيبر [1] تقوم فيه السوق، وكان لقرب خيبر لبلاد الشام ولما لأهلها من حذق تجاري ـ وهم في الغالب يهود ـ دور كبر في ازدهار هذا السوق وفي كثرة السلع المعروضة فيه، إضافة إلى أن خيبر من أكبر وأهم المحطات التجارية التي تقع على طريق التجارة بين الشام واليمن كما أنها تقع على طريق تجارة قريش إلى الشام[2] وبالعكس يضاف إليه ما تتميز به خيبر من إنتاج وافر من التمور، كل هذا جعل سوق نطاة من أهم الأسواق العربية في بلاد الحجاز، وقد تميز أهل خيبر بالثراء نتيجة العمل في الزراعة والتجارة، وقد ظهر هذا الثراء حين فتح الرسول ﷺ خيبر ووجد فيها الكثير من الموال والكنوز، وتقوم سوق نطاة من يوم عاشوراء إلى آخر المحرم [3] أي بعد موسم الحج وربما كان لهذا الموعد دور في مرور عدد من الحجاج أو القوافل بخيبر خلال تلك الأيام.

سوق بدر :-

هي الموضع المعروف الذي وقعت فيه معركة بدر بين المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ، وبين المشركين [4]، وتدل النصوص على أن بدراً كان يقام بها سوق كل عام ولابد أن هذا السوق كان للتجارة وغيرها كعادة العرب في أسواقهم المختلفة يقول الطبري: (قال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً وكان بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع له بها سوق كل عام) [5].

---

[2]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥ / ٢٩١ .
[3]) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٣٥٦ .
[4]) ابن حبيب، المحبر ص ٢٦٧
جواد علي، المفصّل ج ٧ /٣٧٧ .
[5]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ١ /٣٥٨ .

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٢ / ٣٧٦ .

سوق حُباشَة :-

(حباشة) مكان في تهامة يبعد عن مكة ست ليالي إلى الجنوب على طريق اليمن وكانت تقوم فيه سوق للعرب من مختلف القبائل وهي تتوسط الطريق بين اليمن والحجاز، لذلك تأتيها التجارة من كلا الجهتين فيلتقي بها التجار، وقد قصدها الرسول ﷺ للتجارة في مال خديجة رضي الله عنها [1] ويعتبر سوق حُباشة من الأسواق التي تفيد منها الحجاز إفادة خاصة، لقربها من مكة وإن كانت داخلة ضمن تهامة.

❖ ❖ ❖

هذه باختصار الأسواق الموسمية المشهورة والتي تقوم في بلاد الحجاز مباشرة أو على أطرافها في أيام معينة من السنة ويقدم إليها العرب من الحجاز وغيرها وقد يقدم إليها غير العرب، كالفرس أو الروم أو النبط أو القبط وهي بلا شك أسواق كبرى للتجار لترويج بضائعهم، وللصناع لبيع مصنوعاتهم، وللمزارعين بيع منتجاتهم، وللأعراب لبيع ما يتوفر لديهم من البهائم، وما تنتجه أغنامهم من أقط وسمن وخلافه، كما أن هذه الأسواق لم تكن تقتصر على التجارة بل كانت تشمل الدب وترويج الشعر والتفاخر، وكان يقوم فيها حكام يفصلون بين الشعراء كما في سوق عكاظ وغيره.

وهكذا فإن هذه الأسواق تفتح باباً كبيراً من الرزق لأصحاب الحرف عموماً وللتجار خصوصاً، ولا يخفى علينا قيام أسواق أخرى

---

[1]) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٢ / ٢١٠
وسعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ٢٥٩ .

للعرب في مختلف الأماكن إلا أننا هنا لم نتعرّض إلا للأسواق التي كانت تقوم في الحجاز.

وقد كانت هذه الأسواق في الحجاز ذات علاقة قوية بموسم الحج زمانياً ومكانياً، فقد كانت تقوم سوق عكاظ من أول ذي القعدة حتى العشرين منه، ثم تقوم بعدها سوق مجنة في العشر الأواخر من ذي القعدة حتى هلال ذي الحجة حيث ينتقل الناس بعدها إلى سوق ذي المجاز التي تبدأ من أول يوم من ذي الحجة وتنتهي في اليوم الثامن منه فكان لهذه الأسواق علاقة كبرى في الحج حيث يبتديء الناس بالوفود إلى عكاظ في ذي القعدة وينتقلون بالتدرج نحو المشاعر حتى يدركهم الحج وهم في مكة ويؤدون الحج ثم يتفرقون بعد أن جمعوا بين الحج وشهود هذه الأسواق.

السلع المتداولة :-

إن الأسواق في بلاد الحجاز تتوفر فيها العديد من السلع بمختلف أنواعها ، فأهل مكة بطبعهم أهل تجارة يجلبون الكثير من السلع ويصدرون سلعاً أخرى من إنتاج الحجاز ، كما أن الطائف والمدينة وخيبر وغيرها بلاد زراعية يقصدها الأعراب من كل مكان لكي يحصلوا على الطعام والإنتاج الزراعي من تمور وزبيب وحبوب وغيرها فكل هذه تعتبر من السلع الرئيسة التي تتوفر في أسواق الحجاز ، والأعراب في الحجاز تتوفر لديهم بعض السلع من إنتاجهم كبعض المنسوجات الصوفية أو الإنتاج الحيواني من إبل وغنم وخيول ، كما تتوافر لديهم مشتقات الألبان من أقط وسمن فيقومون بجلبها إلى الأسواق في المدن ، وفي الأسواق الموسمية كسوق عكاظ وغيره ، كم أن هناك بعض الإنتاج الصناعي كالأسلحة أو المنجورات تعرض في الأسواق ، وكل هذه الأشياء إضافة ما يجلب عن طريق القوافل تمثل السلع المعروضة في أسواق الحجاز.

وسوف نتعرض للسلع المصدَّرة والمستوردة لمعرفة أنواعها ، وجدير بالذكر أن عملية التجارة من وإلى الحجاز تعتمد على الإستيراد والتصدير وهذه العملية أساس تجارة مكة بالإضافة إلى نقل البضائع من اليمن إلى الشام وبالعكس عن طريق مكة ، ولابد من معرفة ما يصدّر من الحجاز إلى هذه البلاد ، وما يجلب إلى الحجاز من هذا البلاد.

السلع المستوردة :-

تعتبر المنسوجات المختلفة على رأس السلع المستوردة إلى مكة سواء هذه المنسوجات اليمانية أم الشامية أم المنسوجات المجلوبة من هجر

[1] في البحرين فقد ورد أن تجاراً جلبوا (بزاً) [2]، من هجر إلى مكة فاشتري منهم رسول الله ﷺ (سراويل) [3].

وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه (باب التجارة في البز وغيره) [4] وهذا يدل على انتشار التجارة بها.

وقد كان هناك في المدينة زمن الرسول بزازون في سوقها وقد جلس إليهم الرسول ﷺ واشتري منهم سراويل [5] وقد قدم الزبير بن العوام في تجارة الشام وكسا الرسول ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً مما معه [6]. وكان مما يجلب إلى الحجاز البرد اليمانية والثياب العدنية والنجرانية وقد ورد في حديث أنس بن مالك قال: (كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ) [7] الحديث، وقد ورد في حديث آخر عن أنس بن مالك قال (كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحُبْرَة) [8] والحبرة من البرد اليمانية، وقد توفي رسول الله ﷺ وعليه كساء مصنوع باليمن [9]، وكانت هناك أنواع من الثياب تأتي من الشام إلى الحجاز منها ما يعرف بـ (القَسّيِ) [10] وهي تصنع في مصر وتأتي عن طريق الشام.

وكان الحرير يباع في أسواق المدينة أيام الرسول ﷺ، وقد نهى الرسول ﷺ المسلمين من الرجال عن لبس الحرير وهو بطبيعة الحال مُصدّر إلى الحجاز غير مصنّع فيها [11]، والأمثلة عن الملابس المستوردة وأنواعها كثيرة في كتب الحديث ويصعب حصرها.

---

[1]) هجر هي قصبة بلاد البحرين (الزبيدي ن تاج العروس ج ٣ / ٦١٣ وهي في شرق الإحساء حالياً
[2]) (البز) هي الثياب والبزاز بائع الثياب (الزبيدي، تاج العروس ج ٤ /٧).
[3]) الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية ص ٥٩٢ ز
والدارمي: سنن الدارمي ج ٢ /٢٦٠.
[1]) البخاري، (الصحيح) فتح الباري ج ٩ / ١٤٣.
[2]) الكتاني: التراتيب الإدارية ج ٢ / ٣٣.
[3]) البكري: بهجة النفوس والأسرار مخطوط ورقة ٢١.
[4]) البخاري (الصحيح) فتح الباري ج ٩ / ١٤٣.
[5]) المصدر السابق ج ٢٢ / ٣١.
[6]) ابن حجر، فتح الباري ج ٢٢ / ٣٢.
[7]) المصدر السابق ج ٢٢ / ٤٩، ٥٠.
[8]) المصدر السابق ج ٢٢ / ٥٦.

وكان مما يستورد إلى بلاد الحجاز السلاح بمختلف أنواعه من سيوف ودروع وتروس ورماح وغيرها رغم أن بعضها كان يصنع محلياً إلا أن كثيراً منها كان يستورد من أماكن مختلفة حتى أنهم كانوا يعرفون السيوف المصنوعة في الهند ويسمونها (المهنَّد) [1] وقد كانت (جُرَشْ) [2] في ناحية اليمن من أكثر البلاد صنعاً للسلاح .

وكان أهل الحجاز يعرفون هذا السلاح المصنوع في جرش ويجلبونه في تجارتهم [3]، وتعد تجارة السلاح عندهم من أربح الأعمال التي تدر الموال على التجار فهم يشترون السلاح من صناعة ومن أسواقه ويبيعونه بسعر أعلى لمن يحتاجه [4].

كما أن المصنوعات المعدنية الأخرى، من الحديد [5]، سواء الأواني أو الآلات والأدوات الزراعية والصناعية كانت مما يجلب إلى بلاد الحجاز في تجارة قريش وغيرها إضافة إلى ما كان يصنع منها محلياً في الحجاز ويسوّق في أماكن صناعته أو في أماكن أخرى من نفس المنطقة.

كما أن (الطيب) بمختلف أنواعه كان مما يستورد إلى الحجاز زمن النبي ﷺ سواء منه ما كان على شكل دهن أو ما كان على شكل بخور [6]، إضافة إلى أصناف العطارة الأخرى من زعفران أو أعشاب يستفاد منها في مجال الطب وغيره.

---

[9]) الزبيدي، تاج العروس ج ٢ / ٥٤٧ .
[10]) جُرَشْ، مدينة من مخاليف اليمن من ناحية مكة ولا تزال أطلالها قائمة على وادي بيشة جنوب غرب المملكة (ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٢ / ٢١١، ود. أكرم العُمري، المجتمع المدني، الجهاد ص ١٢٧ .
[1]) جواد علي، المفصّل ج ٧ /٣٠٨ .
[2]) جواد علي، المرجع السابق نفس المكان .
[3]) المرجع السابق .
[4]) جواد علي، المفصّل ج ٧ / ٣٠٧

والزيت كان على رأس السلع التي كان يشتريها تجار الحجاز من الشام لصفائه ونقاوته [1]، ويعتبر الطعام من حنطة وشعير مما يجلب إلى بلاد الحجاز من الشام، وقد اشتهر عن قافلة (دحية بن خليفة الكلبي) التي قدمت والرسول ﷺ يخطب يوم الجمعة أنها كانت تحمل طعاماً [2] .

كما أن التجار كانوا يجلبون بعض الرقيق إلى الحجاز ويبيعونهم هناك، يدل على ذلك شراء خديجة رضي الله عنها لزيد بن حارثة من سوق عكاظ أو من سوق حباشة [3] وكما ورد في قصة سلمان الفارسي التي تعتبر دليلاً على هذه التجارة [4] .

كما أن الخمور المستوردة من بصرى وغزة في الشام كان العرب يطلبونها في الجاهلية ويفتخرون بها [5].

ولعل هناك أصنافاً أخرى من البضائع لم تصل إلينا كانت تستورد أيضا إلى بلاد الحجاز.

السلع المصدرة :-

إن تجارة الحجاز عموماً وتجارة قريش خصوصاً تعتمد على الاستيراد والتصدير، من وإلى الحجاز، والتصدير بطبيعة الحال يحتاج إلى إنتاج للسلع المصدّرة (وهي عصب التجارة) وكان معظم ما يصدر من الحجاز تحمله قوافل قريش التجارية إلى اليمن والحبشة أو إلى الشام أو إلى العراق إضافة إلى ما تنقله من تجارة الشام إلى اليمن أو بالعكس.

ومن المعروف أن مكة بلد تجارة أو ن أهلها يتولون عمليات صادرات الحجاز التجارية في الغالب، إلا أن هذه السلع المصدّرة في

---

[5]) جواد علي، المفصّل ج ٧ / ٢٩٣ .
[6]) ابن كثير، تفسير القرآن، ج ٤ / ٣٦٧ .
[7]) الحلبي، السيرة الحلبية ج ١ / ٤٣٨ .
[8]) ابن هشام، السيرة النبوية ج ١ / ٢١٨ .
[9]) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ١٩٦ .

كثير من الأحيان تنتج في أماكن أخرى غير مكة، وكان على رأس السلع المصدّرة من الحجاز (الأدم)، وهي الجلود التي تمت دباغتها بجودة [1]، وقد اشتهرت الطائف بدباغة الجلود في تلك الأيام وكثرت المدابغ واشتغال معظم القوم بها [2]، وقد كان الأدم يصل إلى الحبشة طريق تجارة قريش المتجهة إلى اليمن يقول عمرو بن العاص أنه أهدى إلى النجاشي أدما كثيراً : (وأنه كان من أعجب ما يأتيه من مكة) وذلك عند سفره للحبشة في محاولة قريش استرجاع المهاجرين المسلمين الأوائل [3] كما أن الجلود كانت تجلب من اليمن وتصدر إلى الشام وخصوصاً (جلود البقر) [4].

إضافة لذلك فإن بعض الحيوانات كانت تصدر من الحجاز كالإبل والغنم أو الخيول العربية الأصيلة فقد ورد أن أبا سفيان دخل وافداً مرة على كسرى وأهدى له أدما وخيلاً فقبل الخيل وردّ الأدم [5]، وهذا يدل على تصدير الخيل من بلاد الحجاز إلى فارس وربما يكون أبو سفيان اشتراها من نجد في الطريق حيث تشتهر نجد بالخيول العربية الأصيلة في تلك الأيام ولكن بلاد الحجاز لم تكن خالية من الخيول الأصيلة التي تصلح للتصدير ...

كما أن بعض المنتجات الزراعية كالتمور مثلاً كانت تصدر من المدينة ومن خيبر ومن وادي القرى ومن غيرها إلى مختلف القرى في الحجاز وإلى الأعراب في نجد وربما وصلت إلى الشام أيضا خصوصاً تمور خيبر لقربها من الشام كما أن الطائف اشتهرت بتصدير الزبيب،

---

[1]) الزبيدي، تاج العروس ج ٨ / ١٨١ .
[2]) د. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف، ص ٥٤ .
[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ١٠٣ .
[4]) جواد علي، المفصّل، ج / ٢٩٣ .
[5]) سعيد الأفغاني، أسواق العرب ص ١٢٨ .

وتصدير الخمور قبل الإسلام [1]، مع أنهم كانوا يستوردون أنواع الخمور من الشام والعراق.

توجيهات الإسلام في التجارة :-

لقد ظهر الإسلام وعند العرب تجارة لا بأس بها كما أن عندهم نظماً تجارية وأنواعها من البيوع محصها الإسلام فأقرت الشريعة بعضها وحرمت بعضها، وبالتالي تغيرت التجارة وطرقها ونظمها عند العرب بعد الإسلام نتيجة لهذه التوجيهات، فالإسلام في الأساس عني بالزراعة وبالتجارة وبالصناعة، وبكل ما له دور فعّال في دخل الفرد وبكل مصادر الرزق الحلال وجعل الاشتغال بذلك من العبادة وقد عني الإسلام بالتجارة خاصة، ورغم انشغال الرسول ﷺ وأصحابه بالجهاد إلا أنهم قرنوا ذلك بالعمل وابتغاء الرزق رغم إيمانهم بالقضاء والقدر، والعمل عندهم لا ينافي التوكل على الله بل كانوا يعملون ويتوكلون على الله [2]

.

وقد كانت أولى توجيهات الإسلام في التجارة هي (تحريم الربا) حيث كان الربا معروفاً ومنتشراً عند قريش في مكة وعند اليهود في المدينة وثقيف في الطائف فلما نزل القرآن بتحريمه في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾البقرة:٢٧٥

[1] د. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ٤٩ .
[2] د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، الطبعة الخامسة، مكتبة وهبة القاهرة ١٣٩٧هـ، ص ٢٩٥ .

[1]، ثم توالت الآيات محذرة من الرِّبا، يقول اللّه تعالى : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٦ [2].

ثم يحث القرآن الكريم المؤمنين على ترك الربا وأن يدعوا ما لهم من الرِّبا عند الناس فيقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٧٨ [3]، وكان العباس عم النبي ﷺ صاحب ربا في الجاهلية فوضعه الرسول ﷺ وقال (ألا إن كل ربا في الجاهلية موضوع لكم رؤوس أموالكم لا تظلِمون ولا تُظلمون وأول ربا موضوع ربا العباس) [4] .

كما أن الرسول ﷺ حثَّ المتبايعين على التسامح فقال ﷺ (رحم اللّه عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى) [5] .

وكان القرآن يحث التجار على التجاوز عن المعسرين فيقول اللّه تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٠ [6] وقد أبطل هذا التشريع ما كان جارياً عند العرب من أن الرجل إذا لم يستطع وفاء دينه أخذ عبداً في مقابل ذلك أو أخذ أحد من أولاده [7].

وقد حثّ الإسلام على كتابة الدين في الصكوك مخافة الوقوع في الظلم أو الخطأ في التجارة عن عمد أو عن غير عمد لحفظ حقوق الآخرين وقد جاء ذلك في أطول آية وردت في القرآن الكريم وهي آية

---

[1]) سورة البقرة آية ٢٧٥ .
[2]) سورة البقرة آية ٢٧٦ .
[3]) البقرة آية ٢٧٨، ١٧٩ .
[4]) الشوكاني، فتح القدير ج ١ / ٢٩٩ .
[5]) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٣ / ٦٠٩ .
والبخاري، الصحيح، ج ٣ / ٩ .
[6]) البقرة آية ٢٨٠ .
[7]) أنظر : قصة بلال مع المشرك الذي اقترض منه في كتاب، حماد بن إسحاق، تركه النبي، تحقيق د. أكرم العُمري ص ٧٤ .

(الدين) حيث يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٢ [1] الآية، فالإسلام أيدّ الكتابة وأمر بها وذلك إقامة للعدل في التجارة، وكان الرسول يكتب أحياناً ما يبيعه ويشتريه فقد ورد نص صك بيع للنبي ﷺ والصك هو (هذا ما اشتري العدّاء بن خالد بن هوذة من محمد رسول ﷺ اشتري منه عبداً أو أمة (شك الراوي) لا داء ولا غائلة ولا خبيثة بيع المسلم للمسلم) [2].

وقد حثّ الرسول ﷺ على الصدق في البيوع وأن البركة في ذلك فقال (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما) [3] .

وقد نهى الرسول ﷺ عن الحلف لإنفاق سلعة فقال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وذكر منهم والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)[4]، وقد حثّ الإسلام على عدم الغش وإظهار العيب الموجود في السلعة فقال الرسول ﷺ في حديث سبق (من غشنا ليس منا) [5] .

ونهى الرسول ﷺ في بيع البهائم عن التصرية وهو أن يحجب البائع لبن البهيمة التي يريد بيعها لعدة أيام ثم يعرضها في السوق فيظن المشتري أن بها لبناً كثيراً فقال عليه السلام (من اشتري شاة مصراة أو لقحة مصراة فهو بالخيار ثلاثة أيام فإن ردّها رد معها صاعاً من طعام لا سمراء

---

[8]) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

[1]) الترمذي، سنن الترمذي ج ٣ / ٥٢٠
محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي ص ٣١٧ .
[2]) البخاري، الصحيح ج ٣ / ١٨ .
[3]) الترمذي، سنن الترمذي ج ٣ / ٥١٦ .
[4]) سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٤٨، وسنن الترمذي ج ٣ / ٦٠٦ .

) [1]، وقد أمر الرسول ﷺ بأداء الأمانة إلى أهلها وذلك ما يدعم التجارة ويوحد الثقة بين الناس حتى أنه أمر المسلم بأداء الأمانة ولو كانت لخائن فقال الرسول ﷺ: (أدِ الأمانة إلى من أئتمنك ولا تخن من خانك) [2] .

وقد منع الإسلام الاتجار بالأشياء المحرّمة كالخنزير أو الخمر بعد تحريمها فعن أبي سعيد الخدري قال: كان عندنا خمر ليتيم فلما نزلت سورة المائدة سألت رسول اللّه ﷺ عنه وقلت أنه ليتيم فقال: (أهريقوه) [3] وقد نهى الرسول ﷺ عن الاحتكار فقال (لا يحتكر إلّا خاطي) [4] .

كما نهى الإسلام عن بيوع كثيرة كانت معروفة عند الناس في الجاهلية مثل بيع الغرر وهو بيع العبد الآبق أو الطير في السماء أو نحوه وكذلك بيع الحصاة وهو أن يلقي حصاة على البيع فيجيب البيع [5].

وقد نهى الإسلام عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها كل هذا مخافة أن يقع ظلم على المشتري، ومن الأشياء التي نهى عنها الإسلام (أن يبيع حاضر لباد، وهو أن يبيع صاحب الحضر لصاحب البادية وأراد الشرع بذلك أن يصل صاحب البادية بنفسه إلى السوق ويبيع بسعر يومه دون أن يظلم أو يُظلم، كما نهى عن النجش وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شرائها كما نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه وهو أن يقول لمن اشتري سلعة في زمن الخيار افسخ البيع لأبيعك بأقل منها أو يقول للبائع افسخ لاشتري بأزيد [6].

---

[5]) سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٥١ .
[6]) الترمذي، سنن الترمذي ج ٣ / ٥٦٤ .
[7]) سنن الترمذي، ج ٣ / ٥٦٥ .
[8]) سنن الترمذي، ج ٣ / ٥٦٧ .
[1]) سنن الدرامي ج ٢ / ٢٥٤ .
وسنن الترمذي ج ٣ / ٥٣٢ .
[2]) ابن حجر، فتح الباري، ج ٩ / ٢١٣ .
٣) البخاري، الصحيح ج ٣/ ٢٨ .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقي الركبان والشراء منهم حتى يصلو السوق، فقد ورد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال : (كنا نلتقي الركبان فنشتري منهم الطعام فنهانا النبي ﷺ أن نبيعه حتى يبلغ به السوق) [1] .

وقد وضع البخاري باباً في كتابه الصحيح سماه (باب النهى عن تلقي الركبان وأن بيعه مردود لأن صاحبه عاص آثم إذا كان به عالماً وهو خداع في البيع والخداع لا يجوز، وقد استنتج الفقهاء أن تلقي الركبان يوقع الظلم بصاحب السلعة القادم فقد يكون لا يعلم بسعرها الحقيقي، وجعلوا له الخيار فيما لو وجد أنه باع بأقل من سعر السوق، كما أن السوق نفسه يتضرر بتلقي الناس الركبان خارجه [2]، فالتنافس الشريف في البيع والشراء في السوق دون غبن أحد وظلمه ودون احتكار من أحد هو ما يطلبه الإسلام من التجار عموماً.

وقد كان الرسول ﷺ يراقب الأسواق بنفسه وقد طلب بعض الصحابة من الرسول ﷺ أن يسعر للناس ولكن الرسول ﷺ امتنع من ذلك مخافة أن يقع الظلم على أحد من الناس، فقد ورد في حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (غلى السعر على عهد رسول الله ﷺ فقال الناس يا رسول الله : غلا السعر فسعّر لنا، فقال الرسول ﷺ: إن الله هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعر وإني أرجو القي ربي وليس أحد منكم يطلبني مظلمة ظلمتها إياه بدم ولا مال) [3] .

---

٤) ابن حجر، فتح الباري ج ٩ / ٢٣٦ .

[1]) سنن الدارمي : ج ٢ / ٢٤٩ .
٢) البخاري : الصحيح، (فتح الباري) ج ٩ / ٢٥٢

وقد نهى الرسول ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها [1] وكان هذا يجري في المدينة في العصر الجاهلي حيث كانوا يبيعون التمر في نخله قبل بدو صلاحه، فتقع فيه آفة أو تجتاحه جائحة فيقع النزاع بين البائع والشاري فنهى الرسول عن ذلك، كما أن الإسلام وضع تشريعاً لما يعرف بالغبن وهو أن يكون المشتري أو البائع جاهلاً بحيث يبيع بأقل من السعر الصحيح بكثير أو يشتري بأكثر من السعر بزيادة بينة، كما أن تشريع الشفعة في الإسلام منع إيقاع الظلم على الشركاء .

وإن لتشريع الإسلام في الزكاة دوراً كبيراً في نمو التجارة وفي حرص أصحابها على تحريك رؤوس الأموال حيث أنها بحاجة إلى زكاة سنوية تدفع للمساكين، فأصبحت الزكاة من عوامل تحريك رؤوس الأموال واستغلالها في التجارة، فقد كان الصحابة إذا كان لديهم مال ليتيم حرصوا على تشغيله حتى لا تفنيه [2] الزكاة فتحركن رؤوس الأموال بطريقة أو بأخرى، ولم يمنع الإسلام المسلمين من البيع والشراء من الكفار، فقد اشتري رسول الله ﷺ شاة من مشرك [3]، كما أن الرسول ﷺ كان يقترض من اليهود ويتبايع معهم فقد ورد في حديث عن عائشة رضي الله عنها : (أن النبي ﷺ اشتري طعاماً من يهودي إلى رجل ورهنه درعاً من حديد) [4] .

إضافة لذلك فإن حركة الجهاد لها دور كبير في تنشيط التجارة، فكان الناس بحاجة إلى السلاح فنشط سوقه كما أن الغنائم التي كان يجلبها المسلمون تباع وتشتري في الأسواق بعد تقسيمها فكان لها دور كبير في نمو الحركة التجارية وازدهارها .

---

٣) ابن سلام : الأموال ص ٥٤٨ .
٤) ابن حجر : فتح الباري ج ٩ / ٢٨٠ .
٥) البخاري : الصحيح ج ٩ / ١٥٠ .

وهكذا نرى أن الإسلام كان له توجيهات خاصة في مجال التجارة أصلحت من تنظيمها وشجّعتها وأبعدت الظلم عن البائع والمشتري.

فهذه التوجيهات مما لا شك فيه صادرة عن الرسول ﷺ بوحي من الله الذي يعلم ما يصلح العباد فيأمر به ويعلم ما يفسدهم فينهى عنه، وقد كان لتحريم الربا دور كبير في منع الظلم عن كثير من الناس كما أمر الإسلام بالتسامح في البيع والشراء كان له دور كبير في صفاء قلوب الناس وتحابهم وهكذا وضع الإسلام الأسس العامة للتجارة وحثّ عليها مما دفع المسلمين إلى أن يجوبوا أقطار الأرض تجاراً ودعاة إلى الإسلام في سياق واحد، بل يجعلون التجارة وسيلة لنشر الإسلام.

النقــود المتداولـة:

من المعروف أن عرب الحجاز في العصر الجاهلي لم تكن لهم دولة قائمة، ولم يكونوا يعرفون ضرب الدراهم أو الدنانير أو أي شيء من النقود المتداولة، لأن هذا بطبيعة الحال يقضي وجود دولة قوية تقوم بهذه العملية .

وحين ظهر الإسلام استمر الحال في أوله على ما عليه في العصر الجاهلي من نقود معروفة وذلك سائر زمن النبي ﷺ وسائر خلافة أبي بكر رضي الله عنه وصدراً من خلافة عمر رضي الله عنه حيث بدأ بضرب أول دراهم إسلامية [1]، وقد ذكر البعض أن أول من ضرب السكة في الإسلام هو عبد الملك بن مروان [2] ولا يهمنا هذا وإنما نريد الوصول إلى عصر الرسول ﷺ لم يكن فيه سوى نقود مضروبة خارج بلاد الحجاز وسنتعرض لها ولتفصيلاتها وأوزانها ومصادرها من خلال ما يتوفر لدينا من مادة البحث محاولين الاقتصار على أهم الأنواع المعروفة والتي أقرَّها النبي ﷺ وسميّت بعد ذلك بالشرعية ومن خلال النصوص الواردة عن التعامل بالنقود في عصر الرسول يتبين لنا وجود نوعين أساسيين من النقود كانت معروفة لدى الحجازيين هما:

(الدنانير) وهي تضرب في الدولة البيزنطية، وتصل إلى الحجاز عن طريق التعامل التجاري مع بلاد الشام والحبشة .

(الدراهم) وهي تضرب في الدولة الساسانية في فارس وترد إلى الحجاز عن طريق التجارة مع العراق [3] سواء عن طريق التّجار الحجازيين

---

[1]) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ص ٤٢٣ الطبعة الخامسة دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠م .
د. محمد ضياء الدين الريّس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص ٣٥١، ٣٥٦، الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م .

[2]) أبو يعلى، الأحكام السلطانية ص ١٨٠ .

[3]) انظر، البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٥٢

الذين يصلون بلاد فارس أم عن طريق التّجار القادمين الحيرة إلى أسواق العرب أو عن طريق بلاد اليمن التي كانت تخضع للنفوذ الفارسي أواخر العصر الجاهلي وأوائل العصر النبوي، كذلك لا يستبعد تعامل أهل الحجاز بنقود أخرى قد تكون مضروبة في اليمن وفي بلاد الحبشة وذلك لقوة الصلات التجارية بين الحجاز وبين هذين البلدين في تلك الأيام [1]، ولقدرة هذه الدول على ضرب السكة الخاصة بها.

وقد ورد ذكر للدينار في القرآن الكريم في ذكر آيات الأمانة عند أهل الكتاب في قوله تعالى ﴿ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ٧٥ ﴾ آل عمران: ٧٥ [2] الآية كما ورد ذكر للدراهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ ﴾ يوسف: ٢٠ [3].

أ- الدينار :-

الدينار المعروف في عصر الرسول ﷺ هو الدينار البيزنطي وهو من الذهب الخالص وهو مستدير وعليه صورة الإمبراطور البيزنطي الذي ضُرب في عهده [4]، وكان الناس يتعاملون به وزناً إذا كثر، لا بها عداً، أما إذا كان قليلاً فيستعمل فيه العدّ، ويزن الدينار ٤,٢٥ غرام [5] وقد أقرّ الرسول ﷺ هذه الدنانير على ما كانت عليه في الجاهلية [6] وتزن

وأبو يعلي، الأحكام السلطانية ص ١٧٥
وابن سلام، الأموال ص ٦٢٩ .
١) جواد علي، المفصّل ج ٧ / ٤٩٥
٢) سورة آل عمران آية ٧٥ .
٣) سورة يوسف آية ٢٠
٤) سمير شمّا، النقود المتداولة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، بحث مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض ١٤٠٢-١٩٨٣م .
٥) د. محمد ضياء الدين الريّس، الخراج والنظم المالية ص ٣٦٣
وابن الرفعة، أبي العباس نجم الدين بن الرفعة الأنصاري ت ٧١٠، كتاب الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق د. محمد أحمد إسماعيل الفاروق، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة، ١٤٠٠ هـ ص ٤٩ (الحاشية).
ود. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٤٢٧ .
٦) نورة الشيخ، الحياة الإجتماعية والاقتصادية في المدينة في صدر الإسلام ص ١٥٠ جدة ١٤٠٣ – ١٩٨٣م .
٧) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٥٢ .

كل سبعة دنانير عشرة من الدراهم [1]، وهي ما سمي لدى الفقهاء بالدينار الشرعي تمييزاً لها عن غيرها فيما لو اختلف وزنها .

وكانت الدنانير تستعمل بكثرة زمن النبي ﷺ وقد فرض الرسول الجزية على أهل الكتاب ديناراً من ذهب على كل بالغ، فقد أمر الرسول معاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن أن يأخذ من كل بالغ ديناراً أو مقابله من الثياب كما أخذ الرسول من نصارى نجران جزية ديناراً عن كل بالغ [2] والدنانير الكثيرة عند العرب إذا بلغت أربعة الآف دينار سميت (قنطاراً) [3].

ب- الدرهم :-

كان الدرهم الفارسي الساساني هو المعروف في بلاد الحجاز [4]، وكان قطعة مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش يمثل الجزء العلوي من صورة الملك الساساني الذي ضُربت هذه الدراهم في عهده، وتكون الصورة على جانب الوجه، وعلى ظهر القطعة صورة حارسين، بأسلحتهما، وبينهما موقد النار الذي يسهران على حراسته، وهو يرمز إلى عبادة الفرس للنار وهم (مجوس)، وعلى بعض الدرهم شيء مكن الكتابات الفارسية الساسانية ، ترمز على عهد الملك الذي ضُربت في عهده وفي الهامش توجد بعض الصور للقمر والنجوم [5]، وكان الناس في

---

[1]) ابن سلام، الأموال ص ٣٥
وابن يعلي، الأحكام السلطانية ص ١٥٥ .
[2]) الزبيدي، تاج العروس ج ٣ / ٥٠٩ .
٣) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٥١، وابن سلام، الأموال ص ٦٢٩ .
٤) وأبو يعلي : الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .
٤) سمير شمّا : النقود المتداولة في عصر الرسول، ص ٦ بحث مقدم للندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، كلية الآداب، جامعة الرياض ١٤٠٢-١٩٨٣م .
٥) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٥٢، ٤٥٣ .

في الحجاز يتعاملون بهذه الدراهم وزناً لا عداً، وذلك راجع إلى اختلاف هذه الدراهم من حيث الوزن والحجم اختلافاً كبيراً يصعب معه استعمال العدّ فكان الدرهم عندهم وزن ستين شعيرة [1]، ويحتمل أن تكون قد وجدت بعض الدراهم التي ضربت في اليمن أو الحبشة واستعملها الناس فكانت مما دفع الناس أكثر إلى استعمال الوزن بدل العدّ لاختلاف مصدر الدراهم واتفاقها في أنها فضة .

وقد استخرج العديد من الباحثين بعملية حسابية وزن الدرهم فحددوا بعد عدة مقارنات أن وزن الدرهم = ٢,٩٧٥ غراماً والدرهم الشرعي المتفق عليه هو ستة دوانق، فالدانق ٢,٩٧٥÷٦=٠,٤٩٥ والدانق قيراطان،

فالقيراط٠,٢٤٧٥ من الغرام [2] ، وقد كان معروفاً في العصر الجاهلي أن الدراهم تزن كل عشرة منها سبعة دنانير [3]، ويبدو أن استخدام الدراهم في عهد الرسول ﷺ كان هو الشائع آنذاك فقد كان صداق الرسول ﷺ لنسائه في الغالب خمسمائة درهم كما وردت في ذلك الروايات [4] .

وقد حددت زكاة الفضة بمائتي درهم ففي كل مائتي درهم خمسة دراهم وهي تساوي نصف العشر أي ٢,٥٪ والنصوص التي وردت في البيع والشراء بالدرهم كثيرة (والدرهم) هو الوزن المعين من الفضة كما هو معروف في زمن النبي، وليس العدد المعين وذلك لاختلاف

---

١) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤٢٨
ود. محمد ضياء الدين الريّس، الخراج والنظم المالية ص ٣٦٦
وابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، تحقيق د. محمد أحمد إسماعيل الفاروق ص ٦١ (حاشية) .
٢) البكري : بهجة النفوس والأسرار، ورقة ٢٢٤ .
٣) أبو يعلي : الأحكام السلطانية، ص ١٢٥، ابن سلام، الأموال، ص ٥٠٠، والمارودي : الأحكام السلطانية ص ١١٩ .
٤) ج ٣ / ٦ .

أوزان الدرهم، وهكذا فإن الذهب المتمثل في الدينار، والفضة المتمثلة في الدرهم كانا أساس العملة النقدية المتداولة في بلاد الحجاز، وربما كانوا يتداولون الفضة والذهب بأوزان أخرى، وتمثل لديهم هذه الأوزان المعينة قيمة الدينار أو الدرهم.

ومن خلال دراسة النصوص يتبين لنا أن هناك أناساً كانوا يعملون بـ (الصرافة) وهي استبدال نقد بنقد آخر وهم في عملهم هذا يشبهون ما يعرف بالصرّافين في هذه الأيام، وقد كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يعملون بالصرافة، فقد ورد في صحيح البخاري : أن البراء بن عازب وزيد بن أرقم سُئِلا عن الصرف فقالا : (كنا تاجرين على عهد رسول الله ﷺ فسألنا رسول ﷺ عن الصرف فقال إن كان يدا بيد فلا بأس وإن كان نساء فلا يصح) [1] ويبدو من خلال الحديث (أن البراء بن عازب) (وزيد بن أرقم) كانا يعملان في الصرافة فاستشارا الرسول فأقرَّهما على عملها إذا كان يدا بيد ونهاهما عن النسيئة وهو المؤجل، فكأن الصرافة كانت ضمن الحرف التجارية المعروفة في زمن النبي ﷺ .

<u>الكيل والميزان</u> :-

وضع الإسلام أهمية خاصة للعدل في الكيل والميزان وحث على عدم بخس الناس حقوقهم يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ ﴾ الرحمن: ٧ - ٩ [2]، فهذه الآيات الثلاث المتتالية ورد فيها اسم الميزان بالنص وأمرت الناس بالعدل والقسط في الوزن.

---

[1]) الرحمن آية ٩، ٨، ٧.

وفي موضع آخر يقول الله تعالى عن دعوة شعيب قومه للعدل في الميزان : ﴿ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥ [١].

ويقول في آية أخرى عن دعوة شعيب لقومه : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ هود: ٨٥ [٢] ويقول تعالى في الميزان ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ ﴾ الشورى: ١٧ [٣] ويقول الله تعالى ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ الإسراء: ٣٥ [٤]، ويقول الله تعالى في آية أخرى مذّكراً بأهمية الوفاء بالكيل والميزان ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٢ [٥]، كما يقول الله تعالى في آية أخرى في مطلع سورة المطففين ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ المطففين: ١ - ٦.

وهذه الآيات في مجملها تعطينا صورة واضحة عن تقدير الإسلام للوفاء في الكيل والميزان وعدم هضم حقوق الآخرين، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، وإذا علمنا أن القرآن سمى إحدى سوره بـ (المطففين) وهم الذين يبخسون في المكيال والميزان فإذا اشتري منهم أحد

---

[٢]) الأعراف ٨٥ .
[٣]) هود ٨٥ .
[٤]) الشورى ١٧ .
[٥]) الإسراء ٣٥ .
[٦]) سورة الأنعام آية ١٥٢ .

نقصوه في الوزن وإذا اشتروا من أحدٍ زادوا في الوزن فذمُّوا بذلك وتوعَّدهم الله وهذه الفئة من التجار كانت موجودة فعلاً في المدينة فنزلت هذه الآيات [1] في حقها .. تكشفها وتحذر من يحذو حذوها.

ويبدو أن الأسواق في مكة والمدينة كان فيها أناس مختصون يقومون بالوزن للناس، نظراً لأن كثيراً من الذين يجلبون إلى الأسواق ليسوا تجاراً مقيمين فقد يكونون من المزارعين أو من الأعراب أو الصناع يجلبون ما عندهم من سلع ويتقاضون قيمتها ثم يرحلون وهم بهذه الطريقة بحاجة إلى من يقوم بوزن ما يتقاضونه من ثمن لها، خصوصاً إذا علمنا أن الدراهم المستعملة كانت تؤخذ وزناً لا عداً، فبذلك يحتاجون إلى موازين دقيقة وإلى وزانين أمناء، ويمكن الاستئناس بما ورد في الحديث من (أن الرسول ﷺ مرَّ بالسوق وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له ﷺ : (زن وأرجح) [2] ومما يستأنس به أيضا على وجود أناس مختصين يمتهنون الوزن كما ورد في صحيح البخاري حيث وضع باباً سماه (الكيل على البائع والمعطي) وقد شرح ابن حجر ذلك بقوله (أي مؤنة الكيل على المعطي بائعاً كان أو موفٍ دين أو غير ذلك ويلتحق بالكيل في ذلك الوزن فيما يوزن) [3] فدل بذلك على أن هناك قيمة لمهنة الوزن بحيث نطمئن إلى أن هناك وزانين مختصين .

ومن المعروف بديهاً أن للكيل وللوزن دوراً كبيراً في الحياة التجارية لدى مختلف الأمم وفي كل الأزمنة، وبلاد الحجاز مثلها مثل أي مكان في العالم كانت لها موازينها ومكاييلها الخاصة بل إننا قد نجد أن بعض المدن تتميز عن بعض باختلاف الموازين واختلاف

---

[1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ٤ / ٤٨٣ .
[2]) الدارمي، سنن الدارمي ج ٢ / ٢٦٠ .
والكتاني، التراتيب الإدارية ج ٢ / ٣٣ .
[3]) فتح الباري ج ٩/ ٢٠٠ .

المكاييل، وفي هذه الحالة كان هناك نوع من المعادلة دون شك بين وزن بلد ووزن البلد الآخر وفي الكيل كذلك، وإن مما زاد من قيمة الوزن في الحجاز أيام الجاهلية وزمن الرسول أن الناس كانوا يتعاملون بالدراهم والدنانير عداً لا نقداً [1]، كما ذكرنا . فكان للوزن قيمة كبيرة ولا شك أن الوزن كان دقيقاً للغاية نظراً لأنهم كانوا يزنون الدرهم، والدرهم معروف وزنه حالياً في المقاييس الحديثة بأنه (٢,٩٧٥ غراماً) [2] وكانوا يعرفون ما يسمي وزن الشعيرة وهو واحد من الستين من وزن الدرهم [3] على أرجح الأقوال .

وهناك اختلاف كبير عند الفقهاء حول مل يساويه الدرهم من الشعير، فبعضهم يرى وزن الدرهم (٦٠حبه) والبعض يراه (٧٠حبه) والبعض يراه (٢/٥ ٥٠حبه) [4]، وبناء على هذا الاختلاف الكبير فقد اختلف بعض الباحثين في وزن الحبة كم يساوي (٠,٠٥٨٩) [5] ومنهم من يرى أنها تساوي (.٠,٤٩٥ من الغرام) [6] وهذا كله يوزن بوزن الحبة من الدرهم الفضة وبإجراء عملية حسابية تتبين الآتي _ (٢,٩٧٥ ÷ ٦٠ = ٠,٤٩٥٨٣).

وقد عرفوا وزن الدينار بأن كل سبعة منه تساوي عشرة دراهم وسموا وزن الدينار مثقالاً [7] وقد عرف حديثاً أن الدينار الذهبي الشرعي وهو المعمول به في الجاهلية والذي أقرّه الرسول ﷺ وضرب في العصور

---

[1]) أبو يعلي : الأحكام السلطانية (حاشية) ص ١٧٥ .
[2]) ابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، تحقيق د. محمد الفاروق ص ٦١ حاشية
ود. صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٤٢٨
ود. محمد ضياء الدين الريّس : الخراج والنظم المالية، ص ٢٦٩ .
[3]) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٥٢ .
[4]) ابن الرافعة، الإيضاح والتبيان، تحقيق د. محمد أحمد الفاروق ص ٥١ .
[5]) ابن الرافعة، الإيضاح والتبيان، ص ٥١ .
[6]) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤٢٨ .
[7]) أبو يعلي، الأحكام السلطانية ص ١٧٥ .

الإسلامية بناء على وزنه يساوي ٤,٢٥ غراماً [١] وكانت هذه المعرفة أساساً للمقارنة في الموازين الأخرى .

وقد عرف الرسول ﷺ وأصحابه وزن الأوقية فقد ورد في قصة شراء الرسول ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه من يهود أن الرسول اشتراه بثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية من الذهب [٢] ويبدو أن الأوقية الشرعية الذهبية تختلف (وزناً) عن الأوقية الشرعية الفضية وهي التي تقاس بالدرهم، فالأوقية الشرعية الذهبية تساوي (٢٩,٧٥ غراماً) بالمقاييس الحديثة [٣] .

أما الأوقية الشرعية من وزن الفضة فهي تساوي ١١٩ غراماً [٤] وقد حدد نصاب زكاة الفضة بخمس أواقي أو مائتي درهم [٥] كما كانوا يعرفون النش وهو نصف أوقية ويساوي عشرين درهماً ـ أي قرابة (٥٩,٥غراماً) وقد عرف في الجاهلية وزمن الرسول ﷺ وزن الرطل الذي أقرّه الإسلام، وكانت توزن به الحاجيات والسلع ويمكن تقدير وزن الرطل الشرعي ١٤٢٨ غراماً مقارنة بما ورد من نصوص (أن السنة في النكاح رطلاً) و (السنة في النكاح اثنتا عشرة أوقية، والأوقية معروفة فتكون ١١٩× ١٢ = ١٤٢٨) [٦] .

.

الكيل :

كان الكيل موجوداً في مختلف بلاد الحجاز وهو رديف للوزن وبه يعرف مقدار بعض السلع أو بعض الأشياء الأخرى وتقدير كميتها

---

[٨]) ابن الرافعة، الإيضاح والتبيان، ص ٤٩ (حاشية)
ود. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤٢٧
ود. محمد ضياء الدين الريّس، الخراج والنظم المالية ص ٣٦٣ .
[٩]) الأصبهاني : دلائل النبوة ص ٢١٩ .
[١]) ابن الرافعة، الإيضاح والتبيان، ص ٥٣ (حاشية) .
٢) ابن الرافعة، الإيضاح والتبيان، ص ٥٤ (حاشية) .
[٣]) ابن سلاّم : الأموال ص ٥٠٠ .
[٤]) ابن الرافعة، الإيضاح والتبيان، ص ٥٥ (حاشية) .
[٥]) ابن سلام : الأموال ص ٦٢٤ .

وكان الطابع الغالب على المدينة هو الكيل بعكس مكة التي يغلب عليها الوزن، وربما كان للسلع المعروضة في المدينة دور في تغليب الكيل على الوزن حيث أنه من المعروف أن المدينة بلد زراعي فكانت غالبية السلع المعروضة فيها هي من إنتاج المدينة الزراعي كالحبوب بأنواعها من حنطة أو شعير أو غيرهما والتمور بأنواعها، فكان يغلب على هذه الأشياء الكيل لا الوزن .

ويمكننا تأكيد تغليب الكيل على الوزن في المدينة من قول الرسول ﷺ (المكيال مكيال المدينة والميزان ميزان مكة) [1] .

ومما يؤيد ذلك أيضاً ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (كان الناس إذا رأوا أول التمر جاءوا به إلى النبي ﷺ فإذا أخذه رسول الله قال : (اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وأنا عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وأنا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه) [2] ، ثم يدعوا أصغر وليد له يراه ثم يعطيه ذلك التمر، وهكذا نرى أن الرسول ﷺ دعا للمدينة بالبركة في الكيل وهو ما اشتهرت به دون غيره، وقد ورد في أحاديث أخرى دعاء الرسول ﷺ للمدينة بالبركة في مكيالها فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم) يعني أهل المدينة [3] ، وفي حديث آخر ورد أن الرسول ﷺ دعا للمدينة فقال (اللهم حبّب إلينا المدينة كما حببت

---

[1]) النجّار، أخبار مدينة الرسول ص ٣٠
والمطري، التعريف، ص ١٤
والمراغي، تحقيق النصرة، ص ١٧ .
[2]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ٢٢
والدارمي، سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٥٧ .

إلينا مكة أو أشد وبارك لنا في مدّها وصاعها وانقل وباءها إلى مهيعة الجحفة [1].

كما أن الكيل كان هو الغالب على الإنتاج الزراعي في الطائف وبما أن الزبيب كان من أشهر ما تنتجه الطائف [2] فقد عرف أن الزبيب في زمن الرسول ﷺ كان منتشراً وهو مما يكال كيلاً [3].

وقد كان الرسول ﷺ يأمر بالكيل فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال : (اكتالوا حتى تستوفوا) ، ويذكر عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إذا بعت فكِلْ، وإذا ابتعت فاكتَل) [4] .

وقد ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال توفي عبد الله بن عمرو بن حرام وعليه فدين فاستعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه فطلب النبي ﷺ إليهم فلم يفعلوا فقال النبي ﷺ اذهب فصنّف ثمرك أصنافاً، العجوة على حدة، وعذق زيد على حدة، ثم أرسل إليَّ، ففعلت، ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجلس على أعلاه أو في وسطه ثم قال كِلْ للقوم فكلتهم حتى أوفيتهم الذي لهم الذي بقي لهم وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء [5]، وهذا الحديث يدل على إشراف الرسول ﷺ بنفسه على الكيل وأمره به، وقد كان الرسول ﷺ ينهي عن شراء الطعام مجازفة ويأمر بالكيل فقد ورد في الحديث عن سالم عن أبيه رضي الله عنه قال : (رأيت الذين يشترون الطعام مجازفة يضربون على عهد رسول ﷺ أن يبيعوه حتى يؤدوه إلى رجالهم) [6] والكيل كان هو الطريقة المعروفة عندهم - في الغالب - لتحديد مقدار السوائل، فقد

---

[3]) السهيلي، الروض الأنف ص ٣ / ١٠ (الجحفة قرية بين مكة والمدينة وهي ميقات أهل الشام)، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٢ /١١١ .

[4]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٦٨

د. عبد الجبّار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ٥١ .

[5]) ابن حجر، فتح الباري ج ٩ / ٣٤ .

[6]) البخاري، الصحيح ج ٣ / ٢١

[1]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ٢١، ٢٢ .

[2]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ٢٢ .

كان الناس يتعاملون بالزيت والسمن وغيره على أساس الكيل، كما أن الماء كانت تقاس كميته بالمد والصاع، فقد ورد في الحديث أن الرسول ﷺ (كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع) [1] وعلى هذا بني الفقهاء قياساتهم في مقدار الماء الكافي للوضوء أو للغسل وكذلك زكاة الحبوب المختلفة كانت تحدد بالكيل، فإذا بلغت خمسة أوسق فهي نصاب تخرج منه الزكاة [2] كما أن زكاة الفطر تكال كيلاً كما ورد فيها في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال (فرض رسول ﷺ زكاة الفطر في رمضان، صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل عبد حر أو أنثي وقد زاد أبي سعيد الخدري، صاعاً من طعام أو صاعاً من أقط أو صاعاً من زبيب) [3]، وهكذا نرى أن هذه الأصناف كلها تقاس بالصاع زمن النبي ﷺ وقد عرف في زمن الرسول ﷺ العديد من وحدات الكيل منها :-

(الصاع) :-

وهو أشهر وحدات الكيل في العهد النبوي وبه قيست زكاة الفطر وبه قيس غسل النبي ﷺ، والصاع يحتوي على أربعة أمداد والمد يساوي رطلاً وثلث الرطل فيكون وزن الصاع النبوي بالرطل البغدادي خمسة أرطال وثلث الرطل (١ ١/٣ ×٤ = ٥ ١/٣) وهذا أرجح الأقوال في قياس الصاع النبوي بحضور الخليفة هارون الرشيد في المدينة وبحضور (أبي يوسف) [4] صاحب كتاب الخراج [5]، وهو بهذا يعادل (٢,٧٥ لتراً) حسب

---

[3]) الترمذي، سنن الترمذي ج ١ / ٨٤ .
[4]) ابن سلام، الأموال ص ٥٧١
أبو يعلي، الأحكام السلطانية
[5]) الدارمي، سنن الدارمي ج ١ / ٣٩٢ .
[1]) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري أشهر تلاميذ الإمام أبي حنيفة ولد بالكوفة سنة ١١٣ اشتهر في أيان الرشيد بـ (قاضي القضاة) توفي في بغداد سنة ١٨٢ هـ
(عن ابن كثير، البداية والنهاية ج ١٠ / ١٨٠) .
[2]) ابن سلام، الأموال ص ٦٢٣
وابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، تحقيق د. محمد الفروق ص ٦٣ (حاشية)
ود. صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٤١٨ .

حسب المقاييس الحديثة، بعد عمليات حسابية دقيقة أجراها بعض الباحثين وقدروا صاع القمح وزناً بـ (٢٧٥١ جراماً) [١] .

ويمكن تقدير المد النبوي على أساس أنه ربع صاع كالتالي : (٢,٧٥ ÷ ٤ = ٠,٦٨٨ من اللتر) [٢] .

(والوسق) مقدار معين من الكيل وهو ما قدّر به زكاة الحبوب، كما مر سابقا والوسق يساوي ستين صاعاً بصاع النبي ﷺ [٣] ويساوي بالمقاييس الحديثة ٢,٧٥ × ٦٠ = ١٦٥ لتر) وقد عرف في الكيل الكثير (القلة) وخصوصاً في كيل الماء والسوائل بكميات كبيرة فقد ورد في عدة أحاديث (أن الماء إذا بلغ قلتين لا يحمل نجساً) [٤] .

(والفرق) مكيال معروف زمن النبي ﷺ وقد ورد في قصة قتل الرسول لأمية بن خلف في أحد، أن أمية بن خلف كان يقول للرسول في مكة : يا محمد أن عندي (العوذ) فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة [٥] تهديداً بقتل الرسول ﷺ على هذا الفرس والفرق الشرعي الذي عرف في زمن النبي ﷺ يقدر بثلاثة أصواع أو ستة عشر رطلاً عراقياً فهو يعادل ما يقارب (٦,٥ كغم) أو (٨,٣٦٢) لتراً مكعباً [٦] .

كما ورد ذكر (للقرب) كمكيال تقاس به السوائل كالسمن والزيت والماء إلا أنه يبدو لي أن القرب تختلف مقاساتها من واحدة لأخرى، ولذلك يصعب تحديدها بدقة، خصوصاً إذا علمنا أن القربة (هي جلد مدبوغ ومهيأ بحيث يحمل فيه الماء، ويكون لها فم هو موضع الرأس من جلد الحيوان المدبوغ)، وتختلف القرب حسب كبر الحيوان

---

[٣]) انظر صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤٢٠ .
[٤]) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٤٢٠
[٥]) البكري، بهجة النفوس والأسرار، مخطوط ورقة ٢٢٥ .
[٦]) وابن سلاّم : الأموال ص ٦٢٠ .
[٧]) الترمذي، سنن الترمذي ج ١ / ٩٧ .
[٨]) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفي السقاء وآخرين ج ٣ / ٨٤ .

صاحب الجلد، وأكثر ما تتخذ القرب من الضان والمعز، ولا تزال (القرب) تستعمل حتى الآن عند البادية كأوعية للماء، وأوعية للسمن واللبن وهم يبيعون السمن بالقرب وتمتاز بأنها خفيفة الوزن .

قياس الطول :-

كما لا يفوتنا أن نذكر أن أهل الحجاز في زمن الرسول ﷺ كانوا يعرفون بعض وحدات القياس الطولي، وكانوا يستعملونها إما في معرفة المساحة بالنسبة للأراضي، أو في معرفة أطوال الأقمشة والجلود وغيرها مما يقاس بالطول من السلع المعروفة لديهم في تلك الأيام، وكان أشهر الأطوال عندهم الذراع، وكانوا يقيسون به الجلود والأقمشة وهو ما سمي فيما بعد بالذراع الشرعي وطوله ٤٦,٢ سنتيمتر [١]، كم ا عرف لديهم (الميل الهاشمي) وهو منسوب إلى هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ ويقدر الميل بطول ١٨٤٨ متراً تقريباً [٢]، والميل تقاس به المسافات الطويلة في الأسفار أو في الحمى للرعي .

وقد وردت في كتب الخراج أنواع عديدة من الطوال ولكني أشك في أنها عرفت زمن النبي ﷺ، وهكذا نرى أن أهل الحجاز كانت لديهم وحداتهم الخاصة بالوزن والكيل والطول، وهي عماد التجارة وبها تعرف السلع وكمياتها .

وهذه التي ذكرناها هي أهم الأنواع التي وردت من خلال نصوص العصر النبوي التي عرنا عليها، وربما كانت هناك وحدات محلية خاصة في مختلف قرى ومدن الحجاز كان الناس يتعاملون بها كيلاً أو وزناً إلا أن عدم ورودها في النصوص يجعلنا نتوقف إزاءها، إلا أننا

---

١) ابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، تحقيق د. محمد الخاروف ص ٧٧ حاشية
٢) ابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، تحقيق د. محمد الخاروف ص ٧٨ حاشية
٣) انظر مثلاً أبا يعلي، الأحكام السلطانية ص ١٧٣ .

نرجح وجود هذه الوحدات المتعارف عليها في كل مدينة وقرية، ووجود انواع من الموازنة والمعادلة بين ميزان كل بلد والبلد الآخر، وبين المكاييل المستعملة فيها كذلك .

❖ ❖ ❖

وهكذا رأينا أن التجارة في العصر النبوي كانت نشيطة ومزدهرة، وكانت بلاد الحجاز تعج بالأسواق الدائمة والموسمية، وترد إليها مختلف السلع من البلاد المجاورة، ويتعاملون بأنواع خاصة، منها ما أقرّه الإسلام ومنها ما حرمه الإسلام، وعلى وجه العموم فقد كانت مقوّمات التجارة وأسسها مكتملة وكانت لديهم موازينهم، ومكاييلهم، وقياساتهم التي يعرفون بها السلع وأوزانها واقيامها المختلفة، وكانت لديهم الأعراف الخاصة بحماية التجارة وهي ما يشابه المعاهدات بين القبائل لحماية التجار وبضائعهم مما أوجد اطمئناناً خاص لدى التجار للتنقل في البلاد والبيع والشراء وطلب الرزق كما كانت التجارة من أسباب اختلاط سكان الحجاز بغيرهم من العرب أو الأجانب عن طريق التبادل التجاري المشترك .

الفصـل الرابـــع

(صناعة البنـاء)

- **البنـاء**

- بناء المساكن
- بناء دُورِ العبادة
- البنايات العسكرية
- حفر الآبار

- **النجـارة**

البنـاء :

يعتبر البناء من الحاجات الضرورية للإنسان المقيم، والمستقر، وكما هو معروف فإن سكان الحجاز في عصر الرسول كانوا نوعين، إما بادية (أعراب)، أو حاضرة وهم سكان المدن والقرى، وقد كان سكان المدن في الحجاز يقيمون المباني حسب حاجتهم، وبمختلف أنواعها وقد علاف سكان الحجاز أصول البناء وفنه، كما وجد من يقوم بالبناء في كل من المدن والقرى ويعرف أصوله [1] .

ويدلنا خطاب الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في كثير من الآيات على معرفتهم بأصول البناء من أساس غيره، حيث يقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ التوبة: ١٠٩ [2] وتدل هذه الآية على معرفة المخاطبين في ذلك الوقت أساس البناء، وقوة الأرض، ومدى احتمالها للمباني من عدمه، وتصورهم طريقة البناء وأصوله، وقد اختلفت أنواع البناء حسب الحاجة في الحجاز، من مساكن، إلى حصون وقلاع، وإلى أسوار، إلى ما يلحق بذلك من حفر للخنادق أو الآبار، إلى بناء للمساجد، وللكعبة المشرَّفة وغير ذلك مما تقتضيه مصالح الناس في سكنهم، أو في مزارعهم، وفي دفاعاتهم العسكرية في الحروب، وسنتعرض لذلك في حدود ما ورد لدينا من نصوص أوردتها المصادر تعطينا أمثلة وتصوُّر عن هذه الحرفة .

---

[1]) محمود شكري الألوسي ـ بلوغ الأرب ج ٣ / ٣٨٩ .
٢) سورة التوبة ـ آية ١٠٩ .
٣) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٣٨٩ .

بناء المساكن :-

كانت المساكن ولا تزال من الحاجات الضرورية لأهل المدن والقرى[1].

وقد قامت حركة عمرانية في مكة حسب الحاجة، حيث كان الناس يقومون ببناء الدور الخاصة بهم، وفي المدينة قامت حركة عمرانية واسعة بعد الهجرة، حيث هاجر الصحابة مع الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كما هاجر إلى المدينة كثير ن الأعراب تبعاً للإسلام وبحثاً عن الهدى والعلم وكان كل واحد منهم بحاجة إلى مكان لبناء بيت له، فكان الرسول ﷺ يخط لهم الخطط، ويحدد لهم الأماكن التي يبنونها [2]، ومن المعروف في هذه الفترة التأسيسية لدولة الإسلام كثرة المهاجرين إلى المدينة وحاجتهم للمأوى لهم ولعائلاتهم، ولمساكن يعيشون فيها، وقد كانت هذه المساكن بسيطة للغاية تفي بحاجة المسلمين فقط، دون تفخيم أو تزيين، حيث كان المسلمون مشغولين بالدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله، ولم تشغلهم إقامة المساكن أو تزيينها، وتعتبر النصوص الواردة في بناء في بناء البيوت قليلة، وأكثر ما ورد حولها كان عن حجرات (بيوت) النبي ﷺ، ولعل طريقة بنائها تعطينا تصوراً لما كانت عليه مساكن أهل الحجاز في ذلك العصر من بساطة مع القيان بالحاجة .

حُجُـرَاتُ النبـي ﷺ :-

ورد ذكر لحجرات النبي ﷺ في القرآن الكريم، وسميت إحدى سور القرآن بالحجرات حيث وردت الآية التي تقول :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الحجرات: ٤ [3] وقد وردت عدة نصوص

---

[1]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ١ / ٢٤٦ .
[2]) سورة الحجرات آية (٤) .

تدلنا بناء الحجرات، والطابع الذي تميزت به، فبعد أن فرغ رسول ﷺ من بناء المسجد اتجه إلى بناء حجراته عليه السلام .

وقد ابتدأ ﷺ ببناء حجرتين، إحداهما لأم المؤمنين (سَوْدَة بنت زُمْعَة) والأخرى لأم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها [1]، ثم بني بقية الحجرات حسب الحاجة إليها، وكانت حجرات رسول الله ﷺ مبنية باللبن [2]، ومسقوفة بجريد النخل، وعلى الجريد شيء من الطين، وكان سقف الحجرات غير مرتفع، فكان الواقف يلمس السقف بيده [3]، وقد كانت بعض حجرات النبي من الحجر المرصوف بعضه فوق بعض، وسقفها من جريد [4] .

وكان عرض الحجرة ما يقرب من سبعة أذرع، وطولها حوالي عشرة أذرع [5]، وبعض أبواب حجرات النبي ﷺ من الخشب، كما ورد في بعض النصوص أن باب عائشة رضي الله عنها كان من (العرعر) [6] أو من (الساج) وهو بمصراع واحد، وكانت أبواب حجرات الرسول ﷺ تفتح على المسجد [7] وتغطي بمسوح الشعر .

وإضافة إلى حجرات النبي ﷺ فقد قام بنائه الحجرات ببناء مساكن لعلي رضي الله عنه، ولحمزة، كما بنى أيضا لجعفر بن أبي طالب وكان ولا يزال بأرض الحبشة وجعل مسكنهم داخل حرم

---

[3]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج / ٥٠٦ .
[4]) (اللبن) هو خليط من الطين يوضع في قالب من الخشب، ويجفف حتى يتماسك ومن ثم ينقل للبناء .
[5]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢ / ٢٤٨
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣ / ٥٠٨ .
[6]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢ / ٢٤٨
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣ / ٥٠٦ .
والبكري، بهجة النفوس الأسرار ـ ورقة ٩٠ .

[1]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٥٠٦،
٢) (العرعر) شجر جبلي اخضر يشبه السدر (الزبيدي، تاج العروس ص ٣٩٣) .
٣) النجار، محمد بن محمود، أخبار مدينة الرسول، تحقيق صالح محمد جمال ص ٧٣، الطبعة الثالثة دار الثقافة مكة المكرمة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
٤) الذهبي، السيرة النبوية ص ٢٣٣ .

مسكنه، وجعل أبوابهم على المسجد [1]، ثم إن الرسول ﷺ بعد ذلك غيّر أبوابهم عن المسجد، ويقع بيت علي رضي الله عنه وزوجته فاطمة خلف بيت النبي ﷺ مباشرة إذ كان يقع شرق المسجد على يسار المتجه إلى القبلة [2]، وكان به خوخة إلى بيت النبي ﷺ، ولكن يناديهم النبي ﷺ حين الصلاة كل صباح[3]

وفي المدينة في زمن الرسول ﷺ من بيوت الأنصار رضي الله عنهم، ولكن قلة النصوص الواردة عنها تجعلنا نتردد في وصفها كثيراً، وقد وردت في كتب السيرة الكثير من النصوص عن دار (أبي أيوب الأنصاري) رضي الله عنه، وذلك لأن رسول الله عليه السلام نزل عنده أول [4] ما وصل إلى المدينة، حتى أتمّ بناء مسجده وحجراته فأرتحل إليها، ومن خلال هذه النصوص نعرف أن دار أبي أيوب الأنصاري كانت، تتكون من دور سفلي [5] ودور علوي كل منهما صالح للسكن، وقد سكن الرسول في أسفل البيت، وسكن أبو أيوب وزوجته في أعلاه فتضّرع أبو أيوب إلى النبي أن يسكن في الطابق الأعلى لأن أبا أيوب يكره أن يكون فوق النبي ﷺ [6] وكانت دار أبي أيوب كبيرة إلى حد ما حتى أنه كان يشهد الطعام مع الرسول ﷺ من الخمسة عشر إلى الستة عشر كل يوم، ومكث الرسول عند أبي أيوب سبعة أشهر [7] حتى فرغ من بناء مسجده وحجراته عليه السلام .

---

٥) النجار، أخبار مدينة الرسول تحقيق صالح محمد جمال ص ٧٥ .
٦) المراغي : زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر، تحقيق النصرة بتخليص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي ص ٧٥، الطبعة الثانية ـ المكتبة بالمدينة المنّورة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٧) ابن هشام، السيرة النبوية ج / ٤٩٨
٨) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٣ / ٣٩٢ .

١) ابن هشام، السيرة النبوية ج / ٤٩٨ .
٢) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٣ / ٣٩٣ .

وقد كانت هناك الكثير من الدور الأخرى التي عمّرت في المدينة بعد الهجرة إما للمهاجرين أو للأنصار، فقد استقطع الزبير رضي الله عنه في البقيع فبنى فيه الدور [1]، كما أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بنى له داراً قريبة من المسجد [2]، كما أتخذ سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه دارين قريبتين من المسجد [3]، كما أن أبا بكر رضي الله عنه كانت له داران أحداهما بالبقيع والأخرى بجوار المسجد ، وهي التي وردت في الحديث عندما قال رسول ﷺ : (سدوا عني هذه الأبواب إلا ما كان من باب أبي بكر) [4] ... هذه فقط أمثلة ونماذج على نشاط حركة البناء للمساكن في المدينة بعد الهجرة، وقد ذكرت المصادر الكثير من الدور التي اتخذها المهاجرون الأولون، كما أنه بعد فتح خيبر أسلم أناس آخرون وهاجروا واتخذوا لهم دوراً في المدينة منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما كما أنه بعد فتح مكة انتقل الكثير من مسلمة الفتح إلى المدينة، وكان من الطبيعي أن يتخذوا لهم دوراً هناك للسكن، وكان ذلك دفعة أخرى قوية للبناء في المدينة، زادت من عدد المباني وعدد السكان وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعاون بعضهم بعضاً في البناء، فقد بحث عمر رضي الله عنه عمّار بن ياسر فوجده يعمل في منزله وبناء داره فنقل معه عمر رضي الله عنه طيناً ولبنا [5]، وقد كان هذا دأب الصحابة رضي الله عنهم ودأب معظم الناس في ذلك الزمان في البناء حيث أن من كان عنده بناء يجتمع حوله الناس ويساعدونه في نقل الطين واللبن والماء وغير ذلك بدون أجرة، وقد يلجأ صاحب الدار إلى الأجراء في البناء إذا كان يستطيع البناء، حيث يساعده الجميع ولا تزال هذه الطريقة مستعملة في القرى إلى وقت قريب

---

[3]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ١ / ٢٢٩ .
[4]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ١ / ٢٣٢ .
[5]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج / ٢٣٢ .
[6]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج / ٢٣٢ .
[7]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج / ٢٤٥ .

حين كانت البنايات من الطين، حيث كان الجميع يساعدون صاحب البناء بالعمل معه مجاناً .

ولقد وجدت في مكة الكثير من الدور السكنية في الجاهلية والإسلام وكانت بعض الدور المتقاربة والمملوكة لأقوام معينين تسمى (الرِّبَاع)[1] ومنها رباع بني عبد المطلب بن هاشم، ورباع بني أسد بن عبد العزى، ورباع بني عبد المطلب بن عبد مناف، ورباع بني عبد شمس بن عبد مناف، وهذه أمثلة كان في مكة الكثير منها [2]، ولم أعثر على نصوص على طريقة بناء البيوت في مكة زمن الرسول أو في العصر الجاهلي، ولكن ما ورد عن بيوت مكة كان متعلقاً بتحديد المواقع، وبمعرفة مُلاك هذه الدور، أما عن طريق بنائها وتفصيل ذلك فلم أجد لذلك ذكر إلا النزر اليسير فقد ذكر أن أهل مكة كانوا يتخذون في بيوتهم صفائح من حجارة، تشبه الرفوف، يضعون عليها المتاع أو الشيء حتى لا يكون في متناول الأطفال، أو الدواجن، والحيوانات، ويندر أن يوجد بيت في مكة يخلو من تلك الرفوف وكان في بيت خديجة رضي الله عنها بمكة شيء من ذلك [3] .

وقد كان أهل الطائف وخيبر وغيرهما من مدن الحجاز يعملون باستمرار في بناء المساكن لهم حسب الحاجة إلا أن عدم تفصيل ذلك من خلال المصادر يجعلنا نتوقف عن الإسهاب فيها ، إلا أنه مما لاشك فيه أن الناس في هذه الأماكن كانت لديهم الخبرة الكافية لبناء المساكن نظراً لوجود الأسوار والحصون بطريقة ممتازة خصوصاً سور الطائف وحصون خيبر .

---

[1]) الزبيدي، تاج العروس، ٥ / ٣٤٤ . .

[2]) انظر أبو الوليد الأزرقي أخبار مكة، ج ٢ من ص ٢٣٣ حتى ص ٢٦٥ وقد أحصينا الرباع التي أوردها الأزرقي فوجدناها قرابة سبع وثلاثين رباعاً .

[3]) الشنفوري الكوفي، بهاء الدين، الروضة المقوفة في أخبار مكة المشرّفة، مخطوط ورقة ١٤٢ مصور ميكروفلم مركز البحث العلمي جامعة أم القرى، مكة المكرمة تحت رقم ١٣٣٠ تاريخ .

بنـاء الكعبة المشّرفة :-

لقد تعرّضت الكعبة المشّرفة لحريق أتي على كل أستارها وتسبب في تصدع بنائها ، ودخول السيل إليها [1] ، وحين كثرت هذه السيول أثرت على الكعبة ، فعزم رجال قريش أن يهدموها ويعيدوا بناءها وقد جرى ذلك في قصة طويلة ويمكن أن نستنتج من هذا البناء الذي تواترت به النصوص بعض الأدلة على طريقة البناء وأسلوبه في مكة في تلك الأيام قبيل البعثة النبوية بخمس سنوات.

حينما عزمت قريش على بناء الكعبة صادف في تلك الأيام مرور سفينة رومية في البحر الأحمر (بحر القلزم) ، فلما وازت جدة [2] أو الشعيبة [3] ، جنحت السفينة فتحطمت قبالة الشاطيء ، فجاءت قريش فاشترت خشبها [4] من أهلها ، وأذنوا لهم بدخول مكة والمتاجرة فيها ، ونقلت قريش خشبها إلى مكة لاستخدامه في بناء الكعبة ، وقد كان في هذه السفينة

---

[1]) الأزرقي : أخبار مكة ج ١ / ١٦٠
والأسدي، أحمد بن محمد المكي الشافعي، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، ورقة ٣٤ مخطوط تحت رقم ١٨ دهلوي تاريخ البحث العلمي، جامعة أم القرى مكة المكرمة .
والنهرواني : محمد بن علاء الدين، الإعلام بأخبار البلد الحرام ورقة ٣٤ مخطوط مصور ميكروفيلم تحت رقم ٤٨ تاريخ مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى مكة المكرمة .

٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج ٢ / ٤٤، الأسدي نفس المصدر ورقة ٣٤، وابن هشام السيرة النبوية ج ١ / ١٩٣
وابن فهد : عمر بن فهد، إتحاف الوري بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت ج ١ / ١٤٦ الطبعة الأولى جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

٣) الشعيبة، قرية على شاطيء البحر الأحمر مقابل مكة مرفاء مكة ومرسى سفنها قبل جدة، ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٣٥١/٣

٤) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٢/ ٢٢٨، الأزرقي، أخبار مكة ج١٥٧/١ .

٥) الصباغ المكي، محمد بن أحمد بن سالم، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام ورقة ١٨ مخطوط مصور ميكروفيلم تحت رقم ٢١٧ تاريخ مركز البحث العلمي جامعة أم القرى / والأزرقي أخبار مكة ج ١ / ١٦٠ .

٦) الأسدي المكي، أحمد بن محمد، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، مخطوط ورقة ٣٥، والسهيلي، الروض الأنف ج٢٢٤/١ .

رجل رومي يسمى (باقوم) وكان يجيد البناء [1]، كما كان في مكة في تلك الأيام رجل قبطي [2] من أهل مصر وكان يحسن التجارة، وقد طلبت قريش من هذين الرجلين أن يساعداها في بناء الكعبة، كما تعاون القرشيون جميعاً في بنائها فكانوا يجمعون الحجارة، والرسول ﷺ يعمل معهم، وعهره حينذاك خمس وثلاثون سنة [3] على وجه التقريب، وحينما بدأت قريش بناءها كان يساعدهم (باقوم الرومي) على أساس خبرته في البناء.

وحين ارتفع البناء اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود، وكادوا أن يتقاتلوا على ذلك، حتى اتفقوا أن يحكّوا أول داخل عليهم فكان هذا الرجل رسول الله ﷺ، فاستبشروا وقالوا: هذا الأمين، وقد استطاع الرسول عليه السلام بحكمته أن يرضي جميع الأطراف، وذلك بعد أن بسط رداءه وقال للقوم: كل قبيلة تحمل طرفاً منه، فحملوا الحجر جميعاً فلما وازى مكانه أخذه بيده، فوضعه في مكانه ورضي الجميع بذلك [4].

وقد كان اشتراك الرومي في البناء، والقبطي النجار في تسقيف الكعبة وتهيئة أخشابها دليلاً على براعتهما وعلى أنهما أفضل من قريش في البناء والنجارة، وانه لم يكن في قريش من يجاريهما في مهنتهما وإلا لقدَّم عليهما، خصوصاً في مثل هذا الشأن العظيم عند قريش وعند العرب كلها، ولعل ذلك مرده إلى احتقار العرب للحرفيين مما جعل البارعين في هذه الحرف هم من غير العرب بالدرجة الأولى.

---

١) النهرواني، محمد بن علاء الدين، الإعلام بأخبار البلد الحرام مخطوط ورقة ٣٥ .
٢) السهيلي، الروض الأنف ج ١ / ٢٢٨
والأسدي المكي، نفس المصدر والورقة
والأزرقي، أخبار مكة ص ١٦٤
وابن فهد إتحاف الورى ج ١ / ١٥٦ .

وقد بنيت الكعبة على شكل مغاير لما كانت عليه قبل ذلك، فقد جعل ارتفاعها ثمانية عشر ذراعاً [1] وذلك يقارب ثمانية أمتار، بزيادة تسعة أذرع عن عمارة إبراهيم عليه السلام [2]، كما قاموا برفع بابها عن الأرض لكيلا يدخلها إلا من سمحوا له من الناس، ويمنعون من دخولها من لا يرغبون في دخوله، وقد جعلوا في ركنها الشمالي من داخل الكعبة درجاً ليمكن الصعود منها إلى سطحها [3] وكان سقف الكعبة من الخشب الذي أحضرته قريش من بقايا السفينة الرومية [4]، وقد وجه السقف بحيث يتجمع سيله ناحية حجر إسماعيل وجعلوا له ميزاباً يصب في الحجر [5] وقد وضعوا في داخل الكعبة صور بعض الأنبياء عليهم السلام منها صورة لإبراهيم وهو يستقسم بالأزلام وقد أزالها الرسول عليه السلام بعد الفتح، مع صورة لعيسي بن مريم عليه السلام وأمه مريم وصوراً متخيّلة للملائكة [6].

وهكذا نرى من هذا العرض ضعف إمكانيات قريش وقلّة خبرتها بالبناء حيث أنها اضطرت في بناء الكعبة للاستعانة بخبير البناء الرومي، وبالنجار القبطي، كما أنها اعتمدت بصفة أساسية على خشب السفينة المحطّمة، مع العلم من أن الأمر يتعلق ببناء الكعبة المقدسة ومع أنهم كادوا يتقاتلون من أجل وضع الحجر الأسود، لكنهم تنازلوا طواعية لعاملي البناء والنجارة الغريبين نظراً لخبرتهما.

بناء المساجد :-

---

[3]) السهيلي، الروض الأنف ج ١/ ٢٢٩
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٢ / ٢٢٣
وأبو الوليد الأزرقي، أخبار مكة ١٦٤/١ .
[4]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ٢ / ٢٣٣
وابن فهد، إتحاف الورى، ج ١ / ١٥٨ .
٥) الصالحي الشامي، المكان السابق
والأسدي المكي، إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام مخطوط ورقة ٣٥ .
٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٢ / ٤٤ .

[1]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٢ / ٢٣٣ .
[2]) أبو الوليد الأزرقي، أخبار مكة ص ١٦٨
وابن فهد، إتحاف الورى، ج ١ / ١٥٩ .

لقد كان الرسول ﷺ ينظر إلى المسجد نظرة خاصة باعتباره مركزاً للعبادة والحكم والقضاء ومدرسة للتعليم، ولذلك كان مما أهتم به رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة بناء المسجد، فحين وصل الرسول إلى (قباء) قام بتأسيس مسجد قباء بينما لم يكن قد مكث فيها إلا أربعة أيام [1]، وكان الرسول ﷺ يقوم بنفسه بحمل الحجارة مع الصحابة العاملين في البناء، كما معروف وعندما يحاول أحد الصحابة أن يحمل عنه كان يقول له : (خذ غيره) [2] .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يخطّ المساجد في منازل القبائل في المدينة، ويوجه لهم القبل، ويختار لهم الأرض الصالحة للمسجد، ويحددها لهم، فقد خطّ رسول الله لجهينة مسجدهم [3] في المدينة .

وكانت مساجد المدينة على زمن رسول الله ﷺ تسعة مساجد عدا مسجد الرسول ﷺ وكلها تسمع آذان بلال رضي الله عنه مناه مسجد رابح، ومسجد بني عبد الأشهل، ومسجد بني عمرو ومسجد جهينة وأسلم، ومسجد بني سلمة [4] .

<u>بناء المسجد النبوي</u> :-

كان أول عمل قام به الرسول ﷺ هو أن اختار موقع مسجده، وأول بناء عمله الرسول ﷺ والمهاجرون والأنصار معه هو بناء مسجد قباء في طريق الرسول إلى المدينة، ثم بناء مسجد الرسول ﷺ في المدينة،

---

[3]) ابن الأثير، الكامل ج ٢ / ١٠٧ .
[4]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٣ / ٣٨٢ .
[5]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ١/ ٦٣
والسمهوري، وفاء الوفاء ج ٣ / ٨٥٥ .
[1]) السهيلي، الروض الأنف ج ٤ / ١٩٨ .

وقد جرى بناء المسجد النبوي في زمن الرسول ﷺ مرتين، أحدهما في السنة الأولى من الهجرة، فور وصوله إلى المدينة، والأخرى في السنة السابعة من الهجرة [1]، وكان البناء الأوَّل أقلّ من حيث المساحة، ومن حيث قوة البناء، وقد كان البناء الأول لمسجد الرسول بعد اختيار الرسول ﷺ للموقع، الذي كان ملكاً ليتيمين من بني النجّار فعرض الرسول شراءه، لكن حاول بنو النجّار [2] أن لا يأخذوا من الرسول ﷺ ثمناً للأرض [3] ولكن الرسول ﷺ أصرَّ على دفع الثمن وتمَّ الشراء منهم [4]، وكانت الأرض غير مستوية، وفيها نخل وخرائب وقبور وبعض المياه، فبدأ الرسول ﷺ بقطع النخل واستفاد منه في البناء، كما أمر بتسوية الخرائب وتصفية المياه حتى يتم تنشيف الأرض وتنظيفها، ثم أمر بالقبور فنبشت وكانت قبور مشركين [5]، ثم أمر بتسوية الأرض حتى أصبحت صالحة للبناء، وفي عمارة الرسول ﷺ الأولى للمسجد جعل مساحته ٧٠ ذراعاً طولاً في ٦٠ ذراعاً عرضاً وقد أرسي حيطان المسجد بالحجارة، ثم بني الجدران باللبن، وجعل عرض الحائط لبنة [6]، وقد طلب المسلمون من الرسول أن يُظلَّ المسجد مخافة الشمس فوافقهم على ذلك، فأقام السواري (الأعمدة) من جذوع النخل ثم طرحت عليها العوارض الخشبية ثم وضعت على السقف خصف لجريد والأذخر، وجعل وسطه رحبة [7] خالية وقد أصابت المسلمين الأمطار،

---

[2]) على حافظ : فصول من تاريخ المدينة ص ٥٢ .
[3]) النجار : أخبار مدينة الرسول ص ٥٢ .
[4]) الذهبي : السيرة النبوية ص ٢٣٣ .
[5]) الصالحي الشامي : سبل الهدى والرشاد ج ٣ / ٤٨٥ .
[6]) المراغي : تحقيق النصرة ص ٤٠
وابن سيد الناس : أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسيرة ٢٣٦/١ الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
[1]) المراغي : حسين بن عمر أبي الفخر، تحقيق النصرة ص ٤٣
وعلى حافظ، فصول من تاريخ المدينة ص ٥٢ .
[1]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١ / ٢٣٦
والبكري، بهجة النفوس والأسرار مخطوطة ورقة ٨٢ .

فجعل السقف ينزل المطر على المصلين فاشتكوا إلى الرسول من ذلك وطلبوا من الرسول (تطيين) السقف لحجز المطر عن المصلين، فقال ﷺ : (نعم ابنوا لي عريشاً كعريش موسى ثمامات وخشبات، وظله كظلة موسى، والأمر أعجل من ذلك) قيل فما ظلة موسى قال : (كان إذا قام أصاب رأسه السقف) [1] فقام الرسول وأصحابه (بتطيين) السقف وعمل الرسول ﷺ معهم [2]، وجعل رسول ﷺ قبلته ناحية بيت المقدس في هذا البناء [3] الأول الذي بني قبل تحويل القبلة .

وقد جعل الرسول ﷺ للمسجد ثلاثة أبواب أحدهما باب أبي بكر وهو في الحائط الجنوبي جهة القبلة اليوم وذلك لأن القبلة، كانت ناحية بيت المقدس، وباب عاتكة ويقال له باب الرحمة، والباب الذي كان يدخل منه الرسول ﷺ في الجهة الشرقية وعندما غُيِّرت القبلة سدَّ النبي ﷺ الباب الجنوبي [4]، وقد كان ارتفاع السقف في هذه العمارة خمسة أذرع [5] (٢٠٢٥ مترا) .

البناء الثاني للمسجد النبوي :-

أما البناء الآخر للمسجد النبوي فكان في السنة السابعة من الهجرة وتخلط كثير من الكتب بينه وبين البناء الأول بعد الهجرة مباشرة [6] كما هو متواتر عند المحدثين كذلك ثبوت عمل تمامه بن

---

٢) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٣ / ٤٨٦
وكذلك، البكري، نفس المصدر، ورقة ٨٢ .

٣) الصالحي الشامي، المصدر نفسه، ٤٨٦/٣ . (معني قول الرسول صلي الله عليه وسلم الأمر أعجل من ذلك أن الدنيا لا تستحق هذا الاهتمام) .

٤) المراغي، تحقيق النصرة ص ٤٣ .

٥) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٤٩٠/٣
والمراغي، تحقيق النصرة ص ٤٤ .

٦) على حافظ، فصول من تاريخ المدينة ص ٥٢ .

١) انظر، السهيلي، الروض الأنف ٤٨٩/٣.

أثال رضي الله عنه مع الرسول في البناء وكان إسلامه متأخراً [1] وكذلك عمل أبي هريرة رضي الله عنه معهم في بناء المسجد النبوي وورد ذلك في أحاديث كثيرة، وهذا يدل على أن هذا البناء الذي شهده أبو هريرة وقع متأخراً لأن أبا هريرة رضي الله عنه لم يسلم بعد الهجرة مباشرة وإنما اسلم متأخراً عنها [2] والأرجح أن إسلام أبي هريرة رضي الله عنه كان في السنة السابعة عام فتح خيبر [3] وفي هذا البناء الثاني زاد الرسول ﷺ من مساحة المسجد، فأصبح ١٠٠ ذراع في ١٠٠ ذراع وجعل أساسه من الحجارة، وحيطانه من اللبن، وزاد في عرض الحائط حتى أصبح لبنتين مختلفتين، وزاد في ارتفاع السقف فأصبح سبعة أذرع أي (٣,١٥متراً) [4]، وقد عمل الرسول ﷺ مع أصحابه في جميع اللبن وكان قد وجه القبلة بنفسه على الاتجاه الصحيح نحو الكعبة، وكان الرسول ﷺ يحمل اللبن في هذا البناء أيضاً حتى ظنّ بعض الصحابة أنه تعب فأراد أن يحمله عنه فقال الرسول ﷺ : خذ غيره، وكان الرسول ﷺ يرتجز مع الصحابة في البيت الذي يقول :

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم أرحم الأنصار والمهاجرة

وكان هذا الرجز مما يسلي العاملين في البناء من المهاجرين والأنصار، وكان بعضهم يرتجز بالبيت القائل :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل[5]

وآخرون منهم يرددون :

---

٢) الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، تجريد أسماء الصحابة ج ١ / ٦٩ دار المعرفة بيروت لبنان .
٣) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٤٨٧/٣ .
٤) ابن عبد البر، الاستيعاب (حاشية على الإصابة) ج٢٠٨/٤
وابن كثير، السيرة النبوية، ج٣٤٥/٣
والواقدي، المغازي، ج ٢/ ٦٣٦ .
٥) على حافظ فصول من تاريخ المدينة، ص ٥٢ والذراع ٤٥ سم نفس المصدر .
٦) ابن هشام، السيرة النبوية ج٤٩٧/٢
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ٤٨٧/٣ .

لا يستوي من يعمر المساجد يدأب فيه قائما وقاعدا [1]

وقد كان من أكثر الصحابة حماساً وعملاً في بناء المسجد عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقد دعا له رسول الله ﷺ بخير، وهو يعمل عن رجلين حيث أنه يحمل لبنتين بينما غيره يحمل لبنة لبنة، وإضافة إلى نشاط عمار في بناء المسجد فإن الصحابة كلهم اشتركوا في العمل كل على حسب جهده وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان هذا التطور في بناء المسجد تبعاً لكثرة الداخلين في الإسلام ولزيادة عدد المصلين منهم مع رسول الله ﷺ وللنشاط الإسلامي العام بعد فتح الرسول ﷺ لخيبر.

وقد كان لرسول الله ﷺ توجيهات أثناء عملية البناء استفاد منها الصحابة رضي الله عنهم، كما أخذ عنها الفقهاء بعض الأحكام الفقهية مثل تقديم من يجيد العمل على من لا يجيده بصرف النظر عن تقوى كل منهما فقد وفد رجل من بني حنيفة إلى النبي ﷺ وكان الرجل ممن يحسنون خلط الطين وعمل مع الصحابة في المسجد فقال رسول الله ﷺ : دعوا الحنفي والطين فأنه اظبطكم للطين [2] فأخذ الحنفي المسحاة وأخذ يعالج الطين ويخلطه والرسول ﷺ ينظر إليه ويقول أن هذا لحنفي لصاحب طين [3]، وقد كان المسجد بسيطاً وتم فرشه بالرمل والحصباء [4]، وقد أكتمل بناء المسجد واستمر يؤدي دوره في الحكومة النبوية.

<u>بناء مسجد قباء</u> :-

---

[1]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ٤٨٨/٣ .
[2]) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص ١٩٠ الطبعة السابعة دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٦م .
[3]) المراغي، تحقيق النصرة ص ٣٦ / والعباسي، عمدة الأخبار ص ١٦٨
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٧٣٠ ـ وابن هشام، السيرة النبوية ج ٢ / ٤٩٤ .
[4]) السهيلي، الروض الأنف، ج٢٢٤٢ .

كان مسجد قباء (أول مسجد بني في الإسلام)، وقد وضع أساسه النبي ﷺ بنفسه [1]، وحدد قبلته، واشترك معه في وضع الأساس أصحابه أبو بكر وعمر وبقية الصحابة رضوان اللّٰه عليهم، وقد كان عمّار بن ياسر رضي اللّٰه عنه هو الذي أشار على رسول ﷺ ببناء مسجد قباء، وجمع له الحجارة، فلما أسسه رسول اللّٰه ﷺأكمل بنائه عمّار بن ياسر [2]، وقد نزل في مسجد قباء قوله تعالي : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ التوبة: ١٠٨ [3] .

بنـاء مسجد الضـرار :-

وقد أجتمع جماعة من المنافقين عند رحيل النبي ﷺ إلى تبوك وقاموا ببناء مسجد الضرار (بذي أوان) [4] مدّعيّن أن قصدهم الخير وأحكموا بناءه، وقد أخبر اللّٰه سبحانه وتعالى نبيه بنياتهم وأهدافهم فأرسل الرسول ﷺ جماعة من الصحابة فحرقوه وهدموه [5]، وقد نزل فيه قوله تعالى [6] : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ التوبة: ١٠٧ [7]

البينايات العسكرية :-

---

[1]) المراغي، تحقيق النصرة ص ٣٦ / والعباسي، عمدة الأخبار ص ١٦٨
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٧٣٠ ـ وابن هشام، السيرة النبوية ج ٢ / ٤٩٤ .
[2]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢ / ٢٤٢ .
[3]) سورة التوبة آية ١٠٨ .
[4]) بلدة بينها وبين المدينة ساعة وقريبة من قباء
المراغي، تحقيق النصرة ص ١١٨ والسمهودي، وفاء الوفاء ١١٣٣/٤ .
[5]) السهيلي الروض الأنف، ج ٤ / ١٨٠، وعمر بن شبه : تاريخ المدينة ج ١ / ٥٣ .
[6]) المراغي، تحقيق النصرة ص ١١٧، والسمهودي، وفاء الوفاء ج ٣ / ٨١٦ .
[7]) سورة التوبة، آية ١٠٧ .

هناك أنواع من المباني كانت قائمة في عصر الرسول ﷺ لأغراض عسكرية، منتشرة في مختلف أنحاء الحجاز، وكانت هذه المباني للأغراض الدفاعية في الدرجة الأولى، وقد اختلفت حسب الحاجة، وكانت على عدة أنواع، أهمها :-

(أ) الأسوار :-

كانت الأسوار معروفة لدي عرب الحجاز، ومن أشهرها سور الطائف، وقد سميّت بهذا الاسم نظراً لوجود السور الذي يطوف بها [1]، وفي هذا يقول الشاعر أمية بن أبي الصلت :-

نحن بنينا حائطاً حصيناً يقارع الأبطال عن بنينا [2]

وربما يكون هذا السور الذي حول الطائف قد بني قبل عصر الرسول ﷺ، ولابد أن يكون الذين عملوا فيه قوماً مهرة في البناء، وقد تعاون الرجال والنساء في البناء فكانت النساء تعمل اللبن والرجال يقومون بالبناء [3] ويبدو أن عددهم كان كبير، لأنه يحمي مدينة كاملة من هجمات الأعراب وغيرهم، وقد حاول الرسول ﷺ اقتحام الطائف على أهلها فكان هذا السور سبب منع المسلمين من دخول الطائف بعد حنين [4].

(ب) الحصون :-

---

[1]) الزبيدي : تاج العروس ج ٦ / ١٨٤ .
[2]) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ج ٤ / ٩ .
[3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤ / ١١ .
[4]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٦٧
والطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ١٣٢
وابن هشام، السيرة النبوية ج ٤ / ٤٨٣
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٤٩٣
والكتاني، التراتيب الإدارية، ج ١ / ٣٧٤
د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٥١٠
د. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ١٦ .

ومفردها الحصن، وهو المكان الحصين ضد العدو [1] الذي يقي من هجماته، والحصون : هي المباني التي يتحصن بها ضد العدو وتسمي (أطام) إلا أن الطم يطلق على كل حصن بني بالحجارة [2]، وقد ورد ذكر الحصون في قوله تعالى حكاية بني النضير : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر: ٢ [3] كما قال تعالى في آية أخرى عن اليهود : ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٌۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الحشر: ١٤ [4].

ومن هذه الآيات يتبيّن : أن يهود بني النضير في المدينة كانوا أصحاب حصون قوية، منيعة، كانت تمنعهم من الأعداء، وحين أراد الله هزيمتهم على يد رسوله لم تمنعهم حصونهم من ذلك، واشتهر عنهم أنهم لا يقاتلون إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر[5].

وقد كانت المدينة من أكثر الأماكن في الحجاز حصوناً وآطاما، فمنها ما كان لليهود من بني النضير الذين أجلاهم الرسول ﷺ في العام الرابع من الهجرة بعد أن حاولوا قتله غيلة، ونزل فيهم آيات من سورة الحشر : **قَالَ تَعَالَىٰ:** أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر: ٢ [6] الآيات .. ومنها ما كان لبني قريظة الذين نفذّ الرسول فيهم حكم الله بعد غزوة الأحزاب مباشرة على حرب

---

[5]) الزبيدي، تاج العروس ج ٩ / ١٧٩
ومحمود شيت خطاب، المصطلحات العسكرية في القرآن، ج ١ / ١٨٧ الطبعة الأولى دار الفتح بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
[1]) الزبيدي، تاج العروس ج ٨ / ١٨٧ .
[2]) سورة الحشر، آية ٢ .
[3]) سورة الحشر، آية ١٤ .
[4]) الشوكاني، فتح القدير، ج ٥ / ١٩٦ وص ٢٠٤ .
[5]) سورة الحشر، آية ٢ .
٦) سورة الأحزاب، آية ٢٦ .
الصاصي : الحصون، تفسير ابن كثير ج ٣/ /٤٧٨ .
٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٢٤٩ .

الرسول، فحاصرهم الرسول حتى استسلموا، فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، ونزل فيهم قول الله تعالى﴿ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٦ [1] وغنم المسلمون جميع أموالهم [2]، وكما كان لليهود حصون وآطام في المدينة فقد كان للأنصار رضوان الله عليهم حصون كثيرة .

وبتتبع الأطم المذكورة في الكتب وجدت ذِكراً لعدد كبير منها قد يزيد على الخمسة والثلاثين حصناً معروفة في المدينة أو مجاورة لها يصعب تعدادها، سمي كل واحد منها باسم خاص ليسهل تمييزه عن الحصون الأخرى [3] وقد كانت هذه الحصون والأطام ذات دور كبير في حماية أهل المدينة، وذلك لافتقار المدينة إلى سور يحميها [4] من الأعداء الخارجين .

وفي رأيي فإن هناك عوامل عدة تجعل أهل المدينة يركزون على الأطام، بدل الأسوار، وذلك لأن سكان المدينة مختلفون، فمنهم العرب من الأوس لم يكن هناك جدوى من السور إذا كانت الحرب داخلية في وسط المدينة، فكان كل قوم يلتجئون إلى حصونهم لحماية أنفسهم وبالإضافة إلى ذلك فكثيرا ما كانت تنشب الحرب بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وآخرها كان حرب يوم (بعاث)، فلذلك نجد أن كل من الأوس والخزرج، بحاجة

---

[1]) انظر هذه الأطام باختصار موزعة في كتاب، أحمد بن عبد الحميد العباسي، عمدة الأخبار ابتداء من صفحة ٢٣٢ وانتهاء بصفحة ٤٣٧ وهي متفرقة بين الصفحات ومن أهما (الأشنف) لبني عبيد (جاعس) لبني سلمه (وحبره) لبني قينقاع و(حسيكه) لبعض اليهود في طرف المدينة و (خيط) لبني سواد بن غنم، و(الرعل) لبني عبد الأشهل و (الرتاب) لنبي حارثة وغيرها .

[2]) د. محمد العيد الخطراوي : المدينة في العصر الجاهلي، الحياة السياسية والثقافية والدينية ص ٨٨ الطبعة الأولى مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
ود. محمد العبد الخطراوي، شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج ص ٥٠، الطبعة الأولى، مؤسسة علوم القرآن بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

[3]) ؟أبو الوليد الأزرقي، أخبار مكة ص ١٦٨
وابن فهد، إتحاف الورى، ج ١٥٩/١٠ .

إلى حماية أنفسهم ضد بعضهم البعض، وهكذا نجد أن بناءات المدينة المعسكرية، كانت تخضع للظروف الداخلية في مجتمع المدينة بخلاف بعض المدن الأخرى كالطائف مثلاً، التي كان يحميها سور واحد، وذلك لاتحاد سكانها في الدفاع عن بلدهم ولانعدام الخوف من بعضهم البعض، إلا أن أهل الطائف عرفوا الآطام والحصون فيما بعد، نتيجة للحروب الداخلية التي نشبت فيما بينهم [1] ومن الحصون المعروفة في المدينة حصن حسان بن ثابت رضي الله عنه ويسمي (فارع) وقد أنزل الرسول ﷺ نساءه في هذا الحصن أثناء غزوة الخندق، وهو من أشهر حصون المدينة [2]، ومعظم حصون المدينة قد اندرست وبقي منها الآن (حصن كعب بن الأشرف)، ويمكننا أن نستعرض بعض القياسات التي أجراها بعض الباحثين على حصن كعب بن الأشرف حسب ما ورد في كتاب أثار المدينة للأستاذ عبد القدوس الأنصاري : (طول الحصن ٣٣ متراً، وعرضه ٣٣ متراً وارتفاع ما بقي من جدرانه ٤ أمتار، وسمكها متر، وله باب واحد من الجهة الغربية، وثمانية أبراج بعضها ضخام بناؤها من حجارة ضخمة ملتصق بعضها ببعض مباشرة، وطول بعضها ١٤٠ سم، وعرضها ٨٠ سم وسمكها ٤٠ سم، ولا أثر فيه للنقوش ولا للزخرفة وهو بناء حربي محصَّن، بوسطه رحبة واسعة تبلغ مساحتها ألف متر مربع وهي غير مرصوصة ولا مبلطة فالصخور الحرية ناتئة فيها، وبينهما انخفاضات وارتفاعات، وبجوانب الحصن من الداخل عشر غرف مختلفة الأقيسة وأعاليه مهدمة) [3].

---

٤) ابن هشام، السيرة النبوية ٣ / ٢٢٨
والفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ٣٠٩، والعباسي، عمدة الأخبار ص ٣٨٦، ود. محمد العيد الخطراوي، شعر الحرب عند الأوس والخزرج ص ٥٣ .

[1]) عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنّورة ص ٦٥، ٦٦ الطبعة الثالثة، المكتبة السلفية المدينة المنّورة ١١٩١هـ .

وهذه الدراسة التي أجراها الأنصاري تعطينا معلومات وتصوُّر عن بناء الحصن وكثرة العاملين في بنائه بالنظر لضخامته وكبر حجارته وارتفاع مبناه فلا شك أن البنائين فيه كانوا على معرفة تامة بأصول البناء وفنه.

وفي الطائف وجدت بعض الحصون، التي تعطي الحماية ضد العدو إضافة إلى الأسوار، وتتميز هذه الحصون بقدرتها الدفاعية ضد العدو في حالة نشوب حرب داخلية، وكما مرّ بنا فإن الطائف لم تعرف الحصون إلا بعد أن شبّ نزاع داخلي فأحسّ أهلها بحاجتهم إلى الحصون [1]، وقد ذكر أن (غيلان بن سلمة الثقفي) أحضر معه بناءين من فارس بنوا حصناً في الطائف [2] وعلى العموم فإن حصون الطائف لم تلعب دوراً كبيراً في الدفاع عنها وذلك لوجود السور المحيط بها، ومن أشهر حصون الطائف حصن (النفرة) وهو الحصن الذي نزل الرسول ﷺ بقربه هو وأصحابه عند حصارهم للطائف [3].

وأما مكة المكرمة فالذي يظهر لي أنها لم تكن ذات سور ولا ذات حصون في العصر الجاهلي ولا زمن الرسول ﷺ، وقد يكون مردّ ذلك إلى اعتقاد العرب جميعاً بحرمتها وقدسيتها، فلم تكن القبائل تغزوها تبعاً لهذا الاعتقاد، وقد بحثت في عدة كتب منها كتاب الأزرقي، أخبار مكة فلم مسمّيات لحصون في مكة سواء في عصر الرسول ﷺ أم في العصر الجاهلي القريب [4] منه وإنما ظهرت الحصون في مكة في عصور متأخرة.

وأما خيبر فنجدها تعتمد على الحصون في الدفاع عن نفسها فقد اشتهرت خيبر بحصونها الكثيرة، وحين فتح الرسول خيبر سقطت حصونها الواحد تلو الآخر، وكانت حصون خيبر من أقوى حصون

---

[2]) ابن الأثير، الكامل، ٦٨٦/١ .

[3]) ابن حجر، الإصابة ج ٣/ ١٩٠ .

[4]) العجيمي : حسن بن علي بن يحيى بن عمر ت ١١١٣، إهداء للطائف من أخبار الطائف، تحقيق يحيى ساعاتي ص ٩٢ الطبعة الثانية دار ثقيف للنشر ـ الطائف ١٤٠٠هـ .

[1]) أبو الوليد الأزرقي، أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس ط ٣ بيروت ١٣٩٩هـ .

الحجاز، وكان أول حصن فتحه الرسول ﷺ هو حصن (ناعم)، وقد استشهد عنده بعض الصحابة [1] ثم (القموص) ثم (الصعب)، وآخر ما فتح الرسول ﷺ من حصون خيبر (الوطيح) و(السلالم) [2]، كما أن من الحصون (الشق) و(النطاة)، وقد قيل إن (خيبر) تعني الحصن بلغة اليهود، ولكونها تشتمل على هذه الحصون سميت (خيابر) [3] ومنها أشتق اسم خيبر وكان فتحها في السنة السابعة للهجرة وقد كان أهل خيبر أهل مزارع ونخيل، وبالتالي فهم بحاجة إلى هذه الحصون لحماية أنفسهم، ولحماية محاصيلهم الزراعية، ولوجود المزارع لديهم فإنه يتعذر إحاطة بلدهم بسور، وذلك لأن كثرة المزارع تزيد المساحة، وتمنع من ذلك، ولهذا أكتفوا بالحصون التي تؤدي الغرض نفسه، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ فاجأ خيبر في وقت خروج الفلاحين إلى أعمالهم [4].

وفي وادي القرى كان يسكن مجموعة من اليهود، وقد اتخذوا لهم حصوناً كثيرة، وقد افتتحها الرسول ﷺ بعد خيبر عنوة [5].

وقد اشتهرت (تيما) ببعض الحصون بها، حيث كان يقطن جماعة من يهود، ومن أشهر حصونهم (الأبلق الفرد) وهو حصن السموأل، الذي تضرب به العرب المثل في الحصانة [6].

---

[2]) الفيروز أبادي، المغانم المطابة، ص ٤٠٤، وابن هشام السيرة النبوية ج ٣ / ٣٣٠
والحلبي، السيرة الحلبية، ج / ٧٣٢.
[3]) ابن هشام السيرة النبوية، ج ٣ / ٣٣٧، والواقدي، المغازي ج ٢ / ٦٧٠
والسمهودي، وفاء الوفاء ج ٣ / ١٢٠٩.
٤) الفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ١٣٤، والسمهودي، وفاء الوفاء ج ٣ / ١٢٠٩.
[5]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٣٢٩
والواقدي، المغازي، ج ٢/ ٦٤٢
ود. أكرم العُمري، المجتمع المدني في عهد النبوة القسم الثاني، الجهاد ضد المشركين ص ١٦٤.
٦) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٧
والواقدي، المغازي ج ٢ / ٧٠٦
والسمهودي، وفاء الوفاء، ج ٤ / ١٣٢٩
والفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ٤٢٣.

[1]) العباسي، عمدة الأخبار ص ٣٤٠
ياقوت الحموي، معجم البلدان ج /٦٧.

وهكذا نجد أن معظم قرى الحجاز تشتمل على حصون للدفاع ولحفظ النساء والأولاد في حال القتال ومهاجمة العدو، ومما لاشك فيه أنه كان هناك رجال مختصون بأعمال البناء لهذه الحصون والآطام، لديهم القدرة على البناء والمعرفة بأساليب البناء وفنونه، ولم يكن هؤلاء العاملون قلة، بدليل كثرة هذه الحصون، كما أن لدى أهل المدينة إمكانات كثيرة في معدات البناء استخدمها الرسول في حفر الخندق حين استعار من يهود بني قريظة [1]، ما ينقصه لعملية الحفر، فتوفر هذه المعدَّات دليل على توفر البنائين .

ج – <u>الخنادق</u> :

مفردها خندق، وهو الحفير حول أسوار المدن أو حول المدن للحماية يقول الشاعر:

لا تحسبن الخندق المحفور يدفع عنك القدر المقدورا [2]

والعرب وإن كانوا يعرفون الخندق إلا أنهم لم يكونوا يعرفونه كخط دفاعي عن القرى والمدن إلا في عصر الرسول ﷺ، وذلك حينما أشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه في السنة الخامسة للهجرة، حينما غزت قريش ومن معها من الأحزاب المدينة المنّورة، فقال سلمان يا رسول الله إِنَّا كُنَّا بأرض فارس إذا تخوّفنا الخيل خنَّدقنا علينا خنادق [3]، فاقتنع الرسول ﷺ بفكرة سلمان رضي الله عنه وقام بنفسه ﷺ بتحديد مواقع الحفر ومسير الخندق [4]، جاعلاً جبل سلع [5] خلف ظهور

---

[2]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤ / ٥١٥ .
[3]) الزبيدي، تاج العروس ج ٦ / ٣٣٩ .
[4]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ / ٥١٤
والسمهودي، وفاء الوفاء، ج ٤ / ١٢٠٦ .
[5]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٥١٥/٤، والسمهودي، وفاء الوفاء ج ٤/ ١٢٠٥، والخزاعي ، تخريج الدلالات السمعية ص ٤٩٧ .
[6]) سلع : جبيل بسوق المدينة، الفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ١٨٣ .

المسلمين، وحفر الرسول ومن معه من الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية [1] وهي المنطقة المفتوحة التي توقّع من الأحزاب أن يهاجموا المدينة منها في السنة الخامسة للهجرة، وقد عمل المسلمون في حفر الخندق يداً واحدة وقد عمل الرسول ﷺ بيده الكريمة معهم [2]، حتى إن الغبار علا ظهره، وقد عمل مع الرسول جميع المسلمين الصادقين الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف مسلم، ما بين أنصاري ومهاجري، وقد قصَّم الرسول العمل فيما بينهم، بحيث لكل عشرة رجال منهم أربعين ذراعاً [3]، أي لكل رجل منهم أربعة أذرع، أي قرابة المترين، وبمقارنة طول الخندق يظهر أن عدد الذين حفروا الخندق أقل من ثلاثة آلاف شخص، فقد قُدِّر طول الخندق حسب الدراسات الحديثة بما يقرب من خمسة آلاف ذراع وعمقه لا يقل عن سبعة أذرع، وعرضه لا يقل عن تسعة أذرع [4]، وقد تعاون المسلمون فكان كل من فرغ من المسلمين من عمل ما خصص له اتجه إلى مساعدة بقية إخوانه [5]، وذلك لأن الأرض مختلفة بعضها عن بعض في سهولة الحفر لها ولينها أو صعوبته، إضافة إلى اختلاف القدرة الشخصية لكل فرد منهم، فمنهم الشباب ومنهم الشيوخ، وقد تعاونوا يداً واحدة في هذا الحفر عدا بعض المنافقين الذين ظهر نفاقهم، وكان الرسول ﷺ من أشدهم عملاً حتى أنهم يستنجدون به إذا استعصيت عليهم حجارة أثناء الحفر [6]، وقد أحتاج المسلمون إلى معدات كثيرة لعملية حفر الخندق،

---

[2]) العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار ص ٣١٤ .

[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٢١٦ وآخرين
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج٥١٥/٤
والسمهودي، وفاء الوفاء ج ٤ / ١٢٠٧
والدارمي، سنن الدارمي ج / ٢ / ٢٢١ .

[3]) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٤ / ١٢٠٥
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٤٩٧ .

[4]) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة ص ٢٠٧.

[5]) الصالحي الشامي، سبل العدى والرشاد ج٥١٦/٤
ود. أكرم ضياء العُمري، المجتمع المدني في عهد النبوة (الجهاد ضد المشركين) ص ١١٣ .

[6]) الواقدي، المغازي، ج ٢ / ٤٤٩
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤ / ٥١٧ والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٤٩٧
والنجار، محمد بن محمود، أخبار مدينة الرسول ص ٦١

وذلك بغرض السرعة في عملية الحفر قبل قدوم العدو، فاضطروا إلى استعارة الآت كثيرة من المساحي والمكاتل من بني قريظة[1] بغرض إنجاز العمل في أقرب وقت وقد تمكّن المسلمون من إنجاز الخندق في ستة أيام [2]، وكان كافياً لمنع المشركين فرساناً وراجله من دخول المدينة [3] وفي خلال العمل اشتهر عن الرسول ﷺ وأصحابه ارتجازهم بآبيات مشهورة من شعر عبد الله بن رواحة التي يقول :-

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا[4]

وقد كان لهذا الرجز دور كبير في حماس المسلمين وتنشيطهم على العمل، والترويح عن أنفسهم، وقد نجح الخندق في صدِّ الأحزاب عن المدينة، وحفر الخندق ليس بناء كما هو معروف، إلا أن الحفر بدخل في نطاق البناء ويمكننا اعتباره من أعمال البناء لمشابهته له في العمل، واستخدام نفس الآلات كما أن أعمال البناء في مجملها لا تخلو من الحفر لذلك أوردناه في البنايات العسكرية، لدخوله ضمن التحصينات العسكرية .

<u>حفر الآبار</u> :-

تعتبر الآبار في الحجاز المصدر الرئيسي لسد حاجة الناس والحيوانات من مياه الشرب، إضافة إلى حاجة الناس للماء في النظافة وغيرها، كما تعتمد الزراعة في المدينة وخيبر ووادي القرى على الآبار، لذلك كانت الآبار

وحمّاد بن إسحاق، تركة النبي، تحقيق د. أكرم العُمري ص ٦٨
والسمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢ / ١٢٠٧ .

[2]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤/ ٥١٥ .

[1]) السمهودي، وفاء الوفاء ج ٢/ ١٢٤٠ .

[2]) د. أكرم ضياء العُمري، المجتمع المدني، (الجهاد ضد المشركين ص ١٢٢) .

[3]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤ / ٥١٥
والدارمي، سنن الدارمي ج ٢ / ٢٢١ والنجار : محمد محمود، أخبار مدينة الرسول ص ٦١ .

منتشرة في الحجاز في مختلف المدن والقرى، كما أن هناك الكثير من الآبار تقع على الطرق التي تسلكها القوافل التجارية، كما توجد الكثير من الآبار القريبة من المراعي والتي تسد حاجة الرعاة إلى الماء، ولنا أن نتصوَّر الأعداد الكثيرة من الآبار المنتشرة في مختلف أنحاء الحجاز، وبطبيعة الحال فإن هذه الآبار لم توجد نفسها، وإنما كان هناك أناس مختصون قاموا بحفرها، وهم على دراية ومعرفة بأماكن وجود الماء، كما أنهم على معرفة بطرق الحفر وحماية البئر من السقوط، وقد كان لدى العرب في الحجاز وغيرها الخبرة التي يعرفون بها وجود الماء من عدمه في باطن الأرض قبل الحفر، وهو ما يعرف عندهم بـ (الرياقة)، وهم يعرفون وجود الماء بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجود الماء في الأرض، وقربة من بعده، وذلك بواسطة شم التراب، أو بمعرفة بعض أنواع النبات، أو بحركة بعض الحيوانات في المنطقة أو بوضع أذنه على الأرض [1]، وهو علم يعتمد على الفراسة بالدرجة الأولى وكان يعتبر مهم في هذا المجال، ومن هنا كانت لديهم الخبرة الكافية في تحري مواقع الماء قبل الحفر، وذلك بجعل عملية اختيار موقع البئر أكثر ضماناً، يقوم عمال الحفر بعد اختيار الموقع بحفر البئر، وإخراج الناتج عن الحفر من تراب وحجارة، وتسمي عملية الحفر (الاعتقام)[2] وتحتاج عملية الحفر إلى أدوات خاصة يلزم توفرها عند الحفارين، كما أنه يلزم وجود أناس أصحاب خبرة في حفر البئر [3]، وتختلف الآبار حسب اختلاف الأرض وصلابتها، وحسب بعد الماء وقربه، فبعض الآبار تكون أرضها صلبة ومتماسكة وبعضها تكون أرضها لينة، ويلزم تأمين حيطانها بالحجارة، وهو ما يسمي (الطوى)[4] يقول الشاعر :-

فان الماء أبي وجدي وبئري ذو حفرت وذو طويت [5]

---

[1]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ٣٤٣/٣.
[2]) الزبيدي، تاج العروس ج ٨ / ٤٠٣ .
[3]) د. جواد علي، المفصّل ٧/ ١٨٥ .
[4]) الزبيدي، ١٢٩/١٠ .
٥) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٢ / ١٩٨ .
٦) الفيروز أبادي، المغانم المطابة، ص ٢٥

المعنى البئر الذي حفرته وطويت بالحجارة .

وقد كانت الآبار في المدينة زمن الرسول ﷺ كثيرة جداً اشتهر منها بئر (أريس) وهو قرب مسجد قباء [1] وفيها سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وسمّيت بعد ذلك بئر الخاتم واستمرت تسمي بهذا الاسم [2] .

ومن آبار المدينة أيضاً (بئر رومه) وهي التي اشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه وتصّدق بها على المسلمين [3] ، كذلك من الآبار المشهورة (بئر حا) وهي التي تصدق بها أبو طلحة رضي الله عنه [4] ، والحق أن آبار المدينة المنّورة لا مجال لحصرها أو عّدها وإلا لطال ذكرها [5] ، وقد كان الماء في المدينة المنّورة غير بعيد جدا فيقدر بعد الماء في الآبار عن سطح الأرض بستة أذرع أي قرابة ثلاثة أمتار في كثير من آبار المدينة المنَّورة التي عرفت زمن الرسول ﷺ وذلك من خلال حديث المصادر عن كل بئر على حدة .

<u>آبار مكة والطائف</u> :-

لقد كانت مكة من أكثر بلاد الحجاز آباراً، وأكثرها حاجة للمياه لشدة حرارتها طول العام، ولكثرة سكانها، لإضافة لحاجتها المتزايدة إلى الماء في موسم الحج، حيث يكثر الناس بمكة، وتكثر حاجتهم للماء، وفي مكة كان العمل في حفر الآبار قائماً على أشده في

والسمهودي، وفاء الوفاء، ج ٣ / ٩٤٣ .
٧) العباسي، عمدة الأخبار (حاشية) ص ٢٥٨ .
٨) الفيروز أبادي، المغانم المطابة، ص ٤٠
عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ١ / ١٥٢ .
٩) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج١ / ١٥٧.

[1]) لمعرفة آبار المدينة ، أنظر عمر بن شبه، تاريخ المدينة من ص ١٥٣ حتى ١٦٢
والفيروز أبادي، المغانم المطابة، من ص ٢٥ حتى ص ٥٠
والسمهودي، وفاء الوفاء، ج ٤ من ص ٩٤٣ حتى ص ٩٨٨
والعباسي، عمدة الأخبار، من ص ٢٤٢ حتى ص ٢٦٨.
٢) أبو الوليد الأزرقي، تاريخ مكة ج ٢/ ٢٢٢ .

الجاهلية، وبعد ظهور الإسلام وكان كبار رجالات قريش يحفرون الآبار على حسابهم يسقون منها الناس، ويفتخرون بذلك [1]، نظراً لأن كثيراً من الآبار كانت تتعرض لنقص في المياه، أو لتغيّر في طعم الماء [2]، نتائج عوامل مختلفة منها كثرة الاستعمال أحياناً وقد خاطب الله قريشاً في سورة (الملك) بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ الملك: ٣٠ [3] أي إذا أصبح ماؤكم ذاهباً في الأرض إلى أسفل فلا يُنال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد فمن يأتيكم بهذا الماء [4] الذي تشربون، وقد كانت آبار مكة كثيرة [5] يصعب عدها، ولكنها ولكنها تعطينا دلالة واضحة على مقدار ما بذل من جهد في حفر هذه الآبار، وعلى وجود أناس مختصين في حفر الآبار، ووجود خبرات كافية لديهم للقيام بهذا العمل، خصوصاً إذا عرفنا صلابة الأرض في مكة وصعوبة الحفر فيها، وكثيراً ما تقع المنازعات والمفاخرات بين أهل مكة في الآبار وحفرها وسقيا الحجيج، حتى أن القوم كادوا أن يقتتلوا عدة مرات بسبب هذا التفاخر [6] وقد كانت أشهر بئر في مكة هي بئر (زمزم) التي أخرجها الله لإسماعيل عليه السلام ولأمه هاجر، ثم اندرست ودفنتها السيول حتى زمن عبد المطلب جد النبي ﷺ، الذي رأى موضعها في المنام، فقام بحفرها يساعده في ذلك ابنه الحارث [7] وأخذ يسقي منها الحجيج .

---

٣) أبو الوليد الأزرقي، تاريخ مكة ج ٢٢١/٢ .
٤) سورة الملك، آية ٣٠ .
٥) تفسير ابن كثير ج ٤ / ٤٠٠ .
٦) لمعرفة آبار مكة، انظر : أبو الوليد الأزرقي، تاريخ مكة ج ٢ / ٢١٤ حتى ٢٢٤ .

[1]) أبو الوليد الأزرقي، ج ٢ / ٢٢٢ .
[2]) أبو الوليد الأزرقي، ج ٢ / ٤٢
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ١ / ٢١٨.

وفي الطائف وجدت الكثير من الآبار، وكانت بعض الآبار تحتوي على درج ينزل إلى الماء [1]، وكانت الحاجة في الطائف للماء لشرب الناس والحيوانات أما الزراعة فكانت في الغالب من الأمطار، لذلك كانت اقلّ من غيرها من مدن الحجاز في الآبار إلى حد ما .

وكانت تلحق بعملية حفر الآبار عمليات معمارية أخرى فقد كان أصحاب الآبار يقومون ببناء بعض الأحواض الخاصة بتجميع المياه وهي على أشكال وأنواع مختلفة فمنها ما كان يخص شرب الناس، ومنها ما كان يخص شرب البهائم [2] ومنها ما كان لتجميع الماء وسقيا الزرع، وقد بني عبد المطلب جدّ الرسول ﷺ حوضاً على بئر زمزم لكي يسقي الحجاج منها [3]، قليب بدر الذي نزل عليه في غزوة بدر، وجعلوا فيه الأواني للشرب [4] .

وتعمل الأحواض لشرب الإبل والبهائم الأخرى، ويوضع فيها حجر مُعَلَّم بعلامات ليعرف مقدار الماء فيه وما يكفي من الإبل ويسمي (القُدْاس) [5] وهذه الأحواض تحتاج إلى عملية بناء تختلف حسب الحاجة، كما أن كثيراً من الآبار تقام عليها الأبنية لحماية الناس من الوقوع فيها ولحماية البئر من وقوع البهائم أو القاذورات فيه [6] .

وقد عني الإسلام بإخراج الماء، وحفر الآبار للناس، فقد سنَّ الرسول ﷺ عدداً من التشريعات في مجال خفر الآبار، وامتلاكها كما

---

[3]) العجيمي، حسن بن علي بن يحيى، إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق يحيى ساعاتي ص ٩٢ .
[4]) جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب، ج ٧ / ١٧٣ .
٥) أبو الوليد الأزرقي، ج ٢ / ٤٣ .
[6]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢ / ٦٢١، والطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٢ /٢٧٧، والحلبي، السيرة الحلبية، ج٣٩٣/٢ .
[7]) الزبيدي، تاج العروس ٤ / ٢١٣ .
٨) جواد علي، المفصّل، ج ٧ / ١٦٣ .

جعل للبئر حمى تمنع الناس من الإضرار بالبئر أو بصاحبها ، فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال : (من احتفر بئراً فليس لأحد أن يحفر حوله أربعين ذراعاً عطنا لماشيته) [1] ، وقد فصَّل فقهاء المسلمين الآبار على عدة أنواع، منها آبار داخل المدن والقرى ومنها آبار المزارع، ومنها آبار المراعي، وخصصوا لكل نوع من هذه الآبار حمى يمنع من الحفر حوله أو الأضرار به[2] ، كما كان الرسول ﷺ يحث الصحابة على التصدق بالماء ويراه من أفضل الصدقة ، حتى أن عثمان رضي الله عنه اشترى بئر (رومة) وتصدق بها على الناس، فكان يستقي لنفسه منها مع الناس [3] .

أدوات البناء :-

ومما لاشك فيه أن العرب في الحجاز قد عرفوا أدوات البناء بمختلف أنواعها فعرفوا ، المساحة ، و(المِكتَل) كما عرفوا (الصَافُور) [4] وهي الفأس العظيمة التي لها رأس واحد دقيق تكسر بها الحجارة ، (والمِعْوَل) وهو الفأس العظيمة من حديد التي ينقر بها الصخر [5] كما عرفوا (العِتْلة) وهي آلة من حديد كأنها عصى ورأسها رأس فأس [6] ، ولا تزال تعرف وتسمي بالاسم نفسه حتى اليوم كما عرفوا اللبن [7] وهو خليط الطين المربع على قوالب والمجفف بالشمس حتى حتى يمكن حمله ووضعه بسهولة و (الملبّن) هو القالب الذي يشكل به اللبن [8] كما كنوا يجيدون خلط الطين، وقد كانت أدوات البناء

---

[1] سنن الدارمي، ج ٢ / ١٧٣ .
[2] انظر، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، الأموال ص ٣٧٠
وأبو يعلى، الأحكام السلطانية ص ٢١٧ .
[3] عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ١ / ١٥٢ .
[4] محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٣٩٨ .
[5] الزبيدي، تاج العروس، ج ٨ / ٣٩ .
[6] الزبيدي، تاج العروس، ج ٨ / ٤ .
[7] ابن سيِّد الناس : عيون الثر ج ١ / ٢٣٧ .
[8] الزبيدي، تاج العروس، ج ٩ / ٣٢٨ .

متوفرة بكميات كافية للعديد من عمّال البناء، ويدل على ذلك ظهور هذه الأدوات حينما أراد الرسول ﷺ حفر الخندق، حيث أن هذه الأدوات لكثرتها مكّنت المسلمين من إنجاز العمل في ستة أيام فقط .

❖ ❖ ❖

ومما لاشك فيه أهل الحجاز زمن الرسول ﷺ كانوا يقومون ببناء ما تدعوا الحاجة إلى بنائه دون الإسراف في ذلك، فإذا نظرنا إلى مساكنهم أو مساجدهم نجد أنها بسيطة للغاية وغير متكلف فيها، كما أننا إذا نظرنا إلى حصونهم نجد أنها قوية وحصينة، وتقوم بالغرض منها في صدّ العدو، كما نجد أنهم لم يكونوا يهتمون بالزخرفة وبقش البيوت أو المساجد، وإنما ظهر ذلك بعد عصر الرسول وحينما زادت الأموال لدى المسلمين ووقعوا في الترف المادي، كما نلاحظ أنهم استفادوا من بيئتهم الخاصة في أعمال البناء دون الحاجة إلى استيراد شيء من غير مناطقهم، فقد استفادوا من الطين المتوفر بكثرة في إعداد البنايات الطينية وفي تسقيفها، كما استفادوا من الحجارة في بناء بعض الحيطان والحصون، واستفادوا من عُسب النخيل وجريدها في السقوف، كما استفادوا من جذوع النخيل في الأعمدة وكذلك استفادوا من أخشاب الأشجار المتوفرة لديهم، ومن بعض الأعشاب (كالأذخر) [1] وغيره فكان هناك اكتفاء ذاتي فيما يتعلق بخامات البناء ...

[1]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٥٥ .

النجـــارة

النجارة من الحرف الضرورية للناس بمختلف أجناسهم، سواء الحاضرة منهم، أو البادية، وقد عرفتها البشرية منذ أقدم الأزمان، فقد كان نوح عليه السلام نجاراً[1]، والنجارة تلبي حاجات عديدة للإنسان، وقد عرفت النجارة لدى عرب الحجاز في الجاهلية، وفي زمن الرسول ﷺ، وقد كانت تسدّ حاجات كثيرة ومختلفة في تلك الأيام، فقد كانت النجارة حرفة مكملة للبناء، فلا يكاد يتم البناء إلا بها، فيعتمد على النجارة في سقف البيوت، والبناءات المختلفة، فقد استعان أهل مكة بأخشاب سفينة رومية، غرقت في الشعيبة ميناء مكة، وذلك لسقف الكعبة وتسقيفها [2]، وتسقيف البناء يحتاج من النجّار إلى أعداد مسبقة للخشب، وبمقاسات معينة حسب حاجة البناء، كما أن البناء يحتاج إلى أبواب، وهذه الأبواب لا يقوم بعملها إلا النجارون في الغالب في ذلك العهد [3]، فقد كان لحجرة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) باب بمصراع واحد من عرعر أو من ساج [4]، كما أن بعض البيوت تحتاج إلى النوافذ وبالتالي تحتاج هذه العملية إلى النجار، وإلى أخشابه، إما لعمل النافذة نفسها [5] أو لعمل سقف النافذة.

كما أن النجارين في ذلك الوقت كانوا يخدمون الأغراض العسكرية، وذلك باشتراكهم في صنع بعض الأسلحة، فصناعة الدبابة والمنجنيق تعتمد بالدرجة الأولى على النجارين، كما أن صناعة الأقواس قد تدخل ضمناً في النجارة، وبالإضافة إلى ذلك فإن صناعة

---

[1]) عبد الوهاب النجّار، قصص الأنبياء، ص ٣٤ الطبعة الثالثة دار أحياء، التراث العربي، بيروت .
[2]) انظر، بناء الكعبة المشرفة (فصل البناء)
[3]) جواد علي، المفصّل ج ٧ / ٥٤٨ .
[4]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣/ ٥٠٨ .
[5]) جواد علي، المرجع السابق، المكان السابق .

الرماح لابد لها من خبير في الأخشاب، وقد تدخل في صنعة النجارة، كما أن السيوف تحتاج إلى (غِمْد) تدخل فيه عند حفظها وعدم استخدامها حتى لا تضر أحد، وقد تكون من الخشب أيضاً [1]، كما أن السكاكين والخناجر تحتاج إلى مقابض من الخشب في الغالب إضافة إلى ذلك فقد كان للنجارة أيام الرسول ﷺ دور كبير في تأمين حاجة الناس إلى الكثير من الأثاث، والأواني، فقد عرف في مكة تحت الأقداح من الخشب، فقد كان (أبو رافع) رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ مشهوراً بنحت الأقداح، عندما كان يعمل عند العباس عمَّ الرسول ﷺ بمكة حيث كان ينحت له الأقداح في حجرة زمزم في المسجد الحرام [2] قبل أن يكون مولى الرسول ﷺ .

وتكثر بالحجاز أشجار تعمل منها القصاع، والصحاف، والجفان [3]، وهي أوان خشبية يعمل فيها الثريد وغيره من انواع الطعام، وعلى رأس هذه الأشجار الشيّزي [4]، ... وقد كان للنبي ﷺ قدح من خشب، فكان عند أنس بن مالك رضي الله عنه بعد وفاة الرسول ﷺ، وقدا إنصدع فشدَّة أنس بفضة [5]، وقد عرفت (المجمرة) ضمن ما عرف من الأواني زمن الرسول [6]، وهي في الغالب من خشب مجوفة، ثم مغلفة

---

٦) انظر (فصل صناعة السلاح) من هذه الرسالة .

١) ابن هشام، السيرة النبوية ج ٦٢٧/٢
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٧٢٥ .

٢) القصاع والصحاف والجفان، أوان تصنع في الغالب من الخشب والصحفة تَسَعُ الخمسة نفر والقصعة أكبر منها والجفنة أعظم القصاع، (ابن منظور، لسان العرب ج ٤ / ٢٤٠٥ وج٥ /٣٦٥٣ وج ١ /٦٤٤) .

٣) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢ / ١٩٨ (والشيزي)، شجر الأبنوس، خشبة قوي يتخذ منه الأواني، (ابن منظور لسان العرب ج ٤ / ٢٣٧٥) .

٤) الذهبي، السيرة النبوية ص ٣٥٨ .

٥) السهيلي، الروض الأنف ج ٣ / ٤٣ .

٦) (المَسَد) هو الحبل المصنوع من خوص أو ليف أو شعر أو صوف أو جلود الإبل تفتل حتى تصبح حبلاً وتصنع منه الأسرة وغيرها (الزبيدي، تاج العروس، ٥٠١/٢) .

مغلفة بحديد أو نحاس تمنع الاحتراق عنها وتستخدم في البخور حيث كان الناس يتجمرون ويجمرون الكعبة ومسجد الرسول .

وقد أستفيد من النجَّارين أيام الرسول ﷺ في صناعة الأثاث، فقد كانت قريش بمكة تستعمل السرر للنوم، فلما قدم الرسول المدينة ونزل عند أبي أيوب الأنصاري، وقال له الرسول : يا أبا أيوب أما لكم سرير ؟ قال : لا والله فبلغ ذلك أسعد بن زراره، فبعث إلى رسول الله ﷺ بسرير له عمود، وقوائمه من ساج، رملُهُ من خَزْم[1] (يعني المَسَد)، فكان ينام عليه حتى تحول إلى منزل عائشة رضي الله عنها فكان فيه، فوهبه لعائشة، فكان ينام عليه حتى تفي فوضع عليه وصلى عليه، وبدأ الناس يأخذونه يحملون عليه موتاهم، فحمل عليه أبو بكر وعمر وأصبح يأخذه الناس يطلبون بركة النبي [2] ﷺ .

وقد اتخذ الرسول ﷺ منبراً من خشب يخطب عليه وذلك في السنة السابعة من الهجرة، وقد صنعه للرسول عليه السلام غلام نجار لامرأة من الأنصار، صنعه من طرفاء [3] وجعله على ثلاث درجات، فكان الرسول ﷺ يخطب عليه في مسجده يوم الجمعة وغيرها [4]، وقيل إن سبعة سبعة من النجارين اجتمعوا على صنعه [5] وإذا صح هذا العدد فإن عدد النجارين في المدينة أيام الرسول كان في تلك الأيام غير قليل .

كما أن الرسول ﷺ كان لديه (محجن) من خشب قدر ذراع، يركب به فيعلقه بين يديه على بعيره [6] ، والمحجن مهمته المساعدة في

---

[1]) حماد بن اسحق، تركة النبي، تحقيق د. أكرم العُمري، ص ١٠٤، ١٠٥
والذهبي، السيرة النبوية ص ٣٥٨ / ابن سيد الناس، عيون الأثره ج ٤٠٠/٢ .

[2]) الطرفاء، نوع من الشجر يخرج عصباً سمحه في السماء وليس له خشب وله هدب مثل الأثل (ابن منظور، لسان العرب، ج ٤ / ٢٦٦١) (ولا يزال معروفاً بهذا الاسم حتى اليوم) .

[3]) البخاري (الصحيح) فتح الباري ج ٩ / ١٧٠
والنسائي، سنن النسائي ج ٣ / ١٠٢ .

[4]) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ٦١ .

[5]) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج ١/ ٤٦٣، والذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٥٨ .

ربط الأمتعة على ظهر البعير، فهو يتكون من خشب على شكل رقم (٧) يربط الحبل على وسطه حتى يشده، ولا يزال المحجن معروفاً عند أهل الإبل حتى الآن، ويسمي عندهم (المحجان) وهو يشبه الخطَّاف المستعمل في طرف آلات السحب من رافعات وغيرها .

كما أن الرسول ﷺ قد استعمل الكرسي، وهو في الغالب من خشب يعمله النجارون، فقد كان لدى الرسول ﷺ كرسي في بيته، كما أن الرسول ﷺ أتي له بكرسي في المسجد، وجلس عليه يشرح لأحد السائلين أمور الدين [١]، كما عرف عندهم (المهراس) وهو وعاء مجوف يتخذ من جذوع النخل أو غيرها من الأشجار الغليظة ويضع له (مدقة) من خشب، ويوضع الحب في التجويف ويدق في وسطه حتى يرقق، [٢] ولا يزال المهراس معروفاً باسمه حتى الآن في كثير من قرى وبلاد العرب .

وقد كان العرب في الحجاز قبل الإسلام يعبدون الأصنام، وكانوا يصنعونها في بعض الأحيان من الخشب، ولابد لهذا العمل من نجارين مهرة يقومون بصناعة هذه الأصنام، فلما جاء الإسلام طهر الله الناس من هذه الأصنام، وقد توقفت صناعتها في الحجاز بعد فتح مكة، وحطَّم الرسول ﷺ ما كان موجوداً منها في جوف الكعبة [٣] وكان عددها كبير .

كما أن أهل الحجاز عرفوا (الهودج) وهو مركب خاص بالنساء يحمل على ظهور الإبل، يصنع من العصي ثم يجعل فوقه الخشب، ويقبب بأستار تمنع الناس من نظر المرأة التي فيه [٤]، وقد استعمله

---

[٦]) الخزاعي، سمط النجوم العوالي ، ج ١ / ٤٦٣ والذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٥٨ .
[٧]) الزبيدي، تاج العروس، ٢٧١/٤ .
[١]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٤١٧
والواقدي، المغازي، ج ٢ / ٨٣٢.
[٢]) الزبيدي، تاج العروس ج ٢ / ١١٥ .

الرسول ﷺ في نقل نسائه أثناء غزواته، ففي حديث الإفك (أن القوم حملوا الهودج ووضعوه على البعير ظنّاً منهم أن عائشة رضي اللّه عنها فيه) [1]، كما أن النجارين صنعوا (الميتده) وهي مطرقة خاصة تصنع من خشب حيث يسهل حملها فيستعملها الأعراب لدق أوتاد الخيمة [2]، ولا تزال تستعمل حتى الآن عند بعض البادية، كما أن خيام الأعراب تحتاج إلى أعمدة لوقوفها وتركيبها، وهذه الأعمدة غالباً من الخشب، وتحتاج إلى إعداد مسبق بطريقة خاصة بحيث تؤدي الغرض المطلوب منها بيسر وسهولة .

ونلاحظ أن معظم من كانوا يجيدون النجارة زمن النبي ﷺ في الحجاز هم في الغالب من الموالي، وقد يكون مرد ذلك إحتقار العرب للصناعات، ويدل على قلّة النجارين من العرب أن قريشاً في مكة حينما أرادوا بناء الكعبة استعانوا بنجار رومي لعمل السقف فلو كان هناك مناهل مكة من يجيد عمل السقف بهذه الطريقة لكان أولى من الرومي للقيام بهذا العمل [3]، أو لعل له خبرة خاصة غير متوفرة في نجاري مكة.

وقد كان الخشب متوفراً في منطقة الحجاز، وأهم الأخشاب التي استفيد منها في النجارة هي شجر (السمر) وهو شجر صغار الورق قصار الشوك، وكما يقول مرجع حديث : (فليس في العضاة شجر أجود خشباً من السمر ينقل إلى القرى) [4]، كما أن هناك بعض الأنواع الجيدة من الخشب منها ما هو مستور مثل خشب (الساج) والذي كان موجوداً في المدينة، ومنه باب حجرة عائشة، ويصنع منه الأثاث الثمين ومنه ما استعمل في بناء الكعبة من السفينة الرومية .. وقد كان

---

[3]) ابن هشام السيرة النبوية، ج ٣ / ٢٩٧ .
[4]) جواد علي، المفصّل، ٥٥١/٧ .
[5]) انظر بناء الكعبة المشّرفة من (البناء) في هذا الفصل .
[1]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج٢٠٤/٢، والسمر جمع ومفرده سَمُره .

للنجارين أدوات خاصة يستعملونها في عملية النجارة، كانت معروفة زمن الرسول ﷺ، وقبل ذلك، وعلى رأسها الأدوات التالية :

- (المنشار) وهو الحديدة الخاصة بنشر الخشب وتقطيعه إلى أجزاء [1] وهي معروفة .
- (الفأس) وهي ذات رأس واحد وإذا كانت ذات رأسين فتمي (الحدأة) وثقب الفأس يسمي (الحرت) ويد الفأس تسمي (النصاب) و(الوشيظة) تجعل مع النصاب في الحرت حتى يضيق فيمسك النصاب [2]، .
- و(المثقب) حديدة على شكل مسمار كبير يثقب به الخشب بالتدوير [3] .
- (المحفرة) آلة يحفر بها الخشب [4] .
- (الكلبتان) آلة يخرج بها النجّار المسمار من الخشب [5] .
- (المسمار) الحديدة المشكلة بحيث يشد بها الخشب [6]،

وكل هذه الأدوات كانت معروفة بنفس الأسماء لديهم ولعل الكثير منها يصنع محلياً ولا تزال بعض هذه الأدوات معروفة بنفس الأسماء عند بعض النجارين في المدن والقرى الصغيرة، الذين يقومون بأعمال النجارة بأيديهم على الطريقة القديمة، ومما يعرف حتى الآن بأسمائه القديمة (المنشار) و(الفأس) و(القدُّوم) و(النصاب) و(الوشيظة) و(المثقب) و(المحفرة) و(الكلبتان) .

---

[2]) جواد علي، المفصّل، ج ٧ / ٥٥٢ .
[3]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج٣/٤٠٠ .
[4]) الزبيدي، تاج العروس ج ١ / ١٩٦ .
[5]) الزبيدي، تاج العروس ج ٣ / ١٥١ .
[6]) الزبيدي، تاج العروس، ج ١ / ٤٦١ .
[7]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٢٧٨ .

وهكذا نجد أن معظم الأدوات المستخدمة في الماضي لا تزال مستخدمة حالياً وان النجارين القدماء، كان لديهم من الأدوات ما يسد احتياجاتهم للقيام بحرفتهم على أتم وجه، وكانوا بالتالي يسدون حاجة الناس لهذه الحِرفة في الأماكن التي يوجدون فيها كما أن بعض الناس يقوم بأعمال النجارة البسيطة دون الحاجة إلى النجارين المحترفين .

الفصل الخامس

(صناعة السلاح)

- صناعة الأقواس والسهام .
- صناعة الرماح .
- صناعة السيوف والخناجر وصقلها .
- الأسلحة الدفاعية .

  الترس ـ الدروع ـ المغفر ـ البيضة
- الدبابة .
- المنجنيق .
- الحسك .

أهمية السلاح في حياة عرب الحجاز

من المعروف أن العرب قبل الإسلام كانوا أهل فروسية وأهل سلاح، وكان السلاح يرافقهم في أسفارهم وسكنهم، وذلك لحاجتهم إليه تبعاً لعاداتهم الخاصة، وتبعاً لضرورات حياتهم في تلك الأيام، فهم يحتاجون إلى السلاح إما في الصيد[1] حيث يؤمن كثير منهم قسطاً كبيراً من معايشهم عن طريق الصيد سواء الحاضرة من العرب أو البادية وبهذا لا يستغنون عن السلاح .

كما أن العرب في جاهليتهم كانوا أهل إغارات وسلب ونهب [2] وهم بهذا بحاجة ماسة إلى السلاح للهجوم على القبائل الأخرى والسلب منها، أو للدفاع المعاكس ضد الهجمات التي تشنها عليهم القبائل الأخرى، وهكذا نجد العرب أهل سلاح ، لا يمكنهم الاستغناء عنه بحال من الأحوال، وهذا الوضع يجعلهم يهتمون بالسلاح شراء أو بيعاً، أو صناعة أو صقلاً، ونحن في هذه النقطة لن نتعرض لشراء السلاح المصنع في غير بلاد العرب لأن موضعه كان أثناء الحديث عن التجارة، وأما صناعة السلاح في الحجاز فسنتعرض لها حسب ما تسعفنا به المصادر وفق منهجية البحث العلمية، وسنحاول التعرف على أنواع الأسلحة المختلفة المستعملة سواء منها ما صنع في الحجاز أو ما جلب إليه بطريق الشراء كما أننا أيضاً سوف نتعرف على طريقة استخدامه .

وكما هو معروف فإن صناعة السلاح تعتمد بالدرجة الأولى على الحدادة، والحدادة ليست من الصناعات المحببة لدى العرب في تلك

---

[1]) ابن القيم : الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزي، الفروسية ص ٢٥ مكتبة عاطف ـ القاهرة .
[2]) أحمد حسن الباقوري، في عالم الصيد ص ٣٣ الطبعة الأولى دار الفتح بيروت ١٣٩٣هـ ص ٣٣ .

الأيام، بل إن معظم من كان يقوم بالحدادة من الرقيق الذين ينتمون إلى أصل غير عربي، وذلك نظراً لازدراء العرب للصناعات عموماً وللحدادة خصوصاً [1]، وكانوا يسمون الحداد (الفين) [2] زيادة في الازدراء رغم حاجتهم الماسة إليه في إعداد السلاح وغيره، كما أن النجارة تعتبر رافداً مهما للحدادة في صناعة السلاح، فكثيراً ما تكون جزءاً أساسياً في صناعة المنجنيق والدبابة إضافة إلى الاعتماد عليها في صناعة الأقواس والسهام وهي من أهم الأسلحة في ذلك الوقت.

واليهود في الحجاز أيام الرسول كان لديهم مختلف أنواع السلاح وبكميات كبيرة من سيوف، ورماح، وقسي، ونبال، ودروع، وحراب، غيرها يتاجرون بها ويصنعونها [3] فحينما جمع الرسول ﷺ ما في حصون بني قريظة من السلاح وجد فيها ألف وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفه [4] وهذا العدد الكبير من الأسلحة يعطينا فكرة عما كان يملكه يهود المدينة من سلاح سواء صنعوه هم أو جلبوه عن طريق التجارة.

وعندما جاء الإسلام وانتشر وقامت دولته في المدينة، صاحب قيامها ظروف جهادية تقتضي من المسلمين الاهتمام بالسلاح بمختلف أنواعه وإمكاناته [5]، وكذلك وضع الرسول ﷺ للمسلمين من بعده أسس الاهتمام بالسلاح وإعداد القوة فازدهرت صناعة السلاح وزاد اهتمام المسلمين بهذه الصناعة وبتطويرها، انطلاقاً من قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

---

[3]) جواد علي، المفصّل، ج٥٦١/٧ .
[4]) الزبيدي : تاج العروس، ج٣١٦/٩ .
[1]) محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل ص ٤٣٧ .
[2]) الحلبي: السيرة الحلبية، ج ٢ / ٦٦٦ .
[3]) نورة بنت عبد الملك آل الشيخ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة في صدر الإسلام ص ٣٤ .

وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠ [1]، وقد كانت هذه الآية وغيرها نبراساً للمؤمنين في إعداد السلاح وتجهيزه وتصنيعه والقيام عليه، كما أن الإسلام لشدة اهتمامه بالسلاح قد أمر بإعداده وعدم التخلي عنه حتى أثناء الصلاة في الحرب فأمر المؤمنين بصلاة الخوف في الآيات القرآنية حيث أنها صلاة في الحذر بمصاحبة للسلاح، يقول الله تعالى :﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ النساء: ١٠٢ [2]

وقد كان الرسول ﷺ على رأس المؤمنين يهتم بالسلاح ويقتنيه ويستعمله، وحين توفي الرسول كان لديه مجموعة من السلاح [3].

كما استخدم المسلمون الكثير من الأسلحة واشتهروا ببعضها كالسيوف والرماح والأقواس والنبال [4] وأخذوا عن غيرهم بعض أنواع الأسلحة كالدبابة وغيرها مما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه رمى بالقوس، وطعن بالرمح،

---

[4]) سورة الأنفال آية ٦٠ .
[1]) سورة النساء، آية ١٠٢ .
[2]) لمعرفة سلاح الرسول، انظر السهيلي، الروض الأنف ج ٣ / ٨٤
وكذلك الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ص ١٨٤، وابن الأثير : الكامل ج ٢ / ص ٣١٦، وحماد بن اسحق بن إسماعيل، تركة النبي، دراسة وتحقيق أكرم ضياء العُمري، ص ١٠٢، وابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ١ / ٤٨٥ .
[3]) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٥٠٤ .

وتقلَّد السيف [1]، ولبس الدرع [2]، والمغفر، وكان ﷺ يتمرن مع أصحابه على رمى السهام [3].

وفي مكة كان بعض كبار قريش يملكون مستودعات للأسلحة فبعد فتح مكة أراد الرسول ﷺ المسير إلى هوازن فبلغه أن (صفوان بن أمية) عنده أدرع وسلاح فأرسل إليه رسول الله ﷺ وصفوان يومئذ مشرك لم يسلم قائلاً له : أعرنا سلاحك نلق به عدونا، فقال صفوان أغصباً يا محمد ؟ فقال الرسول : بل عارية مضمونة نؤديها إليك قال : ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح فسار بها النبي ﷺ إلى حنين [4]، وبهذا نعلم مقدار ما يملكه بعض القوم من الأسلحة، وأنهم كانوا يخزنونها لوقت الحاجة إليها.

وقد كان السلاح يشكِّل قيمة كبيرة معنوية أو مادية لدى العرب، وقد نلمح هذه القيمة عندما نعلم أن الرجل كان يرهن سلاحه إذا استدان من أحد، فقد رهن الرسول ﷺ درعه عند أحد اليهود بثلاثين صاعاً من شعير وتوفي وهي مرهونة عند اليهودي [5].

وقد ذكر في قصة قتل اليهودي (كعب بن الأشرف) أن الصحابة قتلوه بأمر من الرسول ﷺ تفاوضوا معه على أن يبيعهم الطعام ويرهنونه السلاح، وذلك لما للسلاح من قيمة عندهم [6].

القوس :

---

[4]) ابن القيم، الفروسية، ص ٥ .
[5]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤ / ٣٠١ .
[6]) عبد الله بن ميمون، ت ٧٥٩، الإفادة والتبصير لكل رام مبتدي أو ماهر نحرير، ورقة ١٤ مخطوط بمعهد المخطوطات العربية القاهرة، ميكروفيلم رقم ١٢١٣، فروسية .
[7]) ابن الأثير، الكامل، ج ٢ / ٢٦٢ .
[1]) سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٦٠ .
[2]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٥٥ .

القوس في الأصل عود مأخوذ من شجر جبلي صلب قابل للإنحاء يحني طرفاه بقوة، ويشدّ فيهما وتر من الجلد، أو العصب الذي يكون عادة عنق البعير [1] وأكثر ما تؤخذ هذه الأقواس من شجر الشّوحَط وهو شجر ينبت في جبال السراة، ويسمى النبع أحياناً يقول الشاعر :

وجياد كأنها قضب الشوحط يحملن شكة الأبطال [2]

وأكثر ما تؤخذ الأغصان من الشوحط في فصل الربيع وذلك لمرونتها وشدتها في هذا الوقت كما يتخذ من شجار أخرى منها (السدر) و(الحماط) وهو التين البري [3] ويكثر في جبال الطائف وغيرها من الجبال، وحيث أن القوس مشهورة عند العرب فقد وضعوا لها أسماء كثيرة كما وضعوا لأجزائها أسماء منوعة [4] فمن أجزائها النصل وهو الرأس الحديدي للسهم والوتر وهو الجلد أو العصب الرامي، والرصافة والعقب وهما اللفافة التي على العقب و(سِيَةْ القوس) وهو ما عطف من طرفيها [5].

والقوس تحتاج إلى النبال وهي السهام، ولها أسماء عديدة منها السهم والقدح، والرِشَاق، والمعِثْلة، والنّصْل، والنَّبْلة، وكلها أسماء لمسمى واحد [6]، وصناعة النبال تسمى (تربيش النبال) وهي مأخوذ من وضع ريش في آخر السهم بعد صنعه [7]وقد كان بعض الناس يريش النبال النبال ويصنعها في مكة في الطرقات حتى أن الوليد بن المغيرة مرّ برجل من خزاعة يريش نباله فتعلق سهم من نَبْله بإزاره فخدش في رجله خدشاً

---

[3]) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٥٠٦

[2] الزبيدي، تاج العروس ج ٥ / ١٦٥ وج ٥/ ٥١٩ .

[5]) محمود شكي الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣ / ٣٥٥ .

[6]) انظر، محمود شكي الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣ / ٣٥٦ .

[7]) السخاوي، ومحمد بن عبد الرحمن بن محمد، القول التام في فضل الرمي بالسهام ورقة ١١٤-١١٥-١٢٢ ميكروفيلم رقم ١٧٤١ مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنّورة .

[8]) الأمير بزهق بن عبد الكريم المصري : الهداية في علم الرماية ورقة ٤ مخطوط مصور ميكروفلم تحت رقم ١٧٨٠، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنَّورة .

[1]) الزبيدي : تاج العروس ج ٤ / ٣١٦ .

بسيطاً فأثر فيما بعد فقتله [1] و(السهم) عود يقطع من الشجر ثم يبرى فيسمى بريّا ثم يقوّم حتى يصبح مستقيماً، ويوضع له رأس من حديد ثم يريّش فيصبح نبلاً [2]، وكان بعض صغار الصحابة يعملون النبال، ويستدلون به على مرحلة من عمر الشخص، فإذا قيل له ابن كم كنت ؟ قال : كنت أبري النبل وأريّشها [3] وقد كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يصنعون النبال باستمرار أثناء الحرب وفي السلم، وذلك تنفيذاً لتوجيه الرسول ﷺ : (تعاهدوا قِرَنَكُم [4] فلا تزال مملوءة نبلاً) [5] فكان بعض الصحابة يصنع الكثير من النبال فيأتي بها إلى المسجد لتصدق بها فيأمره النبي أن يقبض (نصالها) وهي أطراف السهام الحديدية [6] لئلا يصيب بها أحدا من المسلمين، وفي عملهم هذا كانوا كمن يعدّ الذخيرة للجيش، فتكون السهام جاهزة باستمرار لدى المجاهدين متى احتاجوا إليها وجدوها .

والقوس والسهام تحتاج معها إلى وعاء خاص لحمل السهام يضع فيه الرامي سهامه، ويُحمل وراء الظهر في الغالب، ويسمى (الكنانة)، وقد تسمى (الجعبة) [7] وتصنع الكنانة من الجلد [8] كما تسمى (الفرن) (الفرن) و (الوفضة) [9].

ويشد وتر القوس كلما لان، وتسمى هذه العملية (الرصف) وقد رصف الرسول ﷺ قوسه بفمه في رمضان [10] وهذا يعني أنه ﷺ يصلح من حال قوسه بنفسه.

---

[2]) السهيلي : الروض الأنف ج ٢/ ١٦٣ .
[3]) محمود شكي الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢/ ٦٥ .
[4]) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٨٧، والسخاوي القول التام مخطوط ورقة ١١٠ .
[5]) القِرَن جعبة من جلود تجعل فيها النُشّاب، (السخاوي) القول التام مخطوط ورقة ١١٨ .
[6]) السخاوي / القول التام ورقة ٥٣ .
[7]) السخاوي / القول التام ورقة ٩٣ .
[8]) السخاوي / القول التام ورقة ١١٤
[9]) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٥٠٧
[10]) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ٤١٨ .
[11]) عبد الله بن ميمون، الإفادة والتبصير ورقة ٢٥ .

ولقد كانت القوس تلعب في حياة عرب الحجاز دوراً كبيراً لأهميتها في الغارات والحروب بين القبائل، ولأهميتها في الصيد حيث تعتبر السلاح الأول في هذا المجال، وكانت من الأسلحة التي تصنع في الحجاز محلياً من غصون عدد من الأشجار المعروفة بينهم بجودتها في الرمي.

وحينما جاء الإسلام جعل للقوس دوراً كبيراً وركَّز على الاهتمام به، فحين نزل قوله تعالى (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) [1] الآية، فسر الرسول ﷺ القوة فقال : (ألا إن القوة الرمي ألا إن إن القوة الرمي) [2] وتفسير الرسول ﷺ (القوة) بأنها الرمي لا يقتصر على أن القوة في الرمي أمر مختص بزمن الرسول ﷺ بل أن الرسول بهذا الكلام قد أعطى إشارة بأن القوة في الرمي سواء في الأزمان التي تأتي من بعده، فالرمي بالقوس أو بالمنجنيق أو غيره في تلك الأيام هو (القوة) ويمكننا أن نتأكد أن القوة هي (الرمي) في زمننا هذا حيث نرى أن معظم الأسلحة الحديثة تقوم على الرمي، فالرمي بالبندقية أو الرشاش أو الرمي بالمدفعية أو الرمي بالصواريخ أو الرمي بالطائرات كلها لا تخرج عن كلام الرسول ﷺ في تحديد القوة بأنها الرمي، ولقد كان لكلام الرسول ﷺ عن القوة دوراً كبيراً في عناية المسلمين بالقسي والسهام [3] وغيرها من أسلحة الرمي، وقد حثَّ الرسول المسلمين على صناعة السهام فقال ﷺ : (إن الله عزَّ وجلَّ يدخل الثلاثة بالسهم الواحد الجنة صانعه يحتسب في صنعه الخير والممد به والرامي به، وقال ﷺ (ارموا وأركبوا ولأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا) وقال ﷺ : (كل

---

[1]) الأنفال آية ٦٠ .
[2]) سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٠٤
والسخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهام ورقة ١١، ١٢ .
[3]) صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٥٠٧ .

شيء يلهو الرجل، إلا رمي الرجل بقوسه وتأديبه فرسه، وملاعبة أهله، وقال لمن ترك الرمي بعدما علّمه فقد كفر الذي علّمه) [1] .

وقد ورد أن الرسول ﷺ أشار يوماً إلى القوس العربية وقال : (بهذا وبرماح القنا يمكّن الله لكم في البلاد وينصركم على عدوكم) [2]، وقال ﷺ عن القوس : (ما سبقها سلاح إلى خير قط) [3] وقد حثَّ الرسول ﷺ على المحافظة على الرمي وإجادته حتى ولو لم تكن هناك حاجة لذلك فقال ﷺ (ستفتح لكم الأرض، وتكفوا المؤنة فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) [4] وقد رمي رسول الله ﷺ بيده الكريمة عن قوسه يوم أحد حتى أندقت [5] سبَّتها [6].

ومما يدل على اهتمام الرسول ﷺ بالرمي أنه في غزوة أحد خصص مكاناً عالياً للرماة، على جبل صغير قرب معسكر المسلمين، وأمر الرماة أن لا يبرحوه لمعرفته ﷺ بقوة الرمي ودفعه الشر عن معسكر المسلمين، كما أمرهم بصدّ الخيل عن المسلمين بالنبال [7].

وقد اشتهر عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم بمهارتهم في الرمي بالسهام، وقد برزت هذه المهارة في معركة أحد حينما حاول المشركون قتل رسول الله ﷺ فدافع عنه المسلمون فكان أكثر دفاعهم بالرمي وعلى رأس هؤلاء (سعد بن أبي وقّاص) رضي الله عنه الذي كان الرسول يناوله الأسهم ويقول : (أرم سعد فداك أبي وأمي) [8] ومن

---

[4]) الدارمي، سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٠٥ / والسخاوي، القول التام مخطوط ورقة ٢٥، وكذلك ابن القيم، الفروسية ص ٢٠ وسنن الترمذي ج ٤ / ١٧٤ .

[5]) ابن القيِّم، المصدر السابق ص ٢٣ / وكذلك السيوطي، السماح في أخبار الرماح، مخطوط ورقة ٤ .

[1]) ابن القيِّم، المصدر السابق ص ٢٥ .

[2]) ابن القيِّم، المصدر السابق ص ٢٣ / والسخاوي، القول التام في فضل الرمي بالسهام ورقة ١٦ كذلك الأمير، بزهق المصري الهداية في علم الرماية، مخطوط ورقة ٣٣ .

[3]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤ / ص ٢٩١ / ٢٩٢ .

[4]) (سبّة القوس) ما عطف من طرفيها (الخزاعي تخريج الدلالات السمعية ص ٤١٨)

[5]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٦٥
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤ / ص ٢٨٣ .

[6]) ابن حنبل، فصائل الصحابة، ج ٢ / ٧٥٢
الصالحي الشامي، المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩٧
والسخاوي : القول التام، ورقة ٤٢ .

هـؤلاء الرمـاة المهـرة الـذين اشـتهروا في أحـد (أبـو طلحـة بـن عبيـد اللّه الأنصاري) الذي كسر قوسين أو ثلاثة لشدة [1] رميه وكثرته.

ولقد عُرِف في زمن الرسول ﷺ نوعان من القسي أحدهما القوس العربية وقد حثّ الرسول ﷺ على التمسك بها وفضّلها على غيرها، وهي نوعان نوع يسمى الواسطية، ونوع يسمى الحجازية [2].

والثانية : هي القوس الفارسية وقد شاهدها مع أحد الصحابة في إحدى غزواته فقال له الرسول ﷺ : (ألقها وعليكم بهذه) وأشار إلى القوس العربية [3]، وقد فضلوا بين القوس العربية والفارسية فقيل إن القوس الفارسية إذا انقطع وترها لم ينتفع بها أما القوس العربية فإنها إذا أنقطع وترها كانت لصاحبها عصي ينتفع بها ويدافع بها عن نفسه [4].
[4].

وكان الرسول ﷺ حينما يخطب يعتمد على قوسه أثناء الخطبة وذلك قبل وضع منبره ﷺ [5] والقوس الحجازية على نوعين أحدهما من عود نبع وشوخط يرونها قضيب واحداً وقصبتين ويسمونها شريحة والثاني يكسى داخلها فروة الماعز ولا يستعملها إلاّ المهرة من الرماة [6] وأكثر ما يستعملها أخل الحضر، وقد عرف أهل الحجاز (قوس الرِجْل) وقد نهى الرسول أصحابه عن استعمالها [7].

وقد كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يتمرنون على الرمي باستمرار بناء على توجيه الرسول ﷺ لهم، وكان الرسول يشهد ذلك معهم، حتى

---

[7]) الصالحي الشامي، المصدر السابق ج ٣٠١/٤
السخاوي، القول التام، ورقة ٤٤ .
[8]) السخاوي : القول التام، مخطوط ورقة ٣٧ .
[1]) السخاوي، القول التام، مخطوط ورقة ٣٩ .
[2]) السخاوي، المصدر السابق ورقة ٩٢ .
[3]) السخاوي، المصدر السابق، ورقة ٩٢ .
[4]) السخاوي، المصدر السابق، ورقة ١١٨
وكذلك عبد الله بن ميمون، الإفادة والتبصير، مخطوط ورقة ١٧ .
[5]) عبد الله بن ميمون، المصدر السابق ورقة ٢٠ .

أنهم في بعض الأيام كانوا يترامون عامة اليوم [1] وكما هي الحال في المدينة فقد كانت ثقيف في الطائف مشهورة بجودة الرمي وقوة الأقواس، إذ أن رماتهم كانوا سبباً في استشهاد كثير من المسلمين أثناء حصار الرسول للطائف بعد غزوة حنين [2]، كما أن الرماة كانوا سبباً في انتصار هوازن في أول معركة حنين [3]، ومن مشاهير الصحابة في الرمي سلمة بن الأكوع رضي الله عنه استطاع بمهارته في الرمي استنقاذ لقاح النبي ﷺ بعد أن أخذتها فزارة وغطفان [4].

وهكذا نرى أن الأقواس والنبال وأسلحة الرمي كان لها دور كبير في المعارك التي جرت أول الإسلام وكان للرماة أدوار لا تنكر في مختلف المعارك التي شهدها الرسول ﷺ.

صناعة الرِّمَاح :-

الرماح هي من الأسلحة المعروفة عند العرب والمستعملة [5] في زمن الرسول ﷺ، وكان العرب يصنعونها من أشجار الشوحط وهي نفس الشجر التي تصنع منها الأقواس، كما يصنع من الأشجار الصلبة الأخرى [6]، وتختلف الرماح بعضها عن بعض في الطول والقصر، وتبعاً لذلك فهي تختلف في التسمية حسب طولها، فالقصير من الرماح تسميه العرب نيزك [7]، كما كانوا يسمون الرمح القصير (المزراق) وإذا كان أقل منه في الطول سمي زراقة [8]، كما أن الرمح القصيرة تسمي (حربة)

---

[6]) السخاوي، القول التام، ورقة ٨٢ .
[7]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٤٨٢ .
[8]) السخاوي، القول التام ورقة ١٠١ .
[9]) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ٣ / ٢٨١
والسخاوي، القول التام، ورقة ١٠٤ .
[1]) الزبيدي : تاج العروس، ج ٥ / ١٦٥
ود. صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٥٠٥ .
[2]) السيوطي : جلال الدين، السماح في أخبار الرماح ورقة ٧ مخطوط مصور تحت رقم ١٥٧٧ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنّورة .
[3]) الزبيدي، تاج العروس ج ٧ /١٨٧ .
[4]) الزبيدي : تاج العروس ج ٦ / ٣٦٩ .

(حربة) ولا تعدّ من الرماح ولكنها على شكلها [1]، وقد كانت الحربة معروفة عند قريش، وكان المقاتل يرميها على عدوه من قرب فتصيبه وتقتله، وأكثر من كان يجيد رميها في مكة هم الموالي، وقد قتل وحشي حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بحربة قذفها عليه من بعد [2] .

.

وقد كانت الرماح كثيرة عند العرب حتى أنهم يجعلون لها مخازن ومستودعات لكثرتها، فقد كان عند ٠نوفل بن الحارث بن عبد المطلب) وهو ممن أسلم عام الفتح، مخزن أرماح قرب جده، يحتوي على كميات كبيرة من الرماح، حتى أنه بعد فتح مكة أعان الرسول ﷺ عند خروجه إلى غزوة حنين بثلاثة آلاف رمح [3] وهذا يعطي دلالة واضحة على حجم الصناعة القائمة على أعداد الرماح في تلك الأيام والتي معظمها من أشجار معروفة تنبت في جبال الحجاز كالشوحط وغيره .

ويقوم الصنَّاع بوضع حديدة في رأس الرمح، وتسن حتى تصبح حادة وتسمى (سنان الرمح) [4] .

وقد عرف المسلمون الرماح أيام الرسول ﷺ واقتلوها استجابة لدعوة الرسول للمسلمين بالتسلح، وقد وردت عدة أحاديث في الرمح منها قول الرسول ﷺ (إن اله جعلَ رزقي تحت ظلّ رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري) [5] وكان ضمن سلاح الرسول ﷺ ثلاثة أرماح [6]، وقيل إن له خمسة أرماح [1]، وتستخدم الرمح للصيد فقد صاد

---

[5]) الزبيدي : تاج العروس، ج ١ / ٢٠٦ .
[6]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٧٢ .
[7]) السهيلي : الروض الأنف، ج ٣ / ١٢٥ – ١٢٦هـ .
[1]) السيوطي، السماح في أخبار مخطوط ورقة (١٦) .
[2]) البخاري، الصحيح، (فتح الباري) ج ١٢ / ٥٦
والسيوطي، السماح في أخبار الرماح مخطوط ورقة ١٣ .
[3]) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٣٨٩/١
وابن الأثير، الكامل ج ٢/ ٣١٦ .

صاد به (أبو قتادة) رضي الله عنه حماراً وحشياً [٢] كما كان المسلمون زمن الرسول يجعلون راياتهم في أطراف الرماح ويرفعونها [٣] .

وقد استعمل الرسول ﷺ الحربة للدفاع عن نفسه حين هاجمه (أُبيّ بن خلف) فأخذ الرسول ﷺ الحربة واستقبل بها (أبي بن خلف) فطعنه في عنقه، مات من أثرها، فيما بعد [٤] .

وقد ورد ذكر الرماح في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ ﴾ المائدة: ٩٤ [٥] .

والرماح إضافة إلى استعمالها في الحرب فإنها تستعمل في اللعب أيضاً وفي رقصات الحرب، فقد رقصت الحبشة في المدينة زمن النبي ﷺ بحرابهم وفي مسجده، وقد ستر النبي عائشة رضي الله عنها حتى تنظر إليهم [٦]، وكان الرمح من أنجح الأسلحة استعمالاً في تلك الأيام إذا كان في يد مقاتل ماهر، فقد استطاع الصحابي الجليل عكاشة بن محصن في (غزوة ذي قرد) [٧] أن يقتل رجلين كانا راكبين على جمل واحد بضربة واحدة من رمحه، قتلت الطعنة الأول واخترقت جسمه ثم نفذت إلى الآخر فأردتهما معاً [٨]، وقد كانت للرسول حربة تحمل بين يديه ﷺ في المناسبات [٩]، مما يدل على أهمية الرماح في ذلك العصر .

---

[٤]) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٤١٥ .
[٥]) صحيح البخاري، فتح الباري ج ١٢ / ٥٦ .
[٦]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج ١٢/ ٥٦ .
[٧]) ابن هشام : السيرة النبوية، ج٣/٨٤
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٤١٥
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ج ٤/ ٣٠٧
ابن القيم الجوزية، الفروسية ص ٢٥ / والطبري تاريخ الأمم والملوك ج ٣ /١٩ .
[٨]) سورة المائدة، آية ٩٤ .
[١]) الكناني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ١٤١ .
[٢]) (غزوة ذي قرد) هي غزوة قادها الرسول ﷺ في السنة السادسة من الهجرة لاستنقاذ إبل الرسول التي سرقها قوم من فزارة وقد نجح الرسول وأصحابه في ردها (الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ٦٠) .
[٣]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٢٨٤ .
[٤]) الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية ٤٢٧ .

صناعة السيوف والخناجر وصقلها :

السيف، أشهر الأسلحة المعروفة في التاريخ الحربي العربي، ويجمع على أسياف وسيوف [1] وهو من أسلحة الشجعان التي يتبارزون بها في الجاهلية وبعد الإسلام، وكان السيف منتشراً عند عرب الحجاز باعتباره سلاحاً رئيسياً لا يستغني عنه، وكانت معظم السيوف في الحجاز مما يجلب إليها بالتجارة من اليمن وغيرها، ولم تكن تخلو الحجاز من صناعة السيوف، فقد اشتهر عن (خباب بن الأرت) رضي الله عنه انه كان قيناً بمكة يصنع السيوف [2]، وقد صنع يوماً سيوفاً للعاص بن وائل السهمي فلم يعطه أجره وحين جاء يطلب أجره قال له العاص أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم ؟ قال خباب : بلى قال : فأنتظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فو الله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب آثر عند الله مني، ولا أعظم حظاً في ذلك [3] فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ مريم: ٧٧ - ٨٠ [4] .

وقد كان في المدينة جماعة كبيرة من اليهود اختصت بصناعة السيوف وغيرها من الأسلحة مستغلين احتقار العرب لمن يقوم بالحدادة، فأتقنوا هذه الصناعة، واستغلوها، إضافة إلى قيامهم بصناعة بعض

---

[1] الزبيدي، تاج العروس، ج ٦ ص ١٤٩ .
[2] السهيلي، الروض الأنف، ج ٢ / ١٠٥ .
[3] تفسير ابن كثير، ج ٣ / ١٣٥
والشوكاني، فتح القدير، ج ٣ / ٣٤٩ .
[4] سورة مريم آية ٧٧-٨٠ .

الأسلحة الأخرى [1]، وقد كانت كثير من السيوف المستعملة لدى كبار القوم مرصعة بالفضة أو الذهب أحياناً زيادة في إكرامها، فقد وصف سيف أبي جهل الذي أخذه المسلمون بعد قتله بأنه سيف قصير عريض وقد حلِّي بحلق الفضة [2] وكان سيف الرسول الذي دخل به مكة محلى بالفضة والذهب [3] وكان لدى الرسول مجموعة من السيوف من أشهرها (ذو الفقار) وقد غنمه من قريش بعد معركة بدر، كما كان لديه من السيوف سيف يدعي (قَلِعْي) وسيف يدعي (البتار) وسيف يدعي (الحتف)، وقد غنمها الرسول ﷺ من بني قينقاع، كما كان لديه سيف يدعي (المخزوم)، وكان عنده سيف يدعي (الرسوب) [4].

وقد كان اهل الحجاز يعرفون صقل السيوف ويراعونها في ذلك وكان بعضهم يشحذ سيفه ويحده في أثناء القتال، فقد كان أبو دجانة في معركة أحد يقاتل بشدة فكلما كلَّ سيفه شحذه بالحجارة [5].

وقد كان أهل الحجاز يعرفون سم السيوف حينما يريدون قتل أحد غيلة، فقد اتفق (عمير بن وهب الجمحي) قبل إسلامه، مع (صفوان بن أمية) على قتل رسول اللّه ﷺ غيلة، فأمر صفوان بسيف عمير أن يصقل ويسم [6]، ومن هذا نعرف أن سم السيوف كان يجري بحكمة، وأن هناك من كان مختصاً بذلك.

---

[3]) د. جواد علي، المفصل ج ٧ / ٥٥٧ .
[4]) السهيلي، الروض الأنف ج ٣/ ٤٩ .
[5]) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤ / ٢٠١ هـ .
[6]) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ١ / ٤٨٥
والطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٨٤
وابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٢ ص ٣١٦
وحمّاد بن اسحق : تركة النبي، ص ١٠٢
((ومعني هذه الأسماء (ذو الفقار) صاحب الحفر و(المخزوم) و (البتار) القاطع، ابن الأثير، الكامل ج ٢ / ٣١٦) .
[7]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ / ٢٨٦ .
[1]) السيوطي، الخصائص الكبرى، ج ١ / ٣٠١ .

وقد كانت السيوف تلعب دوراً هاماً في حياة المسلمين انطلاقاً من قول الرسول ﷺ (الجنة تحت ظلال السيوف) [1] .

الخنْجَـر :-

وهو العظيم من السكين [2] ، وهو سلاح معروف زمن الرسول ﷺ في الحجاز، ومستعمل فيها ويستعمل بالدرجة الأولى في الدفاع عن النفس حين اشتداد القتال والالتحام باليدين بين المقاتلين، كما تستعمله النساء في الدفاع عن أنفسهن، فقد كانت أم سُليم زوجة أبي طلحة الأنصاري في حنين تحمل معها خنجراً فسألها أبو طلحة بحضور الرسول ﷺ : ما هذا يا أم سليم ؟ قالت ك خنجر أخذته معي إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به [3] كما أن الصحابي الجليل (أبو نائلة) [4] استعمل (المغول) وهو نوع من الخناجر في قتل كعب بن الأشرف اليهودي حين لم تغن السيوف، وكانوا ممسكين به فطعنه بالمغول في ثنته [5] حتى قتله [6] ، ويبدو أن الخناجر كانت تصنع في الحجاز نظراً لوجود حدادين في مكة كانوا يعلمون السيوف، ونظراً لأن اليهود كانوا يقومون ببعض الصناعات الحديدية في المدينة كالدروع والسيوف

---

[2]) البخاري، الصحيح، (فتح الباري) ج ١١ / ٢٩٧
وسنن الترمذي، ج ٤ / ١٨٦ .
[3]) الزبيدي، تاج العروس ج ٣ / ١٩٠ .
[4]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢ / ١٢٩ .
٥) هو سلكان بن سلامة بن وقش من الأنصار، شهد أحد مع الرسول ﷺ (ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ١٩٥) .
٦) الثنه ما بين السرة والعانة .
٧) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ٣/ ٥٦ .

فالخناجر تكون من باب أولى، ولا تزال الخناجر تستعمل في بلاد الحجاز للزينة حتى هذه الأيام ولا سيما في قبائل الطائف وما حولها .

الأسلحـة الدفاعيـة

التـرْس :-

الترس هو سلاح معروف يتقى به ضرب السيوف وغيرها ، ويجمع على تروس، وصانع التروس يسمى (تراس) والترس معناه التستر بالترس والاتقاء به [١]، وكان الترس يصنع من الخشب ويغلفونه بجلد يلصقونه عليه ويكثرون من ترصيعه بالمسامير، وأشكاله مختلفة إما منحنية الاطرف أو محدبة [٢] وتختلف أحجام التروس حسب قدرة المقاتل ورغبته، وهو من أنجح الأسلحة في الدفاع عن النفس ويسمى الترس (المِجَن) [٣]، كما أن هناك نوعاً من التروس يصنع من الجلود دون أن يوضع فيه خشب يسمى (الدُرْقَة) [٤]، وهي تقي المقاتل من السيوف كما تقيه التروس إلا أنها أضعف من التروس [٥]، وكان الرسول ﷺ يملك ترساً فيه فيه تمثال على شكل رأس كبش فَكَرِهَهُ الرسول ﷺ فأصبح يوماً وقد أذهب الله ذلك التمثال [٦]، وقد كانت الجلود القوية المستعملة في صناعة التروس هي جلود الإبل [٧] في الغالب.

وقد استعمل أصحاب النبي ﷺ التروس في قتالهم يوم أحد، فقد ألتقي الصحابي الجليل أبو دجانة مع رجل من المشركين، وكان المشرك لا يلقي أحداً إلا قتله وكان أبو دجانة معه (درقة) وحين تقابلا أراد المشرك قتل أبي دجانه، فاتّقاه بدرقته، فعضت سيف المشرك

---

[١] الزبيدي، تاج العروس، ج٤ / ١١٤
والسخاوي، القول التام، مخطوط ورقة ١١٧، ١٢٠ .
[٢] د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ .
[٣] الزبيدي، تاج العروس ج ٩ / ٣٤١ .
[٤] الزبيدي، تاج العروس، ج ٦ / ٣٤٣ .
[٥] محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٢ / ٦٧ .
[٦] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢ / ١٨٥
وابن الأثير، الكامل، ج ٢ / ٣١٦ .
[٧] السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٢٩٨
وجواد علي، المفصل، ج ٧ / ٥٨٩ .

فأمسكته، فقتله أبو دجانه [1]، فكان للترس دور كبير في نجاة أبي دجانة وفي قتله للمشرك .

الدروع :-

الدرع سلاح دفاعي يلبسه المقاتل فيقيه ضرب السيوف، وهو منسوج من حلق حديدية على شكل لباس يُغطي البدن حتى نصف الساق [2] وقد تكون الدرع بأكمام، فإذا كانت قصيرة الأكمام سميت (البتراء) .

ويقال أن أول من سرد الدروع من حلقات هو داؤود عليه السلام [3]، [3]، وبهذا قال الله تعالى في داؤود ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ الأنبياء: ٨٠ [4] كما قال تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ سبأ: ١٠ - ١١ [5] وهكذا نرى أن أول من عرف صنعة الدروع داود عليه السلام، وربما كان لهذا تأثير في اليهود فيما بعد، فقد عرف عن اليهود في المدينة مقدرتهم على صنع السلاح، وإتقانهم للدروع حتى سلحوا بها أنفسهم وباعوا منها لغيرهم [6] من الناس في الحجاز .

وكان المقاتلون زمن الرسول ﷺ يلبسون الدروع للوقاية، بل ربما لبس الرجل درعين، فالرسول ﷺ قد ظاهر بين درعين في غزوة أحد [7]

---

[8]) ابن هشام : السيرة النبوية، ج ٣ / ٦٩
والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ / ٢٨٦ .
[1]) د. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٥٠٠، ٥٠١ .
[2]) ابن أياس : محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص ١٥٤ بيروت، تفسير ابن كثير ج ٣ / ١٨٧ .
[3]) سورة الأنبياء، آية ٨٠ .
[4]) سورة سبأ، آية ١٠، ١١
[5]) جواد علي، المفصل، ج ٧ / ٥٥٧
ومحمد عزة دروزه، تاريخ بني إسرائيل ص ٤٣٧ .
[6]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٨٦

وكان لهما دور كبير في حماية الرسول من المشركين، وكان للرسول ﷺ مجموعة من الدروع، أحدهما تسمى (فضه) غنمها من بني قينقاع، ودرع أخرى تسمى (ذات الفضول) لبسها الرسول ﷺ في غزوة أحد، وله أيضاً درع يقال لها (السعدية) لبسها يوم خيبر مع ذات الفصول [1]، ومما يدل على كثرة الدروع زمن الرسول ﷺ ما ألمحنا إليه سابقاً من أن صفوان بن أمية أعار الرسول ﷺ مائة درع حينما أراد التوجه إلى هوازن في معركة حنين [2]، وإذا كان هذا العدد يملكه واحد فقط من رجالات مكة الكبار فإن ذلك يدلنا على كثرة الدروع وانتشارها بين الناس في تلك الأيام .

البيضة والمغفر :-

البيضة هي وقاء من الحديد، يلبسه المقاتل على رأسه وسمِّيت بالبيضة لأنها تشبه بيضة النعام [3]، وهي تقي الرأس من ضربات السيوف [4] وتسمى القلنسوة .

(والمغفر) حلق يجعلها المقاتل على رأسه فتبلغ الدرع ثم يلبس البيضة فوقها [5] فتستر العنق وما حوله من ضرب السيوف .

وقد كان المسلمون يستعملون (المغفر) زمن الرسول ﷺ فقد قالت عائشة وهي تتحدث عن غزوة الخندق (إني اقتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تَسْبِغة له ((والتسبغة -

---

والترمذي، سنن الترمذي، ج ٤ / ٢٠١ .

[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٨٥
وابن الأثير، الكامل، ج ٢ / ٣١٦
وابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ١ / ٤٨٧ .

[2]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٢٧ .

[3]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٥ / ١١ .

[4]) د. صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٥٠١
ومحمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٢ / ٦٧ .

[5]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٤٥١ .

المغفر - لا ترى إلا عيناه)) فقال له عمر إنك لجريء (٥٠) فكشف الرجل النسبغة فإذا طلحة)) [١] ومن هذا النص يتبين لنا استعمال أصحاب رسول الله ﷺ للمغفر كما أن قريشاً كانت تستعمل التسبغة والبيضة، وقد كان أُبيَّ بن خلف حين قتله الرسول يلبس بيضة ومغفراً ودرعاً ومع ذلك فقد طعنه الرسول في ترقوته من فرجة صغيرة بين التسبغة والبيضة[٢].

وبما أن المغفر والبيضة كانا من الأسلحة المعروفة في الحجاز زمن الرسول ﷺ، كما أن هناك كثيراً من الصناع في مكة كانوا يقومون بعمل السيوف، بالإضافة إلى وجود صنَّاع كثيرين في المدينة من اليهود يقومون بمختلف أنواع الأسلحة، فلا تستبعد أبداً في ضوء كل هذا قيام بعض هؤلاء بصناعة البيضة والمغفر، خصوصاً إذا علمنا أن المغفر حلقة شبيهة بحلق الدروع وأنه أسهل صناعة منها، كما أن البيضة أيضاً أسهل صناعة من الدرع، فمن المحتمل جداً وجود صنَّاع لهذين النوعين من الأسلحة الدفاعية، ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الرسول ﷺ حين دخل مكة عام الفتح كان على راسه المغفر [٣] كما وردت بذلك النصوص إضافة إلى ذلك فإن الرسول ﷺ لبس المغفر في غزوة خيبر [٤] ولبسه في غزوة أحد [٥] مما يؤكد شيوع استعمال المغفر والبيضة، ويجعل رأينا في ترجيح وجود صناعة لهما أمراً واردا .

الدبابة :-

---

[٥]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ٤٩، ٥٠ .
[٦]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ / ٣٠٨.
[١]) الدارمي، سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٢١
والترمذي، سنن الترمذي، ج ٤/ ٢٠٢ .
[٢]) الحلبي - السيرة الحلبية ج ٢ / ٧٣٢.
[٣]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٩ .

الدبابة آلة حرب تصنع من خشب وجلد، يجعل الخشب على شكل صندوق كبير، يدخل الرجال في وسطه ويجرونها، وتكسى بجلود سمكية تقيها الضربات والنار، وتقترب من الحصون، وتنقب من تحتها [1]، ويكون سقفها واقياً لهم، وتستعمل في مهاجمة الحصون فقط، ولا تصلح لساحات القتال.

وقد كانت الدبابة معروفة قبل عصر الرسول في كثير من بلاد العرب وغيرها ولكن على ما يبدو فإن أهل الحجاز لم يعرفوها وربما لم يستخدموها إلاً في عصر الرسول.

وكان هذا السلاح معروفاً في جرش من مخاليف اليمن، وبها صنَّاع حاذقون في مختلف أنواع الأسلحة في ذلك العصر، حتى إن الرسول ﷺ أرسل اثنين من الصحابة إلى جرش هما عروة بن مسعود [2] وغيلان بن سلمة [3] لكي يتعلموا صناعة الدبابة [4] وذلك بعد أن علم بهذه الآلة وبقدرتها على اقتحام الحصون.

وقد قدم هذان الصحابيان أثناء حصار الطائف، وهما لم يشهدا حنيناً معه، وقاما بصنع الدبابة من الخشب وجعلوا وسطها مجوفاً على شكل صندوق مكشوف من الأسفل بحيث يدخل وسطها الرجال ويحركونها وكسوها بجلود البقر لكي يقيهم ما يرمي عليهم، حتى إذا أصبحت الدبابة محمية من الخارج وجاهزة دخل تحتها مجموعة من المسلمين واقتربوا بها من جدار سور الطائف يريدون ثقب الجدار والدخول منه، ولكن المدافعين عنه ألقوا على الدبابة سكك الحديد

---

[4]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٣٤٧
وعبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ١ / ٣٧٤
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٤٩٣، ود. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ١٤٨.

[5]) عروة بن مسعود من ثقيف سبق قومه إلى الإسلام ودعاهم إلى الله فقتلوه (ابن حجر، الإصابة، ٢ /٤٧٦) .

[6]) غيلان بن سلمة أحد أشراف ثقيف أسلم قبل غزوة حنين وقيل بعدها (ابن حجر، الإصابة ج١٨٩/٣)
(ابن عبد البر، الإستيعاب، حاشية على الإصابة، ج ٣ / ١٨٩) .

[7]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٣٢ .

المحماة، فخرجوا من تحتها فرموهم من فوقهم بالنبل فاستشهد بعض منهم [1]، وإذا كان المسلمون قد صنعوا أول دبابة بأمر من الرسول ﷺ، فإن هذا مرده إلى أن الرسول ﷺ قد أرسل من يتعلم هذه الصنعة إلى البلاد التي تجيدها، وقد كان الرسول بهذا العمل يضع للمسلمين قاعدة عظيمة تدفعهم إلى البحث عن تعلم القوة وتعلم صناعة الأسلحة واتخاذها قوة للمسلمين، فما أجدر المسلمين اليوم بالسير على القاعدة التي وضعها لهم الرسول ﷺ .

المنجنيق :-

من الأسلحة المعروفة لدى مختلف الأمم قبل الإسلام، وهو مجهول إلى حدٍّ ما لدى العرب في القوت الذي كانت فارس والروم تعرفه وتستخدمه .

وهو سلاح هجومي يختص بمهاجمة المدن والحصون ومهمته قذف الحجارة الكبيرة أو النار داخل الحصون والأسوار وإرباك العدو وإيقاع الخسائر في صفوفه، والمنجنيق كان بدائياً ثم تطّور وقد كان في بدايته يتكون من سوار مرتفعة من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم يضرب بسارية فتقذفه لمكان بعيد [2]، وقد تطوَّر المنجنيق فأصبح (يتألف من عمود طويل قوي موضوع على عربة ذات عجلتين في رأسها حلقة أو بكرة يمر بها حبل متين، في طرفه الأعلى شبكة في هيئة كيس، توضع حجارة أو مواد محترقة في الشبكة ثم تحرَّك بواسطة

---

[1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٧
والطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ١٣٢
وابن هشام: السيرة النبوية ج ٤ / ٤٨٣
وابن الأثير : الكامل، ج ٢ / ٢٦٦، ٢٦٧
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٤٩٣
والكتاني، التراتيب الإدارية، ج ١ / ٣٧٥
ود. صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٥٠٨ .

[2]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٦ / ٣٠٧.

العامود أو الحبل فيندفع ما وضع في الشبكة من القذائف، ويسقط على الأسوار فيقتل أو يحرق ما يسقط عليه [1])، وحين جاء الإسلام استخدم الرسول ﷺ المنجنيق، وقيل أنه استخدمه لأول مرة في فتح خيبر [2] حيث عثر عليه في أحد الحصون فقام المسلمون بتركيبه وقذفوا به بعض حصون خيبر [3].

ويكاد يجمع المؤرخون في روايات عديدة على أن الرسول ﷺ نصب المنجنيق على أهل الطائف ورماهم به بعد أن أشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بذلك[4] وقال له (يا رسول الله أرى أن تنصب على حصنهم فإنَّا كنا بأرض فارس ننصِّب المنجنيقات على الحصون وتُنصّب علينا فتصيب عدونا ويصيب منا بالمنجنيق، وإن لم يكن المنجنيق طال البقاء، فأمره الرسول ﷺ فعمل منجنيقاً بيده) [5] ثم نصب ورمى به الرسول الطائف، وقد بني الفقهاء على ذلك أحكاماً كثيرة تتعلق بأحكام نصب المنجنيق على العدو إذا تحصَّن [6] بحصونه، لما في رمي المنجنيق من خطر على الضعفاء من النساء والأطفال والشيوخ غير المشتركين في الحرب .

---

[1] محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص ٢٥٤، الطبعة الثانية، مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٠م .
[2] السيرة الحلبية، ج ٢ / ٧٤٣
ود. صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٥٠٨ .
[3] الواقدي، المغازي، ج ٢ / ٦٤٨ .
[4] ابن هشام، السيرة النبوية، وآخرين ج ٤ / ٤٨٣
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص
ود. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ١٤٨
والكتاني، التراتيب الإدارية ج ١ / ٣٧٤ .
٥) إبراهيم بن إبراهيم قريبي، مرويات غزوة حنين ص ٤٧٠ (رسالة دكتوارة مقدمة إلى قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية للعام الجامعي ١٤٠٤هـ .
٦) انظر مثلاً، أبي يعلي، الأحكام السلطانية، ص ٥٠ .
٧) الزبيدي، تاج العروس ج ٧/ ١١٩، ١٢٠
ود. صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص ٥٠٢ .

الحسـك :-

الحسك في الأصل نبات له شوك شديد لا يكاد المرء يمشي فيه إذا يبس، ويصنع على شكل شوك الحسك أشواك من الخشب أو من الحديد أو من القصب يوضع حول المعسكر، فتنشب فيه حوافر الخيل فتمنعها المسير [1] وقد سمي هذا النوع من (الألغام) حسكاً لشبهها به وهذا الأسلوب يشكّل دفاعاً عن المعسكر يمنع عنه زحف الخيل، كما ينصبه بعض المحاصرين للحصون والمدن حول أسوارها، فيمنعون بذلك خروج الخيل من الحصن، وقد استخدم المسلمون أسلوب (الحسك) أثناء حصارهم للطائف بعد غزوة حنين، حيث نشروه حول سور الطائف منعاً لخروج الفرسان منه [2]، لأنه يدخل في أرجل الخيل مسبباً فيها جراحاً، تمنعها من الهجوم، وهذا السلاح (الحسك) المستخدم في تلك الأيام هو - كما أشرنا - بمنزلة الألغام المقاومة للدروع التي تستخدمها الجيوش الحديثة في هذه الأيام، وقد استفاد الرسول منها في تشديد الحصار على الطائف، وجدير بالذكر أن هذا الأسلوب - كما أرى من الأسلحة الغريبة على العرب في تلك الأيام، ولربما أشار به سلمان الفارسي ويبدو أن المسلمين في حصارهم للطائف قد اعتمدوا فيه على أشجار الحسك، أو صنعوه من الخشب مقلّدين فيه أشواك الحسك، نظراً لأن توافر الحديد لصناعته بكميات مؤثرة في تلك الأيام كان أمراً مستبعداً .

❖ ❖ ❖

ومن خلال هذه اللمحات الموجزة عن الأسلحة في عصر الرسول ﷺ يتبين لنا معرفة أهل الحجاز للكثير من الأسلحة المتوفرة في تلك الأيام

---

[1]) عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ١٤٧ .

واستخدامهم لها، كما يتبّين لنا وجود تصنيع لكثير من هذه الأسلحة في منطقة الحجاز، وقد أهتم الإسلام بالسلاح وتطويره واتخاذ أسباب القوة، فكان الرسول يأمر أصحابه بإصلاح أسلحتهم وإعدادها لأي طارئ، بل كان الرسول ﷺ يعدّ سلاحه ويصون قوسه ويصلح منه حتى وهو صائم، والرسول قدوة المسلمين مما جعل المسلمين يصبحون فيما بعد أحسن الأمم وأرقاها في مجال صناعة السلاح المختلفة فما أجدرهم اليوم أن يعودوا لتوجيهات نبيهم ﷺ ويتخذوا أسباب القوة ويعتمدوا على أنفسهم في صناعة السلاح.

الفصل السادس

(الحرف العلمية والصحية)

١. القراءة والكتابة – الترجمة .
٢. الطب والتمريض – الحِجَامة .
٣. العطارة والصيدلة .
٤. التجميل والحلاقة .

القراءة والكتابة

لم تكن الكتابة والقراءة قد انتشرت بين العرب قبل الإسلام فقد كانت الأميّة فاشية بينهم [1]، وكان من يعرف القراءة منهم قليل جداً مقارنة بغيرهم من الأقوام، وكانت الكتابة في الحجاز تتركز حيث المناطق الحضرية في مكة والمدينة والطائف وغيرها، ولقلّة الكتّاب قبيل ظهور الإسلام فإن كتب التاريخ قد عددت أسماءهم فقد ذكر البلاذري أن مكة حين دخلها الإسلام كان فيها سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب، وعدهم وسماهم [2] وهذا العدد في رأيي يعتبر قليلا إذا ما قسنا مقدار تجارة قريش وكثرة اتصالاتهم عن طريق هذه التجارة، وقد ذكر الألوسي أن أول من تعلم الكتابة من قريش (حرب بن أمية والد أبو سفيان) تعلّمها من بشر بن عبد الملك أخي أكيدر صاحب دومة الجندل، ثم بدأ يتعلّم منه أهل مكة قبل ذلك لم يكونوا يعرفون الكتابة وفي ذلك الوقت، ولا يعقل أن تكون مكة لا تعرف القراءة والكتابة إلا في عهد حرب بن أمية، نظراً لأنها أهم المراكز الحضرية في بلاد العرب وأكثرها تجارة مع الخارج في ذلك الحين.

أما المدينة فقد كانت تعرف القراءة والكتابة بشكل جيد قبل الإسلام، فإن سكانها من الأوس والخزرج واليهود، وقد كان اليهود يعرفون القراءة والكتابة بل ويعلمونها لأولادهم ويقرؤنهم التوارة، فيما يعرف لديهم بـ (المدارس) [3]، وقد كانت هذه معروفة حين قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وقد دخلها عليهم الرسول حينما سألوه عن الزاني والزانية المحصنين منهم فأخبرهم بالرجم وأخرجوا له التوراة وغطوا آية الرجم

---

[1]) أحمد أمين، : فجر الإسلام ص ١٤٠، الطبعة الحادية عشر القاهرة ١٩٧٥م .
[2]) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٧ .
[3]) د. محمود العيد الخطرواي، المدينة في العصر الجاهلي، ص ٩٩ .

فيها فأخبره بذلك (عبد الملك بن سلاّم) ثم أمر الرسول برجم الزاني والزانية اليهوديين [1] وكان بعض اليهود قد تعلّم كتابة اللغة العربية وأخذ يعلمها الصبيان في المدينة، حتى تعلّم كثير من الأوس والخزرج على أيدي هؤلاء اليهود ومنهم سعد بن عبادة رضي اللّه عنه، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت [2] الذين أصبحوا من كتّاب النبي ﷺ بعد الهجرة، كما تعلّم غيرهم أيضا، ورغم أن العرب كانوا يحتقرون من يمتهن مهنة أو يصنع صنعة إلا أن من يقوم بالكتابة ويمتهنها فإنه لا يحتقر في نظرهم بل قد يزيده ذلك شرفاً [3]، فقد عُرف بعض الأشراف في الجاهلية ممن يعلمون الكتابة حيث كان من هؤلاء (غيلان بن سلمة بن متعب الثقفي) [4]، وقد عُدّ من الأشراف، وكان من يتمتع بالكتابة والرماية والعوم عند العرب يسمى الكامل [5] وتلك الصفة تعطينا دلالة واضحة على تقدير العرب للكاتب ومكانته عندهم .

وتعتبر أدوات الكتابة مما عرفه عرب الحجاز في تلك الأيام فقد عرفوا (الدواة) و(المداد) و(القلم) [6] في أيام الرسول أما ما يكتب عليه فقد استعملوا (الرق) من الجلد، والعظام، والحجارة البيضاء الخفيفة، وجريد النخل [7]، وقد كان القرآن مكتوب في العسب واللخاف حين توفي رسول ﷺ فجمعها الصحابة وكتبوا منها المصحف الأصلي في الرق [8].

---

[4]) سنن الدارمي، ج ٢ / ١٧٨ ـ والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣ / ٥٩٣ ـ
والقرطبي، عبد الله بن محمد بن فرج المالكي، أقضية رسول الله ص ١٥ مطابع قطر الوطنية الدوحة .
[1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٥٩ .
[2]) د. محمد مصطفي الأعظمي، كُتّاب النبي، ص ٩، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ .
[3]) ابن حبيب البغدادي المحبر، ص ٤٧٥ .
[4]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٥٩ .
[5]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٣٧٠
والكتاني، التراتيب الإدارية ج ٢ / ٢٤١ .
[6]) الكناني، المصدر السابق ج ٢ / ص ٢٤٢ / ومحمد العيد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي ص ٢٠١،
والقلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي، صبح الأعشي، ج ٢ / ٤٨٦ المطبعة الأميرية القاهرة .
[7]) القلقشندي، المصدر السابق .

أما القراءة والكتابة بعد ظهور الإسلام فقد كان لها مكانة عظيمة، فإن أول آيات من القرآن نزلت على محمد ﷺ ذكرت ذلك في قوله تعالى ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ١ - ٥ [1] .. وهذه الآيات تلفت نظر الإنسانية كلها إلي أهمية القراءة كما تذكّرها بأهمية الكتابة من خلال ذكر القلم، والقرآن الكريم سمى العرب بالأميين لقلة الكتابة فيما بينهم حيث قال الله تعالى : **قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ** ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ ۝٢ ﴾ الجمعة: ٢ [2]، وكان الرسول ﷺ أميّاً وذلك من تمام نبوته وليس نقصاً، بل إن أميّة الرسول تعتبر معجزة في حقه ﷺ، يشهد بذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨ ﴾ العنكبوت: ٤٨ [3]، وقد قال النبي ﷺ (إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب) [4] .

وقد أحس المسلمون بحاجتهم إلى القراءة والكتابة منذ بزوغ فجر الإسلام في مكة المكرمة حيث أن المسلمين الأوائل في مكة كانوا يكتبون الآيات القرآنية المنزّلة على محمد ﷺ، ففي قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن خباب بن الأرت كان عند فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقرئها القرآن من صحيفة معه فلما أحسوا بعمر أخفوها عنه، ومن القصة يتبين لنا معرفة

---

[1]) سورة العلق ١-٥ .
[2]) سورة الجمعة، آية ٢ .
[3]) سورة العنكبوت، آية ٤٨ .
[4]) مسلم، الجامع الصحيح، ج ٣/ ١٢٤ .

خّباب رضي اللّه عنه بالقراءة والكتابة كما يتبين لنا معرفة عمر نفسه بالقراءة [1] أيضاً كذلك ففي أثناء وجود الرسول بمكة قال له سويد بن الصامت [2] : لعل معك مثل الذي معي، قال له الرسول ﷺ : وما معك، قال : مجلة لقمان فقرأ على الرسول منها فقال له الرسول معي أفضل من هذا فتلى عليه الرسول القرآن [3] .

وقد كان الخط في أول الإسلام ضعيفاً جداً وغير متقن وتصعب قراءته [4] كما أنه كان غير منقوط [5]، أما بعد الهجرة النبوية فقد كان للقراءة والكتابة شأن آخر حيث برزت أهمية الكتابة نظراً لما أحسّ به المسلمون من الحاجة لكتابة ما ينزل على محمد ﷺ من قرآن وسنة، وقد اشتهر عن أصحاب الصّفة رضوان اللّه عليهم أن بعضهم كان يتعّلم القراءة والكتابة، وكان يعلّمهم القراءة والكتابة (عبادة بن الصامت) حتى أن أحدهم أهدى قوسه إليه جزاء لتعليمه القراءة والكتابة [6] وقد أمره الرسول برِّده، وبعد وقوع غزوة بدر كان هناك مجموعة من الأسرى من كفار قريش يحسنون القراءة والكتابة، ولّما لم يكن لديهم مال ليفتدوا به أنفسهم قَبِلَ الرسول ﷺ أن يعلم الواحد منهم عشرة من الغلمان الكتابة مقابل أن يطلق سراحه، فتعلّم يومئذ الكتابة جماعة من غلمان الأنصار منهم كاتب الرسول زيد بن ثابت رضي اللّه عنه [7]، وكان ذلك العمل سبباً في كثرة الكتاب بالمدينة بعد ذلك [8] نتيجة لهذا التوجه النبوي الكريم الذي جعل لتعلّم القراءة والكتابة

---

[4]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١ / ٣٤٣
والأصبهاني، دلائل النبوة ص ١٩٤ .

[5]) هو سويد بن صامت بن حوط بن حبيب بن عوف من الأوس قتل في حرب وقعت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة النبوية
ابن هشام، السيرة النبوية ج ١ / ٢٨٨ (حاشية) .

[6]) ابن هشام، السيرة النبوية ٤٢٥/١ .

[7]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٣٦٩ .

[8]) أنظر نماذج لهذه الخطوط في الملاحق .

[9]) د. أكرم ضياء العُمري، المجتمع المدني، القسم الأول ص ٩٦ .

[1]) السهيلي، الروض الأنف، ٨٤,/٣

[2]) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ١ / ٤٨ .

بغرض هذه الأهمية الكبرى حيث جعلها فداء للأسرى من ربقة الأسر، وقد أحسّ أصحاب الرسول ﷺ بالحاجة إلى الكتابة بغرض تدوين آيات القرآن الكريم، وتدوين بعض الأحاديث التي تصدر عن الرسول ﷺ ، واشتهر كثير من الصحابة بذلك حيث كانوا يكتبون أحاديث الرسول ﷺ على ما يقع ﷺ بأيديهم من سعف أو حجارة أو جلود أو غيره ا وكانوا يسمون كتّاب الوحي [1]، ثم أن الرسول ﷺ كان يحتاج إلى من يكتب له رسائله إلى الملوك ورؤساء العشائر فاشتهر الكثير من كتّاب النبي ﷺ سواء منهم المهاجرين والأنصار أو مسلمي الفتح المتأخرين، واتّخذ الرسول خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله يختم به الكتب [2] [2] وقد كان عدد الكتّاب المعروفين بكتابتهم للرسول سبعة وأربعين كاتباً [3] وكانت حاجة المسلمين للكتابة تتطور تبعاً لتطور الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وقد الرسول يطلب بعض الإحصاءات من كتّاب الصحابة، فقد ورد في الحديث عن حذيفة رضي الله عنه قال (اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألف وخمسمائة رجل) [4] وقد دعا الإسلام في أطول آية في القرآن إلى الكتابة في العقود والدين وذلك في سورة البقرة الآية ٢٨٢ وهذا تأكيد لأهمية الكتابة وضرورتها [5] في الحياة التجارية الصحيحة التي رسمها الإسلام بتعاليمه لحفظ حقوق الجميع وكما كانت الكتابة معروفة بين الرجال، فقد كانت بعض النساء تكتب حيث اشتهرت بعض الكاتبات في عصر النبي ﷺ قال للشفاء بنت عبدالله [6] (ألا تعلّمين حفصة رقية النملة) كما

---

[3]) محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين ص ٢٩٨، الطبعة الخامسة، دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ .
[4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٤٧، وابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ٢ / ٣٩٩ .
[5]) انظر محمد مصطفي الأعظمي، كتاب النبي صلي اله عليه وسلم، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ، وكذلك البلاذري، فتوح البلدان، والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٨٢ .
[6]) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٢٣٠ .
[1]) الآية ٢٨٦ (يا أيها الذين أمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) الآية .
[1]) هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس أم سليمان بن أبي حثمة، وهي من بني عدي بن كعب من قريش أسلمت في مكة وبايعت النبي وهاجرت .

علّمتِها الكتابة [1] ومن هذا الحديث يعرف الشفاء هذه علمت حفصة الكتابة كما لا يستبعد أنها علّمت غيرها من النساء في تلك وقد أخذ من هذا الحديث ندب تعليم النساء القراءة والكتابة كما أن البديهي أن كل أمر بالتعلّم قراءة وكتابة وجهّه الإسلام إلى المسلين إنما يتضمن الرجل والمرأة معاً وكل آيات الحّث على طلب العلم كذلك ولا سيما العلم الإسلامي الذي يشترك فيه كل المسلمين وأيضا العلوم الأخرى المفيدة للمرأة والتي لا تخرجها عن طبيعتها ولا تمس دينها بسوء .

[1] (رقية النملة) النملة مرض يظهر في الجسم على شكل قروح يحس صاحبها كأن نمل يسير عليه ورقيتها أدعية معينة تقرأها على عود سبعة مرات وتقصد مكاناً نظيفاً وتدلكه على حجر بخل حاذق وتطليه على النملة وهي القروح المذكورة وقد عرفت الشفاء طريقتها ودعائها على النبي صلي الله عليه وسلم فأقرّها عليه ـ ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٢٤ .

الترجمة

تعتبر الحجاز في عصر الرسول ﷺ من أكثر بلاد العرب اتصالاً بالأمم الأخرى، وبمن يتكلمون لغات خاصة غير العربية، فقد كانت تجارة قريش المتجهة إلى الشام تحتّم على عليهم وجود من يعرف لغة الروم، وهذا الأمر طبيعي في الاتصالات بين الأمم والشعوب يقول الأستاذ أحمد أمين في حديثه عن تجارة قريش مع الروم (لا نستطيع أن نصدّق أن قافلة كبيرة كهذه تنتقل بتجارتها العظيمة لتتعامل مع أمة أجنبية من غير أن يكون فيها أفراد يعرفون لغة الذين يتعاملون معهم ويكونون واسطة للتعارف بينهم وقد نقول إنهم كانوا يعرفون اللغة الأجنبية كما يعرفها التراجمة اليوم[1].

وكما هو معروف حين ظهر الإسلام كان هناك الكثير من اليهود يسكنون في الحجاز في يثرب وغيرها وكانت لهم خاصة بهم بالإضافة إلى معرفتهم باللغة العربية وبهذا فهم يتحدثون العبرانية فيما بينهم ويكتبون بها [2]، وكان الرسول ﷺ في المدينة لا يأمن غدرهم فأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم كتاب اليهود، يقول زيد بن ثابت (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب اليهود وقال لي إني لا آمن يهود على كتابي فلم يمرّ نصف شهر حتى تعلّمته فكنت أكتب له إلى يهود) [3].

ويدل على معرفة بعض الصحابة رضي الله عنهم بلغة يهود أن الرسول ﷺ حينما أراد أن يقتل (أبي رافع سلاّم بن أبي الحقيق) كبير

---

[1]) فجر الإسلام ص ١٥ .
[2]) محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل، ص ٤٢٥ .
[3]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٦
ومحمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٤٢٥ .

يهود خيبر أرسل ثلاثة من أصحابه وأرسل معهم عبد الله بن عتيك لأنه يتكلم بلغة اليهود فلما سمعته زوجة سلاّم بن أبي الحقيق أطمأنت وفتحت له الباب وتمكن الصحابة من قتل اليهودي سلاّم بن أبي الحقيق [1]، ومن هذا يتبيّن معرفة الصحابة بالترجمة وبلغة يهود كما يفيد أن اليهود كانوا يتخاطبون فيما بينهم بلغتهم تعصباً للغتهم ثم تعمّية على المسلمين مع علمهم بالعربية، وقد كان في مكة بعض من يعرف اللغة العبرانية، من أمثال ورقة بن نوفل الذي تنصّر وقرأ الكتب العبرانية وعرف الكتابة بها فكتب من الأناجيل وقد كان أمثاله كثير.

كما أن وجود جاليات غير عربية في مكة والمدينة وغيرها من مدن الحجاز وقراها [2] إما من أصل فارسي، أو رومي، أو حبشي، ساعد على وجود معرفة للغة هؤلاء الأقوام، كما أن هذه الجاليات كانت على علم بلغاتها الأصلية إضافة إلى معرفتهم باللغة العربية، ومعروف كثرة الموالي في ذلك العصر وانتشارهم في قرى الحجاز وبهذا فهم يعتبرون مترجمين من لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية وبالعكس.

---

[4]) ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ٣ / ١٣٤، ومحمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٤٢٥ .
[1]) محمد عزة دروزة، عصر النبي ص ١٥٩ .

الطـــب والتمريض

الطب أحد العلوم القديمة التي عرفها الناس عن طريق التجربة والخبرة، وهو ضروري لكافة المجتمعات لما له من اتصال بحياة الإنسان وصحته في جسمه ونفسه، وهو يعود عليه بالراحة والسعادة في حالة الصحة، وبالألم في حالة المرض، وقد عرَّف ابن خلدون صناعة الطب فقال : (هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء، ودفع المرض عن المرضى بالمداواة، حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم) [1]، والطبيب هو الذي يقوم بمهنة الطب [2].

وقد كانت القرى والمدن في الغالب أحوج من البادية إلى الطب والأطباء، لذلك فإن بلاد الحجاز في عصر الرسول كان يقلّ بها الأطباء نظراً لطابعهم البدوي، فهم أقل من غيرهم حاجة للأطباء في الوقت الذي نرى فيه بلاد فارس والروم تزدهر بها صناعة الطب، كما أن العرب كانت حياتهم حياة خشنة، وكان مأكلهم خشناً لذلك قلت بينهم الأمراض لأن الأمراض أكثر ما تكون عند أهل الترف .

وقد كان العرب يبحثون عن العلاج لأمراضهم التي تصيبهم مما يتوافر لهم في بيئتهم [3] من أعشاب ونباتات أو بطرق أخرى كالكي بالنار أو الحجامة أو غير ذلك، وحينما جاء الإسلام شجع الرسول ﷺ الناس على التداوي والبحث عن العلاج [4]، فكان إذا مرض أحد من

---

[1] ابن خلدون، المقدمة ص ٤١٥.
[2] ابن حجر، فتح الباري ج ٢١/ ٢٤٨ .
[3] محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣ / ٣٢٧ .
[4] ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ٦٣ .

أصحابه أمر أن يدعي له الطبيب، كما حدث لسعد بن أبي وقاص [1] رضي الله عنه، وغيره من الصحابة، وقد أعطى الرسول للناس وللأطباء دفعة قوية في البحث عن العلاج في قوله للناس (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) [2]، كما كان الرسول قدوة المسلمين يعالج نفسه، ويعالج الناس في كثير من الأحيان ويأمرهم بإتباع علاجات معينة كالحجامة أو شرب العسل [3]، ولقد داوم الرسول على التطيب لنفسه في صحته وفي مرضه [4]، وكان لرسول الله ﷺ دور كبير في إيضاح كثير من الأمور الطبيّة للناس بوحي من الله سواء ذلك في الطب العلاجي أو الطب الوقائي، كما أن الرسول ﷺ نفى كثيراً من الخرافات التي كان الناي يتداولونها من الطيرة والتشاؤم وغيرها وأثبت للناس التفاؤل الحسن [5] وأبطل ما كانوا يعتقدونه في العلاج من تعليق لبعض التمائم لدفع الأمراض [6] وغيرها وأثبت لهم طرق العلاج الصحيح في أحاديث عديدة منها قوله ﷺ : (الشفاء في ثلاثة شربة من عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي) [7] وكان الرسول ﷺ يأمر باستعمال بعض النباتات في العلاج كالحبة السوداء والحلبة وغيرها [8]، أما في مجال الطب الوقائي فقد فقد كانت العرب لديها بعض العلم به حيث كان العرب يهجرون بعض المرضى إذا أصيب بمرض معد بل قد يموت الرجل ولا يجد من

---

[5]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣ / ١٤٧ .
[6]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢١ / ٢٥٠ .
[1]) ابن حجر، (فتح الباري) ج ٢١ / ٢٥٥ .
[2]) الذهبي، الطب النبوي، ص ١٠٣ .
[3]) البخاري، الصحيح (فتح الباري)، ج ٢١ / ٣٤٢ .
[4]) محمود شكري الألوسي، ج ٢ / ٣٠٤ .
[5]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢١/ ٢٥١ .
[6]) انظر، العطارة والصيدلة (من هذا الفصل)

يدفنه، كما حدث مع أبي لهب عم الرسول حيث كاد أولاده أن يتركوه بدون دفن خشية أن يعديهم المرض الذي مات به [1] .

وقد وضع الرسول أساس الطب الوقائي في قوله ﷺ (إذا سمعتم بالطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها) [2]، وحينما سافر عمر بن الخطاب إلى الشام علم أن الطاعون قد وقع بها قبل أن يصل إليها فأراد العودة من الطريق أخذاً بهذا الحديث فقال له البعض : أتفر من قدر الله ؟ قال عمر : نفر من قدر الله إلى قدر الله [3]، وقد فهم الجمع بين هذا الحديث وبين الإيمان بالقضاء والقدر واتخاذ الأسباب في سياق واحد لا كما يفهمه بعض الجهّال، كما أن الرسول ﷺ وضع للناس القواعد الصحيَّة في (الحِمْيَة) وفي قلة الأكل فهي أهم الأمور في منع المرض عن البدن، فكان ﷺ يرغّب في الصيام، وفي ذلك أهمية كبرى في صحة الجسم حيث كان ﷺ يرغِّب المسلمين في صيام التطوع [4]، إضافة إلى صيام رمضان كما أن الرسول أرشد إلى إلى أن معظم الأمراض تأتي من الأكل ودلَّ على ذلك قول الرسول ﷺ (ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) [5]، وقد أمر الرسول ﷺ بزيارة المرضى لما في ذلك من رفع لمعنوية المريض وأثر ذلك في تحسين حالته الصحية، فقال ﷺ : (أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني) [6]، كما وردت أحاديث أخرى ترغب في زيارة المرضى وتجعل ذلك سبباً في الرحمة

---

[7]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٦٧ .
[8]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢١ / ٣٠٣ .
[9]) ابن حجر (فتح الباري) ج ٢١ / ٣٠٧ .
[1]) مالك بن أنس، الموطأ ص ٢٥١، ٢٥٢ .
[2]) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ٦٨ .
[3]) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ج ٢١ / ٢٢٣) .

لهم [1] كما كان الرسول ﷺ يقوم بنفسه بزيارة أصحابه حينما يمرضون، فقد كان يتردد على (سعد بن أبي وقاص) حينما مرض في مكة كما كان يزور (سعد بن معاذ) أثناء مرضه من جرح أصابه في غزوة الخندق [2] وكان أصحابه رضي الله عنهم يقلدونه، ويقومون بزيارة المرضى بينهم، وكان الرسول ﷺ وأصحابه يستخدمون الرُقْيَة بالقرآن في علاج المرضى، وقد كانت الرقية معروفة عند العرب قبل الإسلام بشعوذة وحروف مجهولة فأبطلها الرسول وأحل محلها الرقية بالقرآن وبالأدعية [3] الصحيحة، وقد كانت توجيهات الرسول ﷺ في الطب ذات أثر فعَّال في دفع المسلمين فيما بعد عصر الرسول ﷺ إلى تعلّم الطب، وإجادته حتى أن فقهاء المسلمين جعلوا تعلم الطب (فرض كفاية) على المسلمين يجب على السلطان أن يأمر بعض الناس به حالة قلَّة الأطباء المسلمين بين الناس [4]، ويصبح في هذه الحالة (فرض عين) على من يؤمر به ويقدر على تعلمه والنبوغ فيه وهذا من تمام عناية الإسلام بهذه المهنة الأساسية للبشرية ويسدّ حاجة المسلمين في هذا المجال لعدم اللجوء إلى غيرهم مما قد يؤثر على عقائد المسلمين فما أجدر المسلمين اليوم العناية بهذا الأمر .

وقد اشتهر بعض الأطباء في الحجاز على عهد الرسول ﷺ، وكان أشهرهم (الحارث بن كلده الثقفي) وهو من أهل الطائف سافر إلى فارس وتعلَّم الطب في أحد مدارسها، وكان له لقاء مع ملك فارس

---

[4]) مالك ابن أنس، الموطأ ص ٨١٣ .
[5]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ٥٤ .
[6]) ابن حجر، فتح الباري ج ٢١ / ٣١٩ .
٧) الذهبي، الطب النبوي، ص ١٠٣
ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٢٤٧ .

أعطاه خلالها بعض النصائح الطبية [1] كما سافر إلى اليمن وتعلّم بها أيضا ، وقد عاش في العصر الجاهلي، وعاصر الرسول عليه السلام وأبو بكر وعمر رضي اللّه عنهما ، وقيل أنه توفي السنة الثالثة عشر [2] وقيل أنه عاش حتى عصر معاوية رضي اللّه عنه وقد كان الحارث يسمى (طبيب العرب) وقد اشتهر كلامه في الطب والمحافظة على الصحة ، وكان يعالج الناس في الطائف وغيرها ، حيث يأتيه الناس من مختلف بلاد العرب فيعالجهم، وقد مرض سعد بن أبي وقّاص رضي اللّه عنه بمكة ، فطلب الرسول من أصحابه أن يعرضوا سعداً على الحارث بن كلدة فعرض عليه وعالجه بالحلبة والعجوة فشفي [3] ، كما ذكرنا.

وأشتهر أيضاً بالطب (النضر بن الحارث بن كلدة) وهو ابن الحارث بن كلده الطبيب المشهور الذي سبق ذكره، وقد تعلّم من أبيه الطب كما سافر إلى بلاد كثيرة كأبيه وحصل على علوم في الطب وغيره، حتى كان يأتي حكماء مكة ويُعَدُّ من الحكماء، ويسمع لقوله ويعالج الناس [4] ، وقد كان صديقاً لأبي سفيان بن حرب يشاركه في عداوة الرسول في أول الإسلام، وقد اشترك مع المشركين في معركة بدر فأسر وأحضر إلى النبي ﷺ وكان شديد العداوة للإسلام فأمر الرسول بقتله [5] صبراً .

---

[1]) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق د. نزار رضا ص ١٦٢، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥م
والقفطي، جمال الدين أبي الحسن علي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار بيروت، ص ١١١ .

[2]) ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد الفرنسي بالقاهرة ١٩٥٥م ص ٥٤، القفطي، إخبار العلماء ص ١١٢ .

٣) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣ / ٣٢٨ .

٤) ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٥٤ ـ وابن سعد، الطبقات الكبرى ج ٣ / ص ١٤٧ .

٥) ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ص ١٦٧ .

وقد كان في أيام الرسول، بعض الأطباء من حي (أنمار) في المدينة وقد رجح رجل في زمن الرسول فأحتقن الدم في جرحه فدعا رجلين طبيبين كم حي أنمار فقال لهما رسول اللّه ﷺ ٠أيكما أطب ؟ فقال أحدهما : أفي الطب خير يا رسول ؟ قال ﷺ : (أنزل الدواء الذي أنزل الداء) [١] .

ومن الأطباء (ابن أبي رمثة التميمي) وقد عرف بهذا الاسم [٢] فقط وقد كان طبيباً على عهد الرسول ﷺ وقد أتى إلى الرسول ﷺ يوماً فشاهد بين كتفي الرسول ﷺ الخاتم فقال للرسول ﷺ إني طبيب فدعني أعالجه فقال له الرسول ﷺ (أنت رفيق والطبيب اللّه) [٣] وقد اشتكي أبي بن كعب على عهد الرسول ﷺ فبعث إليه طبيباً يعالجه [٤]، وقد دخل رسول اللّه ﷺ على مرضى من الصحابة عدة مرات، فكان يقول لأهليهم أرسلوا إلى الطبيب أو (ادعوا له الطبيب) [٥] تأكيداً لأهمية هذا العلم وتقديراً لجدواه في معالجة الكثير من الأمراض التي عرفها الناس في زمن الرسول ﷺ .

❖ ❖ ❖

وهكذا كان هناك القليل من الأطباء في بلاد الحجاز على عهد الرسول ﷺ إلا أنه يبدو أن الأمراض كانت قليلة نتيجة خشونة العيش وقلّة الترف عندهم وقد سدّ هؤلاء الأطباء بعض الحاجة خصوصاً في مناطق الحضر كما أنه يحتمل وجود بعض الأطباء الآخرين في المدن

---

[١] مالك بن أنس، الموطأ ص ٨١٢، وابن جلجل، طبقات الأطباء ص ٥٤، الذهبي، الطبي النبوي ، ص ١٠١ .
[٢] ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء ص ١٧٠ .
[٣] ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص ٥٨
والذهبي، الطب النبوي، ص ١٠٩ .
[٤] الذهبي، الطب النبوي، ص ١٠٤ .
[٥] الذهبي، الطب النبوي، ص ١٠٥.

الأخرى أو في البوادي في الحجاز إلا أن عدم تَعرُّض الكتب لهم جعلنا نتوقف عنهم .

التمـريض :

التمـريض هـو القيـام علـى شـئون المـريض ومراقبتـه وخدمتـه يقـول الزبيدي (التمريض ـ حسن القيام على المريض ـ مرّضه تمريضا قام عليه ووليه في مرضه وداواه ليزول مرضه)[1].

وقد كان التمريض بهذه الصفة معروفاً عند العرب منذ العصر الجاهلي، فكان أهل المريض وأقاربه يقومون على خدمته ومداواته سواء كان مريضاً أو جريحاً، والعرب بطبيعتهم كانوا أهل حرب وغزو، فيكثر فيهم الجرحى، فهم بحاجة إلى من يمرّضهم، فكانت نساؤهم تقوم بذلك وبعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة وبدء حركة الجهاد المباركة، على يد الرسول ﷺ، ووجود جرحى كثيرين من المسلمين خلال هذه الغزوات ظهرت لدى المسلمين الحاجة إلى التمريض ومداواة الجرحى خلال المعارك ومساعدتهم، وقد دلّت النصوص والوقائع على وجود الكثير من النساء يقمن بذلك بمصاحبة جند الرسول ﷺ، فنجد أن النساء كن يسرن مع الجيش يداوين الجرحى ويسقين العطشى [2]، ويحملن القتلى لأجل أن يتفرغ الرجال للقتال، حتى أن بعض أمهات المؤمنين وغيرهن من النساء يصحبن الجند في غزوات الرسول، فهذه عائشة رضي الله عنها وأم سُلَيْمْ وغيرهما من النساء يشاركن في غزوة أحد ويحملن الماء إلى المسلمين [3]، وقد وضع البخاري في كتابه الصحيح باب سماه (باب مداواة النساء الجرحى في القتال)

---

[1]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٥ / ٨٥ .
[2]) ابن سلام، الأموال ص ٤١٨ .
٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٢ / ٣١ .
٤) هي الربيع لنت مسعود بن عقبة الأنصارية من نبي عدي بن النجار صحابية من المبايعات تحت الشجرة وكانت تصاحب المسلمين في غزواتهم . (ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٣٠٠) .
٥) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ١٢ / ٣٤ .

وأورد حديثاً عن الربيع بنت معوذ [1] قالت : (كنا مع النبي ﷺ نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة) [2] .

وقد كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ في غزوة أحد مع الرسول ﷺ وحينما أصيب الرسول ﷺ وشجَّ رأسه وجعل الدم يسل أتت فاطمة رضي الله عنها وأحرقت حصيراً وجعلت على جرح الرسول من رماده حتى أنقطع الدم [3] .

وقد كانت أم سُلَيْطْ الأنصارية من بني عدوي بن النجار مع المسلمين في غزوة أحد تجلب لهم الماء، وتشارك مع النساء الأخريات في مداوة الجرحى، وقد شهدت مع الرسول وأصحابه غزوة خيبر وغزوة حنين، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر لها ذلك بعد ولايته الخلافة [4].

وقد كان أشهر الصحابيات في هذا المجال الصحابية الجليلة (رُفَيْدَة الأسلمية الأنصارية)، كانت تداوي الجرحى من المسلمين وتقوم بنفسها بخدمة من ضيعة من المسلمين الجرحى، وقد جعلت في المسجد خيمة تداوي فيها الجرحى [5]، فأمر الرسول أن يحوّل بعض المسلمين إلى خيمتها فحينما أصيب (سعد بن معاذ) رضي الله عنه في غزوة الخندق قال رسول ﷺ: اجعلوه في خيمة رُفَيَدْة حتى أعوده من قريب)[6] ويبدوا من خلال تلك الغزوة خصوصاً إذا علمنا أنها قد ضربت خيمة في مسجد الرسول ﷺ تدواي فيها الجرحى ولعل هذه الخيمة تعتبر (أول مستشفي)

---

٦) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤ / ٤١١
والبخاري، الصحيح، فتح الباري، ج ٢١ / ٢٩٤
وابن الأثير، الكامل ج ٢ / ١٥٨ .

[1]) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٢ / ٣٣
وابن حجر، الإصابة ج ٤ / ٤٦٠ .
[2]) ابن حجر، الإصابة ج ٤ / ٣٠٣ .
[3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ـ ٣ / ٢٣٨
والطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٣ / ٥٤
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٦٧٣ .

عرف في الإسلام فهو بيت علاج شبيه بالمستشفي على حسب إمكانيات تلك الأيام.

وقد كانت هناك بعض العمليات الجراحية البسيطة التي يقوم بها بعض النساء والرجال، فقد كان (الختان) [1] معروفاً للنساء في مكة، ولا أدري مدى انتشار ذلك بين النساء فقد يكون محدوداً ولكنه ثابت من بعض النصوص، فإن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وهو يقاتل في (أحد) شاهد رجلاً مشركاً يعرفه، فقال له حمزة : هلّم إليَّ يا ابن مُقْطِعَة البظور (وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي وكانت ختّانة بمكة) [2] ـ فلما التقيا ضربه حمزة فقتله، وقد كان الرجال أيضاً يجرى عليهم الختان، وكانت العرب تختتن قبل الإسلام، فكانت قريش قبل الإسلام تختتن، وكان لا يختن غلام من غلمان قريش إلا في دار الندوة [3]، وقد كانت ثقيف أيضاً تختتن وكانت العرب ترى عدم الختان عيباً، فقد كان رجل أنصاري يسلب القتلى بعد معركة حنين، فوجد رجلاً أغرل لم يختن فقال للناس يعلم الله أن ثقيف عزل ما تختتن، فأخذ المغيرة بن شعبة بيده وأخذ يكشف له عن القتلى ويريه أنهم مختونون خشية أن تظن العرب أن ثقيفاً لا تختتن [4]، ويبدو أن عملية الختان يقوم بها رجال مخصوصون في مختلف الحجاز خصوصاً إذا علمنا أن اليهود قوم يختتون، كما أن الإسلام حثّ على الختان فيما بعد، فكان كل المواليد من المسلمين يختتون، بناء على وصايا الرسول ﷺ للمسلمين في الختان والتي منها قوله ﷺ (خمس من الفطرة، الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف

---

[4]) الختان، قطع الغُلة وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن وقيل هو موضع لقطع من الذكر والأنثى ويسمى الخفض بالنسبة للنساء (الزبيدي) تاج العروس، ج ٩ / ١٨٨ .
[5]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٦٨ ـ والبلاذري، فتوح البلدان ص ٦٤ .
[6]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج ١ / ١٣٠ .
[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٣٠ .

الإبط، وقص الشارب) [1] كما وردت عدة أحاديث أخرى في مجال الأمر بالختان واعتباره من مميزات المسلمين لا مجال لذكرها، كما أن اليهود يعرفون الختان، فكان يهود الحجاز وعلى رأسهم يهود المدينة يختتون وكل هذا مما جعل هناك أناس مختصين بهذه العملية على قدر كاف من الخبرة لأن معظم سكان الحجاز سواء منهم العرب أو اليهود يختتنون.

كما أن النساء في حالة الولادة يحتجن إلى من يعتني بهن أثناء الوضع، وهذا معروف عند الناس في مختلف المجتمعات منذ القدم، وقد سمّاها ابن خلدون صناعة التوليد حيث يقول (وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه، من الرفق في إخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك تمّ ما يصلحه بعد الخروج، وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر، لما انهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة) [2] ن وبطبيعة الحال فإن المجتمعات في الحجاز في العصر النبوي كانت بحاجة إلى وجود قابلات يقمن بعملية التوليد للنساء وما يلزمهن أثناء الوضع، وتدل الشواهد من النصوص على ذلك فقد ذكر البلاذري أن هناك امرأة قابلة بمكة [3] .

كما ذكر عن بعض أولاد النبي ﷺ أن هناك قابلة تولّت توليد خديجة رضي اللّه عنها لفاطمة واسمها (سلمى) مولاة صفية بنت عبد المطلب [4]، وهي زوجة أبي رافع مولى النبي ﷺ وهي التي قبلت أم المؤمنين مارية القبطية حينما ولدت إبراهيم ابن النبي ﷺ[5] وقد كانت سلمى هذه تقول :

---

[2]) مسلم، الجامع الصحيح، ج ١ / ١٥٢، والاستحداد هو حلق العانة .
[3]) ابن خلدون، المقدمة، ص ٤١٢ .
[4]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٦٤ .
[1]) ابن حجر، الإصابة ج ٤ / ٣٣٣ .
[2]) ابن عبد البر الاستيعاب (حاشية على الإصابة) ج٣٢٨/٤ .

ما كان يكون برسول الله ﷺ فرحة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء، وكانت تقوم بخدمة الرسول ﷺ [1] .

وهكذا نرى من هذا العرض أن الناس كانوا يعرفون التمريض والقيام على شئون المرضى وخدمتهم، وربما كان هناك أناس يحترفون هذه المهنة، وهي القيام على أشباه المرضى، إن صحَّ التعبير وهن النساء اللاتي يقمن بتوليد النساء وبختان بعض البنات الصغيرات.

كما وجد من النساء من يداوين الجرحى في المعارك إضافة إلى ذلك فقد وجد من الرجال من يقوم بختان الأطفال من الذكور، ومن يداوي الجرحى من الرجال وهذه كلها أعمال تدخل ضمن نطاق التمريض، وقد لا يحتاج المحترف لها إلى خبرة في الطب ومع ذلك فيمكن اعتبارها روافد مساعدة للطب بطريقة ما .

الحِجَـامْة :-

الحجم هو المصّ، يقال للحاجم (الحجّام) لامتصاصه فم المِحْجَم، والمحجم والمحجمة بالكسر ما يحجم به، وهي الآلة التي يجمع فيها الدم المحجوم عند المصّ، والمحجم هو مشرط الحجام وحرفته الحجامة [2] والحجامة كانت شائعة عند العرب وهي من ضروب العلاج والتداوي [3] وتكون بإخراج الدم من الجسم بكميات معينة وفي مواضع معينة وأوقات محددة، وقد كانت معروفة ومشهورة عند أهل الحجاز ومنتشرة بينهم بكثرة [4].

---

[3]) ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٣٣٣ .
[4]) الزبيدي، تاج العروس ج ٨ / ٢٣٧ .
[5]) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢١ / ٢٦٧ .
[6]) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ٨٠ .

وقد قال رسول الله ﷺ : (إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم أو لذعة بنار وما أحب أن أكتوي) [1] وقد روى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عن الحجامة : (إن فيها شفاء) [2] ومع استحباب الرسول للحجامة إلا أنه نهى عن المبالغة فيها فقال عليه وسلم : (لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله) [3]، وليس أدل على أهمية الحجامة وكثرة تداولها زمن النبي ﷺ من أن البخاري وضع في صحيحه أبواباً تتعلق بالحجامة وهي (باب الحجامة من الداء) [4] و(باب الحجامة على الرأس) [5] و(باب الحجامة من الشقيقة والصداع) [6].

وقد كان الرسول ﷺ يحتجم ويعطي الحجّام أجره ورد ذلك في أحاديث عديدة منها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أحتجم النبي ﷺ وأعطي الحجّام أجره) [7] ويبدو أن الحجامين في المدينة أيام الرسول ﷺ كانوا كثرة بدليل ورود عدة أحاديث في كل واحد يرد اسم (حجّام) ومن هؤلاء كان أبو هند الحجّام [8] ويسمى حجّام النبي ﷺ، ﷺ، وله أخ حجّام أيضاً اسمه أبو طيبة وهو من موالي بني حارثة [9] وقد ثبت في حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ حجمه أبو طيبة وأمر له بصاعين من طعام) [10].

---

[1]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢١ / ٢٧٢ .
[2]) المصدر السابق، ج ٢١/ ٢٦٩ .
[3]) ابن القيم، زاد المعاد ج ٣ / ٨١
[4]) البخاري، الصحيح (فتح الباري)، ج ٢١ / ٢٦٧ .
[5]) المصدر السابق، ج ٢١ / ٢٦٩ .
[6]) المصدر السابق، ج ٢١ / ٢٧٠ .
[7]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ٥٤
والذهبي، الطب النبوي ص ٢١ .
[8]) هو أبو هند قيل اسمه عبد الله وهو مولى فروة بن عمرو بن البياض، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، عدا غزوة بدر، (ابن حجر، الإصابة ج ٤ / ٢١١) .
[9]) السهيلي، الروض الأنف ج ٣ /٦٦
وابن حجر، الإصابة ج ٤ / ١١٤ .
[10]) الدارمي، سنن الدارمي، ج ٢ / ٢٧٢
والذهبي، الطب النبوي، ص ٢٢ .

كما أن أبا طيبة حجم أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها بعد أن استأذنت النبي ﷺ في ذلك كما كان هناك حجّاماً آخر اسمه (سالم) كان يعرف (بسالم الحجّام) حجم رسول الله ﷺ [1]، وقد كان للعباس عم النبي ﷺ ثلاثة موالي يشتغلون بالحجامة، فكان اثنان منهم يغلان عليه وعلى أهله وواحد يحجمه ويحجم أهله [2] وهكذا فإن الثلاثة كانوا كانوا يحترفون الحجامة ويعطي أثنان منهم العباس من دخلهما لأنهما غلمان موالي له .

وهكذا نرى أن الحجامة كانت معروفة زمن النبي ﷺ، ولا تزال معروفة في بعض البلاد بقلّة، وهي إحدى وسائل علاج المرضى وكان هناك أناس مختصون، يلاحظ أنهم في الغالب من الموالي، ويحترفون هذه العملية ويجيدونها، ويلاحظ ذكر الرسول لها بأن فيها شفاء، وحبذا لو قام بعض الأطباء المسلمين الثقات بدراسة علمية للحجامة، ومدى تأثيرها الصحي على الجسم، فلربما أفادونا كثيراً في هذه الناحية، لأن الرسول ﷺ أكدَّ أن فيها شفاء، والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، خاصة وأن الحجامة كانت حتى زمن قريب أسلوباً يعالج به كثيراً من المرضى وتنجح في علاج بعض الحالات.

---

[1]) الذهبي، الطب النبوي ص ٢٢ .
[2]) ابن حجر الإصابة ج ٢ / ٦ .
السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ١٦٦ .

العطارة والصيدلة

العطارة مشتقة من العِطر بكسر العين وهو الطيب، والعطّار هو بائع الطيب وحرفته العطارة [1]، والعطار جاء اسمه في الأصل من بائع العطر، وهو لا يقتصر في عمله على بيع العطور وإنما يبيع الأعشاب المختلفة الأخرى التي تستعمل في أمور أخرى مختلفة، فهو يبيع الأعشاب الطبية التي تستعمل في علاج المرضى، فكل عطّار في القديم هو إلى الصيدلية أقرب منها إلى العطارة، وكانوا يسمون الصيدلية بيع العطارة وكانوا يسمون العطّار أحياناً بالصيدلي [2]، لذلك أطلقنا تسمية العطارة والصيدلية وقرناهما ببعضهما لأنهما كانا في العمل سواء، ويقتصر في التسمية على (العطّار) ولا يزال العطارون منتشرين حتى الآن في الحجاز، وفي كثير من البلاد العربية والإسلامية ويسمون بنفس التسمية ويبيعون الأعشاب إضافة إلى الطيب، والعطارون كانوا ينتشرون في مدن الحجاز وفي أسواقها يبيعون للناس العطر والأعشاب التي يصفها لهم الطبيب [3] ولهم سوق رائجة، وقد وصف الرسول ﷺ الجليس الصالح ببائع المسك [4] كما أن البخاري وضع باباً سمّاها (باب العطّار وبيع المسك) [5] مما يدل على معرفة الرسول وأصحابه بالعطّارين ووجودهم زمن الرسول ﷺ.

ومن الأعشاب التي كان الناس يستعملونها بكثرة زمن النبي ﷺ (الحناء) فقد كانت تباع عند العطّارين، وتنتشر بكثرة في ذلك الزمان، ولا تزال الحناء تستعمل في الحجاز وغيرها حتى الآن كما لا تزال زراعتها منتشرة في الطائف والمدينة وغيرها ومن المحتمل جداً أنها

---

[1]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٤٠٩ .
[2]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٧ / ٤٠٣ .
[3]) جواد علي، المفصّل، ج ٧ / ٥٧٠ .
[4]) البخاري، الصحيح، (فتح الباري) ج ٩ / ١٧٦
[5]) المصدر السابق ج ٩ / ١٧٥ .

كانت تزرع في هذه المدن في زمن الرسول ﷺ، بدليل كثرة استعمال الناس لها في تلك الأيام، وأنها الآن تزرع في تلك البلاد فقد تكون زراعتها الآن دليلاً على قدم زراعتها وقد كان الرسول ﷺ يخضب شعره (بالحناء) [1] ويخلطه (بالكتم) [2] الذي كان الرسول ﷺ يستعمله مع الحناء بكثرة وكانت بعض أمهات المؤمنين يستعملنه[3]، وقد كان الكثير من الناس يصبغ شعره بالحناء خصوصاً من كان ذا شيب منهم وقد وردت الكثير من أخبار ذلك من خلال كتب الحديث المختلفة [4] كما أن (الكحل) كان منتشراً ويستعمل على نطاق واسع بين الرجال والنساء وقد كان الرسول ﷺ يكتحل (بالأثمد) [5]، وهو حجر خاص أسود اللون يوجد شيء منه في جبال الحجاز ويستورد الطيّب منه من بلاد أخرى حيث يؤتي به من فارس وغيرها ويدق حتى ينعم جداً وله لمعان مع سواده وينقي من الشوائب وتكحل به العين [6] وقد كان يباع عند العطارين الذين يجلبونه من أماكن بعيدة وقد وضع البخاري باباً سمّاه (الأثمد والكحل من الرّمَد) ذكر فيه عدة أحاديث [7].

كما أن هناك الكثير من النباتات التي عرفت في العلاج وتوفرت عند العطارين في ذلك الزمان وما زال كثير نم الناس يستعملها وعلى

---

[1]) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ٢ / ٦١٧
والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٨٧
وابن حجر، فتح الباري، ج ٢٢ / ١٢٢ .

[1]) الكتم، نبات جبلي له ورق صغار وثمر يشبه الفلفل الأسود إذا نضج يخلط بالحناء (تاج العروس، ج ٩ / ٣٩) .

٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٨٣
القلقشندي، نهاية الأرب ص ٦١ .

[3]) انظر بعض تلك الأحاديث في (عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ٢ / ٦١٧ حتى ٦٢٨) .

[4]) الذهبي السيرة النبوية، ص ٢٥٤ ـ وابن حجر، فتح الباري، ج ٢١ / ٢٧٥، وسنن الترمذي، ج ٤ / ٣٨٨ .

[5]) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٥٦، وابن حجر، فتح الباري، ج ٢١ / ٢٧٥

٦) الصحيح، (فتح الباري) ج ٢١ / ٢٧٥ .

٧) الحلبة، نبت له أصفر معروف بين الناس ويزرعه بعضهم ويتعالج به الناس من أمراض عديدة ويكثر استعماله عند أهل اليمن وغيرهم، (تاج العروس ج ١ / ٢٢٢) .

٨) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٦٢ .

رأسها (الحِلْبَة) [1] وكان الأطباء يصفونها للناس، فقد مرض سعد بن أبي وقاص بمكة فأمر النبي ﷺ أن يدعى له طبيب فدعي له الحارث بن كلدة طبيب العرب المشهور فأمرهم أن يعطوه حلبة فشفي من مرضه [2].

كما كانوا يستعملون الحبة السوداء للعلاج وتوجد عند العطّارين وقد استعملت في العلاج في العصر النبوي، وقد ورد في ذلك حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : (إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السأم قلت : وما السأم ؟ قال : الموت) [3] ولا تزال الحبة السوداء تستعمل في العلاجات الشعبية ويبيعها العطارون وتسمى عندهم (السمراء) أو (السميراء) أو (الخضيراء) أو (حبة البركة) .

(والكبات) ثمر الأراك وهو الشجرة التي يؤخذ منها (السواك) يجمعه الناس ويأكلونه وهو علاج مقوي للمعدة، وقد جمعه الرسول وأكله [4].

كما كانوا يستعملون (النّورة) [5] للغسيل وتنظيف الجلد والشعر وقد كان الرسول ﷺ يستعملها أثناء اغتساله في بعض الأحيان كما وردت بذلك الأحاديث [6].

(والصَّبْر) [1] كان من الأدوية التي تباع لدى العطّارين ويستعمله الناس للدواء وتستعمله النساء للتجميل أيضاً فيدهن به وجوههن وكانت

---

١) ٩) البخاري، الصحيح، (فتح الباري) ج ٢١ / ٢٦٠
والترمذي، الجامع الصحيح، ج ٤ / ٣٨٥ .
٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٨٣ .
٣) (النورة) نوع من الحجر يحرق ويدق ويعمل منه الكلس
(الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٥٨٨) .
٤) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٩٤ .
٥) الصبر، عصارة شجرة ورقها كقرب السكاكين ويسمى السقطري أو الصبارة
(الزبيدي، تاج العروس ج ٣ / ٣٢٥) .
٦) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٧٢ .

أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تستعمله، فأمرها رسول الله ﷺ باستعماله في الليل فقط لأنه يظهر الوجه بنظرة الشباب [٢].

أما العطور فكانت معروفة بأشكال مختلفة منها ما ينتج من زراعة محلية ومنها ما يستورد من أماكن بعيدة، وقد كانت بعض أنواع الزهور تباع لدى العطارين وقد تكون مجففة ويستفاد منها وهي كذلك ومن أشهر الزهور المعروفة عندهم (الريحان) وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم منه قوله تعالى : (والحب ذو العصف والريحان) [٣] وذلك مما يؤكد معرفة المخاطبين لها، وقد قال النبي ﷺ : (من عرض عليه ريحان فلا يرده فأنه خفيف المحمل طيب الرائحة)[٤].

وقد حثّ الرسول ﷺ استعمال (الطيب وشاع في عصره حيث ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : (حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة) [٥] وهذا الحديث يدل على حب الرسول ﷺ للطيب ويستشف منه كثرة استعمال الرسول للطيب وكان من أحب الأشياء إليه وقد كانت رائحة الطيب تفوح من الرسول ﷺ باستمرار يشم ذلك منه المسلمون [٦]، كما أن الرسول أمر المسلمين بالاغتسال والتطُّيب لصلاة الجمعة والعيدين وكان يحب ذلك من المسلمين [٧]، كما كان المسلمون يعرفون (الزعفران) في المدينة ويستعملونه بكثرة في دهن

---

٧) سورة الرحمن، آية ١٢ .
٨) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣/ ١٦٦ (وابن حجر، فتح الباري، ج ٢٢ / ١٤٢) .

١) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٧٣ .
٢) عمر بن شبه، تاريخ المدينة ج ٢/ ٦١٥
والبخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢٢ / ١٣٧ .
٣) الدارمي، سنن الدارمي ج١ / ٣٦٢ .

أجسامهم وقد حكَّ الرسول نخامه كانت في مسجده ووضع عليها قليلاً من (الزعفران) [1] .

ومن أنواع الطيب التي كان يستعملها أهل الحجاز منذ العصر الجاهلي وحتى الآن (البخور) والبخور أنواع خاصة من الأشجار تتميز برائحة طيبة حيث يوضع قطعة منها على الجمر بحيث تخرج دخاناً طيب الرائحة وكان البخور يباع عند العطارين ولا زال كذلك، وهو أنواع مختلفة، ويستعمل له الناس في مكة والمدينة وغيرهما من مدن الحجاز أوعية خاصة لإحراقه تسمى (المجمرة)، وكانت تستعمل بمكة ويحملها الناس إلى مجالس الرجال حول الكعبة يبخرون بها الناس [2]، وكان الرسول ﷺ يتبخر بالعود والكافور [3] والعود منه ما هو هندي، وهو في الغالب مجلوب من الهند، ومنه ما هو بحري وهو أخف رائحة من الهندي [4].

وقد ورد في حديث نبوي ترغيب للناس بالعود الهندي في قوله ﷺ (عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية، يسعط به من العذرة ويلد به ذات الجنب) [5]، وقد كانت قريش في الجاهلية تجمر الكعبة مما سبب لها الحريق الذي جعل قريشاً تهدم ما بقي منها وتبنيها من جديد قبل البعثة النبوية بقليل [6]، وقد كان الرسول ﷺ يحث المسلمين على تطييب المساجد [7] .

---

[4]) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ١٢٤ .
[5]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢ / ٢٧٢
والسهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٣١ .
[6]) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢ / ٣٩٩
وابن القيم، زاد المعاد، ج٣/ ١٧٥ .
٧) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢١ / ٢٦٥ .
٨) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢١ / ٢٦٥٦ .

[1]) الأزرقي، أخبار مكة، ج ١ / ١٥٨ .
[2]) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ١٢٤ .

وهكذا نرى أن حرفة العطارة كانت منتشرة عند أهل الحجاز منذ العصر الجاهلي وخلال عصر الرسول ﷺ بما تنتظمه هذه الحرفة من بيع نباتات وأعشاب طبية أو بيع روائح عطرية، أو ما ينتج الروائح العطرية من ريحان أو بخور أو غير ذلك .

وقد كانت للرسول توجيهات خاصة عن بعضها وهي التي مكَّنتنا من معرفة هذه الأصناف التي ظهرت في الحجاز خلال العصر النبوي وما ورد فيها من أحاديث ونصوص تعود للنبي ﷺ، ولا شك أن توجيهات الرسول ﷺ وحبه للطيب انعكست على المسلمين جميعاً في التطيب وطلب الرائحة الطيبة سواء في أصحابه المعاصرين له أو في ما جاء من المسلمين فيما بعد حتى عصرنا الحاضر .

التجميل والحلاقة

لقد اهتم الناس منذ القدم بالتجميل وإظهار الحُسن ولا سيما بالنسبة للنساء، كما اهتم الرجال ببعض الأشياء التي تضفي عليهم جمالاً ولذلك استخدموا طرقاً شتى. والذي دعانا إلى الكتابة عن التجميل هو ما عرفته المجتمعات القديمة وخصوصاً الطبقات الغنية منها من وجود نساء يحترفن القيام بتجميل النساء الثريات وعمل بعض الزينة لهن، بل ربما وجد ذلك بين النساء في الطبقات العادية من المجتمع، إلاّ أن ذلك كان يكثر في الحضر، ويقلّ في البادية.

وقد كان في الحجاز أيام الرسول ﷺ وفي أواخر العصر الجاهلي نساء يقمن بهذه المهنة، يدل على ذلك ما أوردته بعض النصوص، يقول ابن هشام : (أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس، فنزلوا على امرأة يقال لها (أم غيلان)، مولاة

لدوس، وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس) [1] (فمن خلال) هذا النص يتبيّن لنا أن (أم غيلان) كانت تمتهن تمشيط النساء، وتجهيز العرائس وربما وجدنا نساء غيرها في مختلف القبائل يقمن بهذه العملية.

ويبدو كذلك من خلال النصوص أنه كان في المدينة من تعرف بالماشطة وهي التي تصفف شعور النساء وتزينها لعرس أو لقدوم زوج من سفر فقد ذكر عن (عبد الله بن رواحه) أنه قدم على أهله بليل فكانت امرأة عبد الله نائمة مع ماشطتها فاستراب (عبد الله)، وحين علم أنها الماشطة أخبر الرسول ﷺ في الغد بما دار في نفسه، فقال الرسول : لا تطرقوا النساء ليلاً [2]، وقد كانت الأمهات يقمن بجمع شعر بناتهن وتمشيطه وتزينه، وهي عادة نسائية معروفة في المجتمعات منذ القدم، وقد ورد أن جابر بن عبد الله تزوج، فسأله الرسول : هل تزوجت بعد ؟ قال جابر : نعم يا رسول الله قال له الرسول ثيباً أم بكراً ؟ قال جابر : بل ثيباً، قال له الرسول : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك، قال جابر : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبع، فنكحت إمرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن، فقال الرسول ﷺ : أصبت إن شاء الله [3].

وقد كانت النساء يقمن بتمشيط أزواجهن فقد ورد في حديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (كنت أرجّل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض) [4].

وقد كانت هناك ماشطة تأتي النبي ﷺ ويكرمها ويقول أنها كانت تأتينا أيام خديجة [1] وتسمى (أم زُفر)، ويدل هذا على وجود نساء

---

[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢ / ٤١٤
انظر : ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٤٨٢ .
[2]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ / ٥٠٠ .
[3]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٢٠٨ .
[4]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢٢ / ١٣٨ .

نساء مختصات بتزيين النساء وتمشيطهن في مكة وفي المدينة فقد كانت الماشطة المذكورة تأتي خديجة رضي الله عنها في مكة قبل وفاتها.

ولّما تزوج رسول الله ﷺ (صفية بنت حيي بن أخطب) قامت بتمشيطها وتجميلها له أم سليم بنت ملحان [٢] وهي أم انس بن مالك وزوجة طلحة بن عبد الله[٣]، وقد ذكر عن (آمنة بنت عفان) أخت عثمان بن عفان أنها كانت ماشطة في الجاهلية [٤]، وقد كانت هناك امرأة في المدينة تسمى (أم رَعلة القشيرية) تزين النساء وتجملهن وقد جاءت إلى رسول الله ﷺ وسألته عن أشياء وقالت له : إني امرأة مُقينة أُقيّن النساء، وأزيّنهن لأزواجهن، فهل هو حوب فأثبط عنه ؟ فقال لها : يا أم رعله قيّنيهن إذا كسدن [٥].

وكانت من صور التجميل المعروفة عند العرب في الجاهلية (الوشم) وهي غرز الإبرة في مواضع معينة من الوجه أو اليدين حتى يسيل الدم ثم يحشى بالكحل أو النيل حتى يزرق أثره أو يخضر [٦] ويستمر هذا اللون مغاير للجلد بأشكال معينة، وكان الكثير من العرب يعمل ذلك على يد أناس مختصين يقومون بالوشم فينقشون على الجسم صور حيوانات أو خطوط تكون على الشفاه ويشم بعض الرجال مواضع من أجسامهم يظنون أن ذلك يقوي المفصل الذي وشم عليه [٧].

---

[٥]) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢١ / ٢٢٦
وابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٤٥٣
والكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ١١١ .
[١]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٣٤٠ .
[٢]) ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٤٦١ .
[٣]) ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٢٢٥ .
[٤]) ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٤٥٠ .
[٥]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٩ / ٩٤ .
[٦]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣/ ١٠، ١١ .

وقد نهى رسول الله ﷺ عن الوشم وحرَّمه كما ورد في الحديث (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات [1] للحسن المغيرات خلق الله) [2] وقد أتي بامرأة تشم النساء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لأصحابه : (أنشدكم بالله من سمع من النبي ﷺ شيئاً في الوشم ؟ فقال أبو هريرة يا أمير المؤمنين أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تشمن، ولا تستوشمن) [3] ويدل هذا الحديث على وجود نساء محترفات يقمن بعملية الوشم .

وكثير من النساء في العصر الجاهلي إذا كان شعرها قليلاً بطبيعته أو بسبب مرض يقمن بوصلة [4] بشعر مستعار للتزين بهذا الشعر المستعار وحينما جاء الإسلام حرَّم ذلك ففي حديث عن أسماء بنت أبو بكر رضي الله عنها قالت : (لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة) [5] [5] وقد وردت أحاديث أخرى تنهي عن وصل الشعر ليس هنا مكان استقصائها [6] .

وبالنظرة السريعة لتعليمات الإسلام فيما يتعلق بالتجميل والصحة نجد أن هناك الكثير من التعليمات يمكن أن نختصرها بالآتي أن الرسول ﷺ أقرَّ بل وأمر بكل ما يتعلق بالتجميل من نظافة سواء بتقليم الأظافر أو تنظيف شعر الإبطين واتخاذ الملابس الحسنة خصوصاً في الجمعة والأعياد .

---

[7] (التنميص) إزالة شعر الوجه بالمنقاش، (فتح الباري ج ٢٢ / ١٥٠)
(المتفلجات) من التفلج وهو إخراج ما بين الثنيتين من الأسنان إذا كانت متلاصقة بالمبرد ليظن أن المرأة صغيرة (فتح الباري ج ٢٢ / ١٤٣) .

[8] البخاري، الصحيح، (فتح الباري) ج ٢٢ /١٥٢
وسنن الدارمي، ج ٢ / ٢٨٠ .

[9] البخاري، الصحيح، (فتح الباري) ج ٢٢ / ١٥٣ .

[1] (وصل الشعر) أي الزيادة فيه من غيره (فتح الباري ج ٢٢ / ١٤٥) .

[2] البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢٢ /١٤٨ .

[3] انظر صحيح البخاري (فتح الباري) باب (وصل الشعر) وفيه سبعة أحاديث وكذلك باب (الموصولة) وفيه أربعة أحاديث ج ٢٢ / ١٤٥ وص ١٥٠ .

كما أنه في الجانب الآخر نهى عن بعض ما تعمله النساء من تزين مغشوش كالوصل للشعر أو تفليج الأسنان أو الوشم وهذه كلها أشياء مغشوشة تخدع من يريد الزواج من المرأة، كما أنها وسائل قد تحتوي على أضرار أخرى لا يستطيع الإنسان تداركها، فكم من واشمة تمنت زوال الوشم من وجهها، ولكنها لم تستطع وكم من مفلّجة أضرت بأسنانها دون أن تعلم، وكم من واصلة خدعت الخُطّاب.

وهكذا نرى تشريعات الإسلام في هذا المجال كلها تتعلق بمصلحة الناس في الدرجة الأولى وكما هو معروف فإن الإسلام لا يأتي إلا بخير ولا ينهي إلاّ عن شرٍّ، وقد كان الرسول ﷺ خير مثل للمسلمين يعتني بنظافته الشخصية وبرائحته الطيبة فكان الرسول يحمل معه في سفره المرآة، والمشط، والمكلحة، والمقراض، والمسواك وكل ما يساعده على تطهير بدنه ونظافته وجماله [1].

الحلاقة :-

هي إزالة الشعر فيقال حلق الرأس أي أزال شعره، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر للحلاقة في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الفتح:

[1]) العصامي، سمط النجوم العوالي ج ١ / ٤٦٣ .

٢٧ [١] ولقد كانت الحلاقة مقرونة بالحج ملتصقة بالرجال، والتقصير أيضاً مقروناً بالحج للنساء في الأصل ويجوز للرجال التقصير فقط[٢] فكان الناس في الحج والعمرة يحلق بعضهم لبعض ويقصر بعضهم لبعض، فكان الكثير من الناس لديهم المقدرة على ذلك، ولكن يبدو أنه وجد أناس معينون يمتهنون الحلاقة للناس، ويأخذون منهم الثمن سواء في مكة أثناء الحج أم في غيرها.

وقد أوردت كتب الحديث عدة أحاديث تتعلق بحلق الرسول ﷺ، فقد ورد أنه ﷺ حلق أربع مرات على الأقل ثلاثاً منها في العمرة وواحدة في حجة الوداع [٣] كما وردت بذلك الروايات .

وقد ورد ذكر لبعض الحلاقين المشهورين أيام الرسول ﷺ، وعلى رأسهم أبو هند[٤] حجّام الرسول ﷺ، فقد حلق لرسول الله ﷺ عدَّة مرات، كان منها حلقه للرسول ﷺ في عمرة الجُعرانة [٥]، وقد ذكر من الحلاقين معمر بن عبد الله بن فضلة رضي الله عنه، وهو الذي حلق لرسول الله ﷺ في حجة الوداع، وحين قام على رأس الرسول ليحلقه ومعه الموس قال له الرسول : يا معمر مكّنك رسول الله من شحمة أذنيه، قال (معمر) : ذاك من منن الله عليَّ قال الرسول ﷺ : أجل [٦] ...

---

[١] سورة التح، آية ٢٧ .
[٢] الشوكاني، فتح القدير، ج ٥ / ٥٥ .
[٣] المؤلف مجهول، منار الاصطفا في بيان حلاّق المصطفي، ورقة (١) مخطوط بدار الكتب الوطنية بالقاهرة رقم ٩٣١ تيمورية .
[٤] هو أبو هند مولى فروة بن عمر البياض من الأنصار (انظر تعريفه في الحجامة) .
[٥] المؤلف مجهول : منار الأصطفا، مخطوط ورقة (٧) .
[٦] ابن حجر، الإصابة، ج ٣ / ٤٤٩ .
المؤلف مجهول، منار الاصطفا، مخطوط ورقة (٤) .

ومن هؤلاء الحلاقين أيضاً خُراش بن أمية بن ربيعة الكليبي (بالتصغير) وقيل أنه هو الذي حلق لرسول اللّه ﷺ عند المروة في عمرة القضاء وكان حجّاماً [1]، كما ذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه حلق لرسول اللّه ﷺ [2]، وهكذا فإننا نرى أن المرات التي حلق فيها رسول اللّه ﷺ ووردت من خلال كتب الحديث كانت مرتبطة بعمرة أو حج، وذلك لأهمية ذلك في التحلل من الإحرام، كما لا يفوتنا أن الرسول ﷺ كان يأمر الرجل بالحلق إذا رأى به أذى من شعر رأسه حتى ولو كان محرماً، فقد ورد أن النبي ﷺ مرَّ بكعب بن عُجره وهو يوقد تحت القدر فقال : (أيؤذيك هوام رأسك ؟ قال : نعم فدعا الحلاق فحلقه ثم أمره بالفداء) [3].

ومن المقارنة بين الحجامة والحلاقة نجد أن الحلاق يمتهن الحجامة والعكس صحيح في تلك الأيام أي أن من يقوم بالحلاقة يقوم بالحجامة أيضاً ومن يقوم بالحجامة يقوم بالحلاقة فنجد أن (أبا هند) حجَّام الرسول ﷺ جاء ذكره ضمن الحلاقين وكذلك (خراش بن أمية) الذي ذكر أنه حلق شعر الرسول ثم قال في أخره وكان حجّاماً .

والجدير بالذكر أن الأمر بقي كذلك إلى وقت قريب فكان الناس يعرفون أن الحجام أو الحلاق يقوم بالعمليتين معاً الحلاقة والحجامة .

وهكذا نرى من خلال ما أوردناه انه وجد مختصون يقومون بالحلاقة للناس في زمن الرسول والحلاقة كانت بهدف المحافظة على الجمال إضافة إلى تخليص البدن من الشعر الزائد في الوقت نفسه .

---

[1]) الكتاني ن التراتيب الإدارية، ج ٢ / ١٠٤
المؤلف مجهول، منار الاصطفا مخطوط ورقة (٥)
[2]) المصدر السابق .
[3]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢١ / ٣٥ .

❖ ❖ ❖

هكذا من خلال ما استعرضناه ـ يتبين لنا وجود حرف ذات صبغة علمية أو صحّية، فقد لا حظنا أن القراءة والكتابة كانت موجودة في العصر النبوي وكان هناك من يحترفها حيث يكتبون للناس ما يحتاجون إليه، لإضافة إلى وجود من يعلّم الناس القراءة والكتابة كما أن الطب كان من الحرف التي وجدت في العصر النبوي ووجد أطباء يقومون بعلاج المرضى كما وجد ممرضون وممرضات يحترفون الإشراف على المرضى.

كما أن العطارة في تلك الأيام كانت مزدهرة وكانت بمنزلة الصيدلة في هذا العصر إذ عن طريقها توفّرت الأدوية للمرضى وأدوات الزينة لمن يحتاج إليها.

وكما لاحظنا فقد وجدت نساء مختصات في تجميل النساء (العرائس) وغيرهن ممن يحتجن إلى التجميل، لإضافة لذلك فقد وجد حلاقون ن الرجال يقومون بمهنة إزالة الشعر الزائد وإظهار الرجال بمظهر حسن، كل ذلك كان متوفراً في العصر النبوي لدى سكان المدن والقرى خاصة ولدى سكان الحجاز بعامة .

الفصـل السـابـع

(الحـرف العـامـة)

- الحـدادة
- الصيـاغة والتعديـن
- الدبـاغـة
- الغـزل والحـزازة
- الخيـاطة ـ الصبـاغـة
- الأجـراء

الحدادة :-

الحدادة هي معالجة الحديد كما فهمها اللغويون [1] ، ويعني ذلك صناعة الحديد وتشكيله بأشكال مطلوبة للانتفاع بها ويسمى عامل ذلك (الحدّاد) .

وقد كانت الحدادة قديمة بين الناس نظراً لأنها تسدّ حاجات كثيرة لا غنى للإنسان عنها ، وأكثر ما توجد الحدادة في المدن والحضر وتكاد تنعدم عند العرب في البادية ، ونظراً لقلّة الحاجة إليها فإنهم يجلبون ما يحتاجون إليه من أدوات قليلة من المدن ، كما أن الأعراب خاصة والعرب عامة كان لديهم احتقار لأهل الصنائع كلها وبالدرجة الأولى (الحداد) ، فكانوا يعيّرونه ويعتبرونه من طبقة وضيعة ، وكانوا يسمونه (القين) [2] وقد حاول الرسول ﷺ تغيير نظرة الناس إلى الحدّاد بدفعه ولده إبراهيم امرأة قين في المدينة يدعى أبا سيف ، لكي ترضع إبراهيم في الوقت الذي كان الناس يدفعون أولادهم إلى أشراف القبائل وزعمائهم ليرضعوا أولادهم .

وكانت الحدادة منتشرة في مدن الحجاز المختلفة وتلبي احتياجات الناس المختلفة ، وكان معظم الحدادين إما أرقاء إما من أصل غير عربي ، نظراً لاحتقار العرب لهذه الصنعة ولمن يقوم بها ، وللأسف فهذا الاحتقار لا زالت له بقيّة عند البوادي والأعراب الذين ما زالوا ينظرون إلى الصانع باحتقار ، ويعيرونه ، وهي عادة من بقايا الجاهلية عندهم وقد استغل هذا الجانب غير العرب فكانوا في زمن الرسول ﷺ يقومون بهذه الصنعة وتدر عليهم الكثير من الأموال ، وقد استغل اليهود ذلك

---

[1] الزبيدي، تاج العروس ج ٢ / ٣٣١ .
[2] الزبيدي، تاج العروس، ج ٩ / ٣١٦
ومحمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٤٠١ .

فعملوا بالحدادة واحتكروها لأنفسهم فكانت مصدر دخل كبير بالنسبة لهم، فكانوا مختصين في صناعة الأسلحة المختلفة والأدوات الزراعية [1] حتى أصبح لديهم مستودعات يطلب الناس منهم السلاح والآلات في وقت الحاجة فيدفعونها لهم بأسعار غالية، كما أننا حين نرى الحدادين الآخرين الذين وردت أسماءهم من خلال النصوص نكاد لا نجد فيهم عربياً، وإنما معظمهم أما من اليهود أو الموالي .

وعند الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ ﴾ الفرقان: ٤ [2] وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ ﴾ النحل: ١٠٣ [3] نجد أن المفسرين ذكروا أسماء ليهود أو لموالي مختلفين في أسمائهم كانوا صناعاً أو صياقل في مكة زعم المشركون أنهم كانوا يعّمون محمداً ﷺ، فرد عليهم القرآن الكريم بهذه الآيات [4] .

ومن ذلك نرى وجود صنّاع من الموالي في مكة قبل الهجرة النبوية بينّتهم لنا كتب التفسير، بل ربما ذكرت أسماءهم مع اختلاف فيها.

وأما الحدادون الذين عاصروا الرسول فنجد منهم الصحابي الجليل (خبّاب بن الأرَتْ) الذي كن حداداً في مكة في أول الدعوة وكان يعمل للناس كثيراً من الحاجات من السلاح والأواني، وقد عمل (للعاصي بن وائل) بعض الأشياء، فقال له العاصي لا أعطيك حقك حتى تكفر بمحمد ؟ فقال له خباب لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث ؟ قال العاصي دعني حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا، فأقيك فو الله لن تكون آثر عند الله [5] مني، فنزل فيه قوله تعالى : (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين ملا وولدا) [6] الآيات .

---

[3]) جواد علي، المفصل، ج ٧ / ٥٥٧
ومحمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل ص ٤٣٧ .
[1]) سورة الفرقان، آية ٤ .
[2]) سورة النحل، آية ١٠٣ .
[3]) انظر، الشوكاني، فتح القدير ج ٣ / ١٩٥ وج ٤ / ٦٠
وابن كثير، تفسير القرآن، ج ٢ / ٥٨٦
(والصياقل مفردها صقيل وهي مأخوذة من صقل السيوف)
[4]) البخاري، فتح القدير ج ٣ / ٣٤٩ ـ وابن كثير، التفسير ج ٣ / ١٣٥ .
[5]) سورة مريم، آية ٧٧ .

وقد كان منهم أيضا أبو سيف، وهو قين في المدينة من الأنصار زوج أم سيف مرضعة إبراهيم بن النبي ﷺ، وكان يزوره عنده وقد كان الرسول ﷺ يزور ابنه إبراهيم عندهم وقد ذكر انس بن مالك رضي الله عنه أن الرسول أتي إلى بيت أبي سيف وكان ينفخ في كيره وقد امتلأ البيت دخاناً [1].

كما ذكر من الحدادين (مرزوق الصقيل)، وقد ذكر أنه صقل سيف رسول الله ﷺ [2] (ذا الفقار).

ومن الحدادين في الطائف كان الأزرق بن عقبة الثقفي كان رومياً حداداً، وهو من رقيق أهل الطائف الذين نزلوا إلى الرسول ﷺ أثناء حصاره للطائف فأعتقهم [3].

ومما يدل على كثرة الحدادين في الحجاز زمن الرسول ﷺ أن الرسول حين افتتح خيبر أحضر منها ثلاثين حداداً، وجعلهم في المدينة يصنعون للناس وينتفع بهم الناس في عمل كثير من حاجاتهم [4] وهذا العدد يدل على عظم الحدادة وازدهارها في خيبر في ذلك الوقت فإذا كان توافر هذا العدد الكبير من الحدادين لخيبر، وليست بأكبر مدن الحجاز ولا أغناها، فمن المحتمل جداً توافر أكثر من هذا العدد في مدن الحجاز الكبرى مثل مكة، والمدينة، والطائف، وغيرها.

وقد كان هؤلاء الصنّاع يلبون حاجات المزارعين من آلات تفيدهم في الزراعة كالمسحاة والفأس وغيرها، وهي مما يستفاد منها في البناء والحفر [5] أيضاً، كما أنهم كانوا يقومون بصناعة وصياغة الأسلحة المختلفة فهم يصنعون السيوف والسكاكين ويصقلونها، ويصنعون الخناجر، كما أنهم كانوا يقومون بصنع الدروع والمغافر وما يتعلق بها من أسلحة الدفاع النفس، كما يقومون بصناعة الرؤوس الحديدة للحراب والسهام وصقلها بطريقة معينة [6].

كما يقومون بصناعة الكثير من الحاجيات والأواني مما تحتاج إليه المنازل كالقدور وغيرها، فقد ذكروا أنه كان لعبد الله بن جدعان (وهو من أشراف مكة) جفنة للأضياف يُستَظَلُ بظلها في الهاجرة يأكل منها الراكب على البعير من

---

[1] ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٩٨
وابن عبد البر، الإستيعاب (حاشية على الإصابة) ج٤ / ٩٨
[2] ابن حجر، الإصابة، ج ٣ / ٤٠١ .
[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٧ .
[4] الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ٧٥ .
[5] انظر فصل الزراعة، والسهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٢٦٠ .
[6] انظر فصل (صناعة السلاح) .

عظمها [1] كما كان الحدادون يقومون بعمل اللجم اللازمة للدواب من الخيل وغيرها ويصنعون القطع الحديدية التي تدخل في تركيب اللجام [2]، كما أن النجارين يصنعون كراسي خشبية يضع لها الحدادون أرجل من حديد وقد جلس الرسول على كرسي بهذا الشكل في مسجده [3].

أما أدوات الحدادة فكانت معروفة لدى حدادي الحجاز في زمن الرسول ﷺ ولولا معرفتهم بهذه الأدوات المساعدة لهم في عملهم لما تمكّنوا من هذه الصنعة، فهم يعرفون (الكير) وهو جلد غليظ ذو حافات ينفخ فيه الحداد وقد يكون مبني من الطين ويسمى (كور) [4] وهو يساعد على رفع درجة حرارة النار التي يحمي عليها الحديد فتساعد على تليين الحديد، وقد ورد ذكر الكير في قصة زيارة الرسول ﷺ لبيت أبي سيف الحداد السابقة، كما ورد ذكره في حديث تمثيل الجليس السوء بنافخ الكير [5]، كما عرفوا المطرقة بل صنعوها أيضاً بأشكال مختلفة [6] تلبي مختلف الحاجات وعرفوا أدوات أخرى تساعدهم في صنعتهم، فكانوا يلبون حاجات الناس المختلفة بخبراتهم القليلة ما يتوفر لهم في بيئتهم.

الصياغة :-

هي حرفة الصائغ، وصاغ الشيء أي هيّاه على مثال مستقيم، وسبكه عليه فأنصاغ، والصياغة تأتي بمعني حسن الصيغة أي حسن العمل [7]، ويطلق لفظ الصائغ الصائغ على من يحترف الصياغة، ويعمل في سبك الذهب أو الفضة، وغيرها من المعادن الثمينة.

والصياغة والعمل بالمعادن الثمينة، كانت قديمة في مختلف الأمم السابقة، يظهر ذلك من خلال ما بقي من آثار للفراعنة، أو لليونان، أو الفرس، وغيرهم من الأمم القديمة ذات الحضارة.

ويبدو أن أهل الحجاز لديهم معرفة بالصياغة وطرقها ووجد لديهم صواغ قبيل ظهور الإسلام وبعد ذلك، حيث أن أهالي الحجاز في العصر الجاهلي عرفوا الحلي

---

[1] الفاسي، تحفة الكرام مخطوط ورقة ١١٧.
[2] محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٤٠١.
[3] ابن حجر، الإصابة ج ٤ / ٧٠.
[4] الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٥٣٢.
[5] انظر الحديث في، البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٩ / ١٧٦.
[6] جواد علي، المفصل، ج ٧ / ٥٦٠.
[6] الزبيدي، تاج العروس ج ٦ / ٢٣.

الذهبية والفضية والنحاسية وغيرها ، مما يدل على وجود انس كانوا يعملون هذه الأشياء إضافة إلى أن بعض هذه الحلي كان مستورداً من بلاد أخرى، وقد كان يتعاطى هذه الصنعة أرذل الناس عند العرب، كاليهود والموالي أما الأشراف فإنهم يربأون بأنفسهم عن ذلك [1].

وفي المدينة المنّورة اشتهر اليهود بإجادتهم للصياغة حيث أن هناك عدداً كثيراً من الصواغ من بني قينقاع وغيرهم من يهود حيث نرى أن المؤرخين يذكرون في سبب غزو الرسول لبني قينقاع (أن امرأة من المسلمين جلست إلى صائغ من بني قينقاع فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى ربط ثوبها إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت عورتها [2]، القصة، وحينما أجلى الرسول يهود قينقاع من المدينة وجد الرسول في منازلهم كثيراً من السلاح وآلات الصياغة [3] وهذه الآلات تدل على احترافهم للصياغة، يقول ابن الأثير : (وغنم رسول الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم من مال ولم يكن لهم أرضون وإنما كانوا صاغة) [4]، وفي حديث عن علي رسول الله عنه قال : (لما أردت أن أبتني لفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلا صّواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بأذخر أردت أن أبيعه من الصواغين واستعين به في وليمة عرس) [5] .

وهكذا نرى من خلال هذه النصوص أن يهود بني قينقاع من أشهر الصواغين في المدينة أيام الرسول ﷺ .

كما أن مكة المكرمة كان فيها مجموعة من الصواغين كشأن المدينة وغيرها وكان صواغ مكة يستعملون الأذخر في علمهم يدل على ذلك أن الرسول ﷺ بعد ذلك فتح مكة قال عنها : (إنه لا يختلي خلاءها ولا يعضد شجرها فقال : إلا الأذخر فإنه للقيون وظهورها البيوت فرخّص في ذلك) [6] وهذا يدل على أن هناك صّواغاً وصنّاعاً في مكة يحتاجون إلى الأذخر فرّخص لهم الرسول ﷺ في ذلك وقد

---

[1]) الكتاني، التراتيب الإدارية ج ٢ /٦٤ .
[2]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ١٣٧
وابن الأثير، الكامل ج ٢ / ١٣٨، وابن سيد الناس عيون الأثر، ج ١ / ٣٥٣
ود. أكرم العمري، المجتمع المدني، في عهد النبوة، القسم الأول ص ١٣٩ .
[3]) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤ / ٢٦٧ .
٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢ / ١٣٨ .
٥) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ١٣ .

[1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٥ .

كان في المدينة مجموعة من الصّواغ ورد ذكر لهم من خلال النصوص منهم أبو رافع الصائغ من المخضرمين، عاصر النبي، وأبو بكر وعمر، وكان عمر رضي الله عنه يمازحه ويقول : أكذب الناس الصائغ يقول اليوم غداً [1] .

كما أن مدن الحجاز الأخرى كالطائف وخيبر ووادي القرى وغيرها لم يكن تخلو من صواغ يقومون بعمل حلى النساء وغيرها ممن يختصون بعمله.

وإنتاج الصّواغ في الحجاز كغيرهم يتعلق بأمور كثيرة من حاجيات الناس فكان على رأس الأشياء التي يصوغونها الذهب والفضة وكانوا يعملون منه العديد من الحُلي المختلفة التي اشتهرت في بلاد الحجاز أيام الرسول، من خواتم، وأسوار، وقلائد، وغيرها من الحلي، كما كانوا يعرفون الخلاخل للنساء، يقول تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١ [2]، ويدور كلام المفسرين حول هذه (الآية) على نهي النساء عن أن يضربن بأرجلهن في المشي حتى لا يسمع صوت الخلخال، فنزلت هذه الآية في النهي عن ذلك [3].

وقد اشتهر عن بعض النساء كثرة حليهن ومنهن (بادية بنت غيلان بن مظعون الثقفية) و(الفأرعة بنت عقيل الثقفية)، وقد طلبت إحدى الصحابيات من النبي ﷺ أثناء حصاره الطائف إن فتح الله عليه الطائف أن يعطيها حلي إحدى هاتين المرأتين لأنهما كانتا من أكثر النساء حلياً [4].

ووجدت الحلي عند الكثير من النساء في المدينة وفيها حلي من ذهب وفضة، وقد وردت أخبار ذلك في كتب الحديث وأكثرها فيما يتعلق بزكاة الحلي، فذكر عن زينب بنت معاوية الثقفية زوجة (عبد الله بن مسعود) رضي اله عنه أن عندها حلياً من ذهب وفضة، وكان منها طوق من ذهب فيه عشرون مثقالاً [5] .

وقد كان الصّواغ يعملون بعض الأشياء الأخرى غير الحلي، من ذلك عمل بعض الإصلاحات للأسنان والأنف من الذهب، وقد كان هذا معروفاً في الأمم

---

[2]) ابن عبد البر، الإستيعاب (حاشية على الإصابة) ج ٤ / ٦٩
وابن حجر، الإصابة ج ٤ /٧٤ .
[3]) سورة النور، آية ٣١ .
[3] انظر الشوكاني، فتح القدير ج ٤ / ٢٥ وابن كثير تفسير القرآن ٣ / ٢٨٣ .
[1]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٤٨٤
والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٣٤، وابن الأثير، الكامل ج ٢ / ٢٦٧ .
[2]) ابن سلام الأموال، ص ٥٣٨
وابن حجر، الإصابة ج ٤ / ٣١٩ .

القديمة، وربما عرف ذلك زمن النبي ﷺ حيث أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يربط أسنانه بالذهب [1] .

كما أن الصّواغ صنعوا أنفاً صناعية من الذهب والفضة زمن الرسول ﷺ لأحد الصحابة، فقد كان (الضحاك بن عرفجة) قد أصيب أنفه في إحدى المعارك فقطع، فصنع له انف من فضة، فأنتن عليه، فأمره الرسول ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب [2] .

وقد كان الصّواغ يقومون بصناعة الخواتم ويكتبون عليها إذا طلب منهم ذلك، ولا أدل على هذا من صناعة خاتم النبي ﷺ، فحينما أراد الرسول ﷺ الكتابة إلى ملك الروم قيل له إنهم لا يقرأون الكتاب إلا إذا كان مختوماً، فأمر الرسول ﷺ أن يصنع له خاتماً، فصنع له خاتماً من فضة، ونقش عليه محمد رسول الله [3] (كل كلمة في سطر) هكذا :

الله

رسول

محمد

ونهى الرسول ﷺ أن يتخذ أحد خاتماً عليه نقش مثل نقشه، وقد ظلّ هذا الخاتم عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عثمان حتى سقط من يده في بئر أريس في المدينة، وحاول المسلمون استخراجه فلم يستطيعوا [4] .

وقد كان المسلمون بعد رسول ﷺ وسلم يتخذون خواتم بأسمائهم إقتداء بالنبي ﷺ وقد دلّت على ذلك الأحداث التي وقعت في عهد عثمان رضي الله عنه [5] .

وقد استخدم بعض الجاهليين أواني من الذهب والفضة فكان في مكة وغيرها من مدن الحجاز بعض الأثرياء الذين يستعملون أواني الذهب والفضة وكان يعملها لهم بعض الصاغة، وقد حرّم الإسلام أواني الذهب والفضة وشدد الرسول في ذلك [6] مما يؤكد أن بعض الناس كان يستعملها في أيام الرسول ﷺ، كما أن الصّواغ

---

[3]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣ / ٥٨
والكتاني، التراتيب الإدارية ج ٢ /٦٦ .
[4]) ابن حجر، الإصابة، ج ٢ / ٢٠٧
والكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ٦٥
وابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ / ١٦٤ .
[5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٤٧
وابن سيد الناس، عيون الأثر ج ٢ / ٣٩٩
والكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ٦٥ .

[1]) السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٣ / ٩٤٣ .
[2]) انظر عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ٤ / ١١٥٩ .
[3]) مالك بن أنس، الموطأ، ص ٧٩٩ .

الصّواغ كانوا يقومون بتحلية السيوف وتزيينها بالذهب أو الفضة، وذلك افتخارا من العرب بالسلاح، وتكريماً له [1]، فقد كان سيف أبي جهل الذي غنمه المسلمون بعد معركة بدر مزين بالفضة وفيه حلق منها [2]، كما أن سيف الرسول ﷺ الذي دخل به مكة يوم الفتح كان محلى بالذهب والفضة [3]، وكذلك الحال بالنسبة لبعض الأقواس أو الرماح التي كان بعضهم يحليها بالفضة أو الذهب، وذلك لاعتزازه ولداعي الفخر بهذا السلاح .

وقد عرف الصواغون الكثير من الأدوات التي تساعدهم في صنعتهم فكانوا يستعملون (الكير) لإذابة المعادن بفعل الحرارة، وسبكها على الشكل المطلوب، كما أن استعملوا مطارق صغيرة خاصة بهم، وذلك لدقة عملهم، ويسمون أصغر المطارق عندهم (العسقلان) [4]، كما يستعمل الصّواغ منفاخاً صغيراً ، وهو عبارة عن عن حديدة مجوفة ينفخ فيها الصائغ وتسمي (الحِمْلاَج) [5]، كما عرفوا بعض الآلات الصغير التي تدخل في الخواتم والأساور أثناء تصنيعها أو نقشها، كما أن الصواغ كان لديهم ما يستعينون به في الكتابة على الخواتم أو الحلي بدليل خاتم الرسول ﷺ الذي ذكرنا سابقاً أنه نقش له في المدينة، وما ذكرناه عن الصّواغ وما يتعلق بهم قد تكون النصوص أجبرتنا على تحديده إما في مكة أو المدينة أو الطائف إلا أن مدن الحجاز وقراها الأخرى كخيبر ووادي القرى يمكن أن يكون قد وجد فيها صّواغ مهرة خصوصاً إذا علمنا أن سكان خيبر ووادي القرى من يهود، وهم أناس يجيدون صناعة الحلي وحرفة الصياغة .

<u>التعدين :-</u>

التعدين هو استخراج المعادن الخام من مناجمها وتنقيبها والاستفادة منها، وحيث أن بلاد الحجاز لا تخلو من المعادن، فإن التعدين قد عرف في العصر النبوي ويتبين لنا ذلك من النصوص حيث ذكر أن (أبا الحصين السملي) قدم بذهب من

---

[4]) انظر فصل (صنعة السلاح) صناعة السيوف .
[5]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٤٩ .
[6]) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤ / ٤٠١ .
[1]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج ٣ / ٤٠٤ .
[2]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٢ / ٣٤ .

معدن، فأتى به النبي ﷺ [1]، وهم يطلقون لفظة (معدن) ويريدون به المنجم أو ما يؤخذ منه المعدن.

كما أن الرسول ﷺ أقطع (بلال بن الحارث المزني) معادن القبيلة، وهي من أعمال الفرع بالمدينة [2] وهي جبال بين المدينة وينبع، وكتب الرسول ﷺ لبلال كتاباً [3] بذلك، وقد كان من المعادن المعروفة والمستغلة منذ القدم معدن (فَرَّان) وهو لبني سليم وهو فيما بين نجد والحجاز [4]، وهو منجم للذهب ويسمى عند المؤرخين معدن بني سليم ويسمى حالياً (مهد الذهب) [5] وقد طُوّر أخيراً بحيث يخرج كميات كبيرة من الذهب وكان هناك معدن بناحية كلاب قرب المدينة يقال له (الأحسن) [6]، وهناك معدن بناحية الفَرْع على مقربة من المدينة يقال له (بَحْرَان) [7] وقد ورد ذكر له من خلال نصوص السيرة النبوية مما يدل على أنه كان معروفاً بأنه معدن وقد كان للرسول ﷺ غزوة الفرع، يقول ابن هشام (ثم غزا رسول الله ﷺ يريد قريشاً .. حتى بلغ بحران معدن بالحجاز من ناحية الفرع) [8] كما ورد ذكر عن معدن يقع بين مكة والطائف يقال لها (المعدن) معدن (البرم) [9] وتشترك قريش وثقيف سكن معدن البرم [10] وربما استغلاله .

وقد ذكر عن تجارة قريش المتجهة إلى الشام أن أكثرها فضة [11]، فلا يستبعد أن تكون قد استخرجت من مناجم بقرب مكة أو الطائف نظراً لارتباطها التجاري، والمتوقع أنه في حال استغلال هذه المناجم في الحجاز أو غيرهما من قبل بعض القبائل فلابد أن يكون الاستغلال بدائياً نظراً لإمكاناتهم القليلة، وصعوبة الحفر والتنقيب في تلك الأيام، لأن الأعمال كلها يدوية والخبرات قليلة، ولا يستبعد استعانتهم ببعض الموالي في العمل .

---

[3]) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/ ٤٤ .
[4]) ابن سلام، الأموال، ص ٣٤٨ .
[5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧
ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث، أعطاه معادن القبيلة عوريها وجلسيها عُشية وذات النصب وحيث صلح الزرع من قدس إن كان صادقاً، وكتب معاوية (ياقوت الحموي، معجم البلدان ج ٤ / ٣٠٨) وكذلك الفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ٣٣٢) .
[6]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤ / ٢٤٥ .
[1]) الفيروز أبادي، المغانم المطابة ص ٣٨٦ (حاشية)
٢) الفيروز أبادي، المغانم المطابة، ص ٣٨٥ .
٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١ / ٣٤١ .
٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ / ٤٦ .
٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١/ ١٥٤ .
٦) د . عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ٢٠ .
٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٢ / ١٤٥ .
٨) الزبيدي، تاج العروس ج ٦ / ٨ .

الدباغة :-

(الدباغة) حرفة تقوم على أساس إصلاح جلود الحيوانات وإبعاد الصوف والشعر منها وتليينها وتنظيفها وتبديل رائحتها لكي تكون صالحة للإستفادة منها، والمكان الذي يتم إصلاح الجلود فيه ودبغها يسمي المدبغة [1] .

وتتم هذه العملية بواسطة طرق وباستخدام بعض الأشجار المعينة والنباتات التي تفيد في هذه العملية، كما أنهم استخدموا بعض الأحجار الخاصة كالجير وغيره وهي تساعد في هذه العملية بعد سحقها [2]، وكانت أهم الأشجار المعروفة لديهم والمستفاد منها في الدباغة شجر (القُرَظْ) وهي أجود ما يدبغ بثمره وورقه، وينبت في الصحاري والقيعان من بلاد العرب [3]، وكان يباع في الأسواق في مدن الحجاز وقد أشتهر عن أحد الصحابة أنه كان يبيع (القرظ) ويربح فيه فأمره الرسول ﷺ بلزوم ذلك لما أصابه الرزق منه، حتى أصبح يسمى سعد القرظ [4] وربما سمي شجرة (السُلَم)[5]، وقد كان بعض نساء المهاجرين في المدينة يقمن بدبغ الجلود، مما يدل على أنهن كن يجدن هذه الصنعة بمكة وأنهن كن يعملنها ثم نقلنها إلى المدينة فكن يدبغن الجلود بها أيام الرسول ﷺ، فهذه أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه تقول : (لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت أربعين منا) [6] وتعني بذلك أربعين رطلاً ن دباغ.

---

[1]) جواد علي، المفصل، ج ٧ / ٥٨٧ .
[2]) تاج العروس، ج ٥ / ٢٥٨ .
[3]) ابن عبد البر، الإستيعاب (حاشية على الإصابة) ج ٢ /٥٤
الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٧١٥
ابن حجر، الإصابة، ج ٢ / ٢٩ ـ والكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ٥٦ .
[4]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٨ / ٣٣٧ .
[5]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٣٨٠ .
[6]) ابن حجر، الإصابة ج ٤ / ٢٨٦
والكتاني، التراتيب الإدارية، ج / ٢ ٥٧ .
٧) ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٣١٤ .
٨) الهمداني، صفة جزيرة العرب تحقيق محمد بن علي الأكوع ص ٢٦٠
و(المعروكة) هي : المدلكة والمنظفة بالحك
(الزبيدي، تاج العروس ج ٧ / ١٦٠) .

وقد ذكر عن أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها : أنها كانت تعمل الأديم الطائفي [1]، كما أن أم المؤمنين زينب بنت جحش كانت تدبغ الجلود وتخرزها وتتصدق بثمنها على الفقراء والمساكين [2].

وقد اشتهرت مدينة الطائف بوجود المدابغ الكثيرة فيها وبكثرة إنتاجها من الأديم، يقول عنها الهمداني (الطائف مدينة قديمة جاهلية وهي بلد الدباغ يدبغ بها الأُهب الطائفية المعروكة) [3] وهكذا نرى وصف الهمداني لها بأنها بلد الدباغ مما يدل على كثرته فيها وشهرتها وهكذا نرى وصف الهمداني لها بأنها بلد الدباغ مما يدل على كثرته فيها وشهرتها بالدباغ، وهو الحرفة الرئيسة لأهل الطائف كان يدل على كثرته فيها وشهرتها بالدباغ، وهو الحرفة الرئيسة لأهل الطائف بعد الزراعة إذ تعتمد عليه تجارتهم اعتماداً كبيراً حيث أن الجلود المدبوغة تصدر من الطائف عن طريق تجارة قريش وعن سوق عكاظ وغيره من الأسواق المجاورة للطائف [4]، حيث أن أن أديم الطائف كان يصل إلى الشام وفارس وإلى الحبشة [5]، فكان ضمن هدايا قريش إلى النجاشي في الحبشة الأُدم وهي الجلود المدبوغة وذلك حينما بعثوا عمرو بن العاص إلى النجاشي في محاولة من قريش لإيذاء المهاجرين المسلمين إلى الحبشة [6] .

الخـرازة :-

هي خياطة الجلود وتفصيلها و(المخرز) ما يخرز به الجلد (والخرّاز) هو المحترف لخياطة الجلود وتفصيلها [7]، ولا تزال كلمة خرّاز تستعمل حتى الآن لمن يعمل يعمل بالجلود في صنع الأحذية أو الأحزمة أو غيرها من المصنوعات الجلدية، وقد كانت هذه الصناعة من الحرف الموجودة في الحجاز إذ عن طريقها يتم الإستفادة من الجلود فجميع منتجات الجلود لابد من مرورها على الخرازين لكي تتم صناعة الأشياء مناه من أثاث وأحذية أو أحزمة أو غيرها.

---

[1]) د. عبد الجبار منسي العبيدي، الطائف ودور قبيلة ثقيف ص ٥٥ .
[2]) أنظر الفصل الخاص بالتجارة في هذا البحث .
[3]) السهيلي، الروض الأنف ج ٢ / ٨٧ .
[4]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٤ / ٣١٣ .

وقد كانت كثير من النساء تقوم بعملية (الخرازة) فقد كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش ممن يجيدن (الخرازة) وتعمل بها وتتصدق من ذلك [1]، ويدل على ذلك أنها كانت تجيد هذه الصناعة في مكة ثم احترفتها في المدينة وربما وجد الكثير من النساء الأخريات في مكة والمدينة يجدن هذه الصناعة.

وقد كانت الكثير من الحاجيات تنتج عن خرازة الجلود وهي تلبي متطلبات ذلك الزمان، وأهم ما كان يصنع من ذلك (القِرَبْ) وهي التي ينقل فيها الماء وغيه من السوائل سواء في السفر أم الحضر، عند البوادي أو الحواضر، وذلك لما تتميز به القرب من مرونة وليونة وخفة وزن، وقدرة على حفظ السوائل، وقد وردت عدة نصوص تدل على استخدام القرب في عصر الرسول ﷺ وأنها هي المستعملة في حفظ الماء والسمن والنبيذ وغيرها.

كما استخدمت الجلود ـ أيضاً ـ في صنع الوسائد المختلفة وبعض الفرش فقد كان لدى الرسول ﷺ وسادة من جلد حشوها ليف [2]، كما كانوا يصنعون الأحذية وقد اشتهر من الأحذية في زمن الرسول النعال (السَّبْيتة) وهي المصنوعة من جلد البقر المدبوغة بالقرظ فقد ورد أن عبد الله بن عمر كان يحب أن يلبس النعال السبتية فسئل عن ذلك ؟ فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ يلبسها ويتوضأ فيها [3] وقد كانوا يصنعون الخفاف من الجلود ويستعملها الصحابة ومنهم رافع بن خديج رضي الله عنه الذي قام على خفين له فيهما رقاع لكي يجيزه الرسول ﷺ في الخروج إلى معركة أحد [4]، ويبدوا أن النساء كن يلبسن النعال، بل هناك نعالاً تصنع خصيصاً للمرأة وهي (أحذية خاصة بالمرأة) فقد سئلت عائشة رضي الله عنها هل تلبس المرأة النعال نعل الرجل ؟ فقالت قد لعن رسول الله ﷺ المترجلة من النساء) [5] : والمترجلة هي التي تتشبه بالرجال، فدل هذا الحديث على معرفة الناس في زمن النبي ﷺ للأحذية الخاصة بالنساء، والأحذية الخاصة بالرجال .

كما أنهم كانوا يصنعون المحازم والمناطق الجلدية ويحلونها فقد كان للرسول ﷺ منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة وطرفها من فضة [6] .

---

[5]) ابن حجر، الإصابة، ج ٤ / ٣١٣ .
[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٥٠ .
[2]) الذهبي، السيرة النبوية ص ٣٥٣ وص ٢٩٩ .
[3]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٢ .
[4]) بهادر : محمد صديق حسن خان، حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة ص ٣١٣، دار الرائد العربي بيروت لبنان .
[5]) العصامي، سمط النجوم العوالي، ج ١ / ٤٦٢ .

وقد كانت الكعبة تكسي أحياناً بالجلود فلما فتحت مكة كساها الرسول ﷺ الثياب اليمانية [1]، وقد كانت بعض بيوت الأغنياء في البوادي تصنع من الأديم وتسمى (الطراف) [2] وقد استخدمت الجلود في صنع الدلاء وهو ما يستخرج به الماء من البئر بواسطة الحبال أو غيرها [3] وكانت الحاضرة والبادية لا تستغني عنه .

كما أن الجلود دخلت في صناعة سرج الخيل ولجامها فلا غنى عنها خصوصاً في اللجام الذي غالباً ما كانت أكثر أجزائه من الجلد، كما أن الجلود دخلت في صناعة السلاح بكثرة فاستعملت لتغليف أعمدة السيوف ولكساء الدبابات من الخارج وفي صناعة بعض التروس وصناعة الكنانة للسهام وغيرها من الصناعات الحربية [4] .

النسيج والخياطة :

النسيج والخياطة حرفتان متكاملتان تدعم إحداهما الأخرى، فالخياطة لابد لها من نسيج مسبق والنسيج لا تتم الفائدة منه إلا بالخياطة في الغالب ... يقول ابن خلدون : (هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر من الرّفَه) [5]، ثم يقول : (وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة لما أن الدفء ضروري للبشر في العمران المعتدل وأما المنحرف إلى البحر فلا يحتاج أهله إلى دفء) [6] .

---

[1]) البلاذري، فتوح البلدان ص ٥٩ .
[2]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٣٩٣ .
[3]) جواد علي، المفصّل، ج ٧ / ٥٨٨ .
[4]) انظر فصل (الصناعات الحربية) .
[5]) ابن خلدون، المقدمة ص ٤١١ .
[6]) المصدر السابق، ٤١٢ .

النسيج :

حرفة ضرورية احترفها الناس منذ القدم لإيجاد الأقمشة الخاصة بالملابس كما أنها ضرورية لوجود حاجيات أخرى من الأثاث كبيوت الأعراب (الخيام)، أو البسط وما إلى ذلك من بعض الضروريات، وعند دراستنا للغزل والنسيج في بلاد الحجاز في أيام الرسول ﷺ فلابد من معرفتنا لإمكانيات تلك البلاد من توفر المواد الخام للنسيج في بيئتهم، إلى توافر الأيدي العاملة، التي تقوم بعمل النسيج، إلى توافر الخبرة الفنية والمهارة اللازمة لهذه المهنة، وبدراسة سريعة للبيئة في منطقة الحجاز في محاولة لمعرفة مدى توفر المواد الخام نجد أن (الصوف) متوفر بكثرة نظراً لوفرة الثروة الحيوانية في المنطقة (أنظر حرفة الرعي) وبالتالي كان لابد من الإستفادة من هذا الصوف، فقام الناس بغزله والاستفادة منه حسب إمكاناتهم المتوفرة وحسب خبراتهم البسيطة، وقد كانت النساء في الغالب هن اللائي يقمن بعملية الغزل [1] أكثر من الرجال نظراً لتفرغهن وربما كان الرجال يعيبون على بعضهم عملهم بالغزل فيكلونها إلى النساء، وقد يكون لانشغال الرجال في أعمال أخرى دور في ترك هذه العملية للنساء، وقد كانت النساء تقمن بالنسيج في المدينة زمن الرسول ﷺ فقد ورد في حديث رواه البخاري : (عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : جاءت إمرأة ببردة .. قال : أتدرون ما البردة ؟ فقيل له : نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها قالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها أزاره فقال رجل من القوم يا رسول الله أكسنيها فقال نعم فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها غليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها إياه لقد علمت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت، فكانت كفنه) [2]، وقد وضع البخاري باباً لهذا الحديث سمّاه (باب ذكر النسّاج) ويدل هذا الحديث على إجادة بعض النساء للنسيج في المدينة وأنهن كن يقمن بذلك وينتجن بعض الملبوسات المنسوجة .

ومما يؤكّد الإستفادة من الأصواف ووجود أناس يعملون بها قوله تعالى في سورة النحل : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ

[1]) جواد علي، المفصّل، ج ٧ / ٥٩٤ .
[2]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ١٤ .

بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ النحل: ٨٠ [١] .

ويستفاد من الصوف بنسجه بواسطة أدوات خاصة أهمها (المِغْزَل) وهو ما يفتل به الصوف بحيث يحول إلى خيوط صوفية ثم تنسج فيما بعد، وقد ورد ذكر (الغَزْل) في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ النحل: ٩٢ [٢]، وهذه الآية تدل على معرفة المخاطبين بالغزل، وتدل على أن الغزل كان من مهن المرأة، حيث يقول : (كالتي نقضت) بالتأنيث، فدل على أن الغالبية في الغزل للنساء، فكأنه يقول : (إنكم إن فعلتم ذلك كنتم مثل إمرأة غزلت غزلاً وأحكمته ثم جعلته أنكاثاً) [٣] ويرجح وجود رجال يجيدون الحياكة والنسيج بدليل ما ورد عن سنان بن سعد رضي الله عنه (قال : حكت للنبي ﷺ جُبة من صوف وجعلت حاشيتها سوداء فلمّا لبسها قال : انظروا ما أحسنها وما أبهجها فقام إليه إعرابي فقال يا رسول الله هبها لي قال : فكان إذا سُئل شيئاً لم يبخل به فدفعها إليه وأمر أن تحاك له جبة أخرى فمات وهي في المحاكة) [٤] وقد يكون الرجل حاك الجبة للرسول ﷺ بنفسه، وقد يكون أوصى أحداً بعملها لكي يقدمها هدية للرسول ﷺ .

لكن أياً كان الأمر فالنتيجة واحدة وهي وجود مهنة النسيج والحياكة في عصر الرسول في الحجاز، وقد وردت بعض الآثار تدل على أن بعض الصحابة كان يعمل الخز وهو نسيج يعمل من (ابريسم) وصوف وذكر من هؤلاء الزبير بن العوّام وعمرو ابن العاص [٥].

وقد وردت عدة أحاديث ترغّب المسلمين في تعليم فتياتهم ونسائهم الغزل حيث يقول الرسول ﷺ (نعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل) [٦] وقد كانت أم المؤمنين أم سلمة ؤ=رضي الله عنها تغزل باستمرار فقيل لها عن ذلك فقالت إن المغزل يطرد الشيطان

---

[١] النحل، آية ٨٠ .
[٢] النحل، آية ٩٢ .
[٣] الشوكاني، فتح القدير، ج ٣/ ١٩٠ .
[٤] الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ٥٩ .
[٥] الكتاني، المرجع السابق ج ٢ / ٦٠ .
[٦] الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ١١٩ .

ويذهب بحديث النفس وقد بلغني أن الرسول ﷺ قال أعظمكن أجراً أطولكن طاقة [1]، وكان الرسول يحثّ النساء على شغل فراغهن بالغزل .

وقد عرفوا سقي النسيج بمادة خاصة تكسبه القوة والصلابة وتسمى (الخَزِيرَة) وهي كالحساء من دقيق ومواد أخرى [2]، كما أن العرب وضعوا أسماء لكل ما يتعلق بالغزل والنسيج من أدوات وسموا أجزاء هذه الأدوات، فمنها مثلاً (الحِفّ) وهي الخشبة التي يلف عليها الحائك الثوب [3] و(الصِنّار) وهي رأس المغزل [4] و(النَّيْر) الخشبة المعترضة التي فيها الغزل [5]، و(المداد) عصا في طرفها صنارتان يمدد بها الثوب [6] كما أن هناك الكثير من أسماء أجزاء معينة في أدوات الغزل والنسيج كانت معروفة لدى العرب عموماً في مختلف البلاد قد يطول ذكرها فيما لو استعرضناها، وهي على أية حال مبثوثة في القواميس والمعاجم اللغوية، إلاّ أنها تؤكد لنا بالدرجة الأولى تمكّن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام من هذه الحرفة، إلا أنها إذا قارناها ببلدان أخرى، كانت في الحجاز ضعيفة إلى حدّ ما، إذ لا مقارنة بين الحجاز واليمن مثلاً في مجال النسيج، في تلك الأيام ومع ذلك كانت قائمة في الحجاز وتسدّ بعض الحاجات الاجتماعية فقد كانت تسد الحاجة لبعض الملبوسات البسيطة وخصوصاً عند الأعراب الذين لم يكونوا يهتمون الأصواف أكثر من غيرهم، إضافة إلى ذلك فقد كان الصوف غير المُصّنع يستفاد منه في أشياء أخرى كالفرش والوسائد، فقد بعثت إمرأة من الأنصار إلى النبي ﷺ بفراش محشو بالصوف، فقال النبي ﷺ لعائشة ردّيه [7] (مخافة أن ينام عن صلاة الليل) نتيجة لليونة الفراش .

كما أن صناعة الحبال كانت من الصناعات الموجودة بكثرة في الحجاز سواء عند البادية أو الحاضرة ولم يكن يستغني عنها في الحلّ والسفر و(الحبال) كانوا يصنعونها من الصوف والجلود، كما أنهم يستخدمون بعض الأشجار والنباتات لصناعة الحبال وهي ما يسمى (المسد) وقد ورد في تفسير المسد في قوله

---

[1]) الذهبي، السيرة النبوية ص ٣٣١ .
[2]) الكتاني، المرجع السابق، ج ٢ / ١٢٠ .
[3]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٤٠٥ .
[4]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٦ / ٧٢ .
[5]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٣٤١ .
[6]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٥٩٣ .
[7]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٤٩٨ .

تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾ المسد: ٤ - ٥ [١]
أن المسد : (شجر يدق كما يدق الكتان فتفتل منه الحبال) [٢] .

كما أن الأعراب في البوادي كانوا بحاجة إلى بيوت يسكنونها وهي في الغالب مصنوعة من الشعر أو من الجلود ، وهي على أنواع منها (الخِباء) ويصنع من وصف و(البِجاد) ويصنع من وبر و(الفسطاط) وهو الكبير من بيوت الشعر [٣] وهذه البيوت التي من الصوف تحتاج إلى عمليات طويلة من الغزل والنسيج والخياطة بطريقة معينة حتى يمكن استخدامها والاستفادة منها ، ولا يزال بعض الأعراب في البوادي حتى الآن يستخدمون بيوت الشعر المصنوعة من الصوف، كما أنهم كانوا يصنعون بعض الأثاث من الصوف كالبسط والسجاجيد ، وكانت بدائية بسيطة تنسج مما يتوفر من أصواف الماعز وغيرها من الأصواف الخشنة [٤]، وقد كانت البسط معروفة في المدينة أيام الرسول ﷺ وكان الرسول يضطجع على حصير فيؤثر في جلده فقال له عمر بن الخطاب بأبي وأمي يا رسول الله ألا أذنتنا فنبسط لك أي نضع البسط فقال ﷺ ما لي وللدنيا [٥].

---

[٢]) سورة المسد، آية ٤، ٥ .
[٣]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٢ / ١٠٤
والشوكاني، فتح القدير، ج ٥ / ٥١٢ .
[٤]) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب ج ٣ / ٣٩٣، ٣٩٤ .
[٥]) جواد علي، المفصّل، ج ٧ / ٥٩٧ .
[٦]) الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٩ .

الخَواصَة :

كما أن هناك حرفة اشتهرت في المدينة في زمن الرسول ﷺ وهي (الخواصة) وهي نسج بعض الأدوات والأثاث من خوص النخيل، فقد كانت المدينة بلد زراعياً، وقد اشتهرت بزراعة النخيل، وقد استفيد من جريد النخيل في عمل الخوص، فكان الخوص ينسج منه بعض الأشياء كالحصر التي كان الرسول ﷺ يستعملها في بيته وينام عليها حتى أثّرت في جلده [1]، وكان الأنصار في المدينة يعملون الخوص، وقد تعلّم سلمان الفارسي رضي الله عنه منهم واتخّذها حرفة يأكل منها [2]، وقد استمر سلمان الفارسي رضي الله عنه الخوص حتى بعد أن أصبح أميراً على المدائن، فكان يقول : إني أحب أن آكل من عمل يدي [3]، وقد كانوا يصنعون (القِفَاف) [4] من الخوص، وهي على شكل أوعية توضع فيه الأمتعة والمحاصيل، وهي تختلف في الحجم ولا تنفع للسوائل وهي قوية وخفيفة الوزن ولا تزال تستعمل حتى الآن في القرى .

ويقوم بعمل الخوص الرجال والنساء، وكانت بعض النساء في عهد الرسول ربما تغزل الخوص وتنسجه في المسجد [5].

وقد استفيد من ليف النخل في صنع بعض أنواع التي يستفاد منها في مختلف الأعمال فقد كان يستفاد من حبال الليف في ربط الحيوانات وقيادتها وغير ذلك، فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه كان في خيبر على حمار خطامه من ليف [6].

وقد ورد عن أنس بن مالك أن الرسول أردفه على حمار فوقه قطيفة مختطمة بحبل من ليف [7]، واستفيد من الليف في حشو الوسائد والفرش، يقول عدي بن حاتم : إني مضيت مع رسول الله ﷺ حتى دخلت بيته فتناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ فقال اجلس على هذه [8]، ويذكر أنس أنه دخل على الرسول ﷺ وتحت رأسه مرفقة حشوها ليف [9]، وهكذا كانت للخوص فوائد، وكذلك كانت للسيف فوائد .

---

[1]) الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٩ .
[2]) الذهبي، المصدر السابق، ص ٥٨ .
[3]) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية، ص ٧٣٧ .
[4]) الزبيدي، تاج العروس، ج ٦ / ٢٣٥ (والقفاف) جمع قفه .
[5]) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ١٢٠ .
[6]) ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣ / ٣٥٠ .
[7]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٩ .
[1]) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣ / ١٥٠ .
[2]) الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٨ .

وقد أرفقنا الخواصة بالنسيج لمشابهة عملية الخواصة للنسيج في كثير من الأمور ولقرب الإستفادة منها من خلال البسط والحصر والسلاسل والأكياس وغيرها من مصنوعات الخوص المشابهة لمصنوعات نسيج الصوف وغيره إلى حد ما.

الخياطة :-

هي تفصيل الأقمشة والمنسوجات وتقطيعها قطعاً مناسبة للبدن، ثم وصل تلك القطع بعضها ببعض بواسطة الخياطة بالإبرة أو غيرها حتى تصبح صالحة للبس، وهذه الصناعة قديمة قدم الحضارة ويختلف أزدهارها في الحضر عنها في البادية حيث أن الحاضرة يهتمون بالملابس أكثر من غيرهم، يقول بن خلدون : (وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها)[1].

وقد كانت الخياطة معروفة ومشتهرة في المدينة وغيرها من مدن الحجاز بل ربما وجد أناس يتخذون من الخياطة صنعة لهم يكتسبون من ورائها وقد وضع البخاري رضي الله عنه في صحيحه باباً سمّاه باب (ذكر الخياطة) وروى حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك رضي الله عنه فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى الطعام)[2] . الحديث، ويستدل من هذا الحديث على وجود خيّاط يعمل بهذه الحرفة أيام الرسول، كما لا يفوتنا أن هنا توجيه نبوي كريم حيث كان العرب يحتقرون أهل الصنايع ومنهم الخيّاط فاستجاب الرسول ﷺ لدعوته ليذهب ما في نفوس الناس من احتقار لأهل الصنايع عموماً.

وبناء على وجود خيّاط في المدينة في عصر الرسول فلا يستبعد وجود خياطين آخرين في المدينة، كما انه من المرجّح جداً وجود خياطين مختّصين في مكة والطائف وخيبر وغيرها من مدن الحجاز، خصوصاً إذا علمنا أن في هذه المدن كثيراً من الأشراف ومن الأغنياء ممن يعتنون بملابسهم ويتفاخرون بها، وذلك يحتم وجود خياطين مجيدين لصنعتهم، وقد ذكر عن عثمان بن طلحة وهو الذي دفع إليه

[3]) المقدمة، ص ٤١١ .
[4]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ١٣ .

الرسول ﷺ مفتاح الكعبة بعد فتح مكة أنه خيّاط [1]، إضافة إلى ذلك فقد كان كثير من الرجال والنساء يقومون بخياطة أو ترقيع ما يحتاجون من ثياب بأنفسهم، وكان الرسول ﷺ كثيراً ما يقوم بذلك بنفسه فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ فقالت : (كان رسول الله ﷺ إذا كان في بيته يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته) [2] .

وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ترّقع ثوبها بنفسها [3]، ولم يكتف الخياطون بصنع الملابس فقط بل يقومون بعمل الأشياء المفيدة من الأقمشة كالأكياس لحمل الأمتعة والصرة التي تحفظ بها بعض الأشياء كما يخيطون بعض الأحزمة [4] أو العمائم أو غير ذلك.

الصباغة :-

بالإضافة إلى النسيج والخياطة كانت هناك بعض العلميات التي تلحق بها من ذلك صبغ الملابس، فقد كانت الملابس تصبغ على عهد رسول الله ﷺ، بل بما جرى الصبغ في بيوت أزواجه ﷺ .

فقد ورد عن إمرأة من بني أسد قالت كنت يوماً عند زينب امرأة النبي ﷺ ونحن نصبغ ثياباً لها بمُغْفرَة (أي حمرة) فبينما نحن كذلك طلع علينا رسول الله ﷺ فلما رأى المغفرة رجع فلما رأت زينب ذلك علمت أنه كره ذلك فغسلته ووارت كل حمرة فرجع فاطلّع فلما لم ير شيئاً دخل) [5] وقد كان صبغ الملابس يجري في الحجاز على مختلف الألوان وذلك يقتضي وجود أصباغ معينة، ومعرفة بطريقة الصبغ وكان الرسول يقول : (عليكم بالثياب البيض فألبسوها فإنها أطيب وأطهر وكفنوا بها موتاكم) [6] وقد وضع البخاري في صحيحه عدة أبواب منها (باب الخميصة السوداء) و(باب الثياب الخضر) و(باب الثياب البيض) [7] وقد وردت عدة أحاديث عن الثياب الحمر وغيرها مما يدل على معرفتهم بهذه الألوان وبطريقة صبغها.

---

[1]) الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢ / ٦٠ .
[2]) الذهبي، السيرة النبوية، ص ٣٢٤ .
[3]) بهادر، حُسن الأسوة، ص ٢١٢ .
[4]) جواد علي، المفصّل، ج ٧ / ٦١٥ .
[1]) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢٢ / ٦٥
وبهادر : حسن الأسوة، ص ٣١٣، ٣١٤ .
[2]) ابن حجر، فتح الباري، ج ٢٢ / ٣٨ .
[3]) انظر البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ٢٢ من ص ٣٤ حتى ٣٨ .

الأُجَـرَاء :

من المعروف أن الأجير هو الشخص المستأجر للخدمة، ولكفاية مؤنه العمل، وتختلف نوعية العمل [1] الذي يتفق الأجير مع صاحبه من خدمة، أو حماله أو سقاية، أو دلالة، أو غير ذلك من الأعمال الشائعة التي يطلب أصحابها الأجراء ليقوموا عنهم بهذا العمل .

وقد كانت الإجارة سارية أيام الرسول ﷺ في مختلف الأعمال ويبدو من النصوص أنها قليلة وربما يعزى ذلك إلى كثرة الرقيق الموالي الذين يقومون بخدمة أسيادهم وعمل ما يحتاجون إليه من الأشياء بالنسبة لكبار القوم، أما صغار القوم فكانوا يقومون بأعمالهم بأنفسهم ويفضلون ذلك على دفع أجرة لمن يقوم لهم بالعمل وقد وضعت كتب الحديث أبواباً للإجارة [2]، وذكرت ما ورد فيها من أحاديث عن الأجير في العصر النبوي .

وقد ذكر أن الرسول ﷺ استأجر رجلاً من بني عدي، لكي يدل الرسول وأبا بكر على الطريق الآمن إلى المدينة أثناء هجرة الرسول ﷺ وأبي بكر إلى المدينة المنّورة [3]، وقيل أن الذي استأجره الرسول أسمه (عبد الله بن أُريقط العدوي) [4] وهو من بني عدي والروايتان تتفان.

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يحملون للناس الأشياء على ظهورهم مقابل أجر معين، فمنهم من يأكل من الأجر ومن من يتصّدق به فقد ورد أن (زيد بن حارثة) رضي الله عنه حمل الرجل في الطائف حملاً، وقد اشترط الرجل على زيد أن ينزله حيث شاء فلما سار به أمره الرجل بالتوجه نحو خربة فإذا فيها قتلى كثير، وأراد الرجل أن يقتله فدعا زيد الله أن ينجيه منه فنّجاه [5].

وقد كان بعض الصحابة يحبون أن يتصدقوا حينما يدعوهم الرسول ﷺ لذلك فيذهبون إلى السوق يحملون للناس مقابل أجر معين فيأتون به إلى النبي ﷺ ويتصدقون به، فقد ورد في حديث رواه أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : (كان رسول

---

[4]) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠ / ٨
الزبيدي، تاج العروس، ج ٣ / ٧ .
[5]) انظر صحيح البخاري، فتح الباري، ج ١٠ / ٣ كتاب الإجارة وما تضمنه من أبواب .
[1]) البخاري، الصحيح، ج ٣ / ٣٨ .
[2]) ابن حبيب، المحبر، ص ١٩٠ .
[3]) السهيلي، الروض الأنف، ج ٣ / ٢٣٥ .

اللّه ﷺ إذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدانا إلى السوق فيحامل، فيصيب المدّ وإن لبعضهم لمائة ألف) [1].

وقد كان من الصحابة رجل فقير يدعى أبو عقيل واسمه حُشْمَان ويلّقب صاحب الصاع، إذ كان ينقل الماء على ظهره ويتصدق بنصف الأجرة وقد دعا رسول اللّه ﷺ الناس إلى الصدقة فجاءه أبو عقيل هذا بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة وقال للرسول : لقد حملت الماء على ظهري بصاعين أحدهما لي ولعيالي، والآخر جئت به صدقة، فتضاحك المنافقون وقالوا : إن اللّه لغني عن صدقة هذا [2]، فنزل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ التوبة: ٧٩ [3]، وقد حثّ رسول اللّه ﷺ على إعطاء الأجير أجرته فقال النبي ﷺ (قال اللّه تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطي بيي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل إستأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) [4].

وهذا تهديد من اللّه سبحانه وتعالى ووعيد للناس أن يعطوا الأجراء أجورهم ولا يبخسوا منها شيئاً .

وهكذا نرى أن الأجراء كانوا موجودين أيام الرسول ﷺ، وقد أوردنا نماذج منهم، كما لا يفوتنا أن نذكر أن الأجراء كانوا منذ قديم الزمن إلى يومنا هذا طبقة معروفة

سواء في عصر النبوة أم فيما سبقه أو تلاه من العصور .

---

[4]) البخاري، الصحيح (فتح الباري) ج ١٠ / ١٦.
[5]) ابن عبد البر، الإستيعاب (حاشية على الإصابة) ج ٤ / ١٣٠
وابن حجر الإصابة، ج ٤ / ١٣٦
والشوكاني، فتح القدير، ج ٢ / ٣٨٦
والخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص ٧٥٣ .
[1]) سورة التوبة آية ٧٩ .
[2]) البخاري ، الصحيح ، ج ٣ / ٥٠ .

الخاتمة

من الدراسة السابقة يتضح لنا كيف كانت حال الحجاز في العصر النبوي حيث الأعمال والحرف والصناعات التي كان سكان الحجاز يمارسونها، وتعتبر مصادر الدخل الرئيسة عندهم، وهي شريان الحياة الاقتصادية للمجتمعات الحجازية عموماً في تلك الأيام، كما أن هذه الحرف كانت تلبي معظم حاجات السكان ومتطلباتهم عدا القليل مما يطلبه الناس خارج الحجاز.

- كما إتضح لنا مواقف العرب المختلفة من الحرف والصناعات وكيف كانوا يميزون بين هذه الحرف، واعتبار الكثير منها حرفاً محتقرة في نظرهم وبالتالي احتقارهم لمن يحترفها كالحدادة والنجارة وغيرها مما ذكرنا في محله، مما دفع أناساً آخرين كاليهود أو الموالي إلى استغلال هذا الجانب وبالتالي أجادوا هذه الحرف وحدهم مما جعلها تدر عليهم الأموال الطائلة .
- وحينما جاء الإسلام لاحظ هذا الجانب فكان الرسول ﷺ يحاول جاهداً إزالة هذه الأوهام من عقول الناس فكان يرفع من شأن الحرف المحتقرة في نظر العرب ويجالس العاملين فيها ويرفع من معنوياتهم ويؤاكلهم ويشاربهم، بل ويدفع إليهم إبنه الوحيد ليربونه في منازلهم .

واستنتجنا من خلال هذا البحث أن الحرف في الحجاز كانت موزعة في مختلف الأماكن في الحجاز كما أن هناك توزيعاً معيناً لهذه الحرف حسب الظروف لكل منطقة من مناطق الحجاز، فلاحظنا أن الرعي كان هو الحرفة العامة لبلاد الحجاز في الحواضر والبوادي، وهو مصدر العيش لبادية الحجز بالدرجة الأولى وعليه اعتمادهم في معاشهم، ولم يكن أحد من العرب يحتقر هذه الحرفة.

كما أن الزراعة كانت هي الحرفة الرئيسة لسكان الطائف والمدينة وخيبر ووادي القرى، وكان الأعراب ينظرون إليها نظرة احتقار.

ولاحظنا أن التجارة كانت هي مصدر الدخل الرئيسي لقريش في مكة حيث كانوا يتاجرون مع الشام واليمن ويستفيد من ذلك أصحاب رؤوس الأموال بدرجاتهم المختلفة، كما استفاد أناس آخرين كانوا يخدمون هذه التجارة كما ان مدن

الحجاز عموماً لم تكن تخلو من أسواق دائمة استفاد منها التجّار والمنتجون وخدمت أغراض البيع والشراء.

- وقد أشرنا في البحث إلى أن حرفة البناء كانت قائمة في بلاد الحجاز وتلبي الحاجات المختلفة للسكان حسب متطلباتهم المتواضعة في تلك الأيام واستعرضنا نماذج مختلفة للبناء من خلال ما ورد في النصوص سواء كانت هذه البنايات لأغراض دينية أو عسكرية أو لأغراض السكنى أو حفر الآبار وغيرها مما أعطانا تصوراً عن هذه الحرفة وإمكاناتها في تلك الأيام .
- كما استعرضنا في فصل صناعة السلاح أنواع الأسلحة المعروفة في الحجاز في العصر النبوي وما كان يصنع منها محلياً أو يصقل، واختصاص اليهود والموالي في تصنيع السلاح، وأن ذلك جعل اليهود يملكون مستودعات ضخمة للأسلحة كانوا يدفعونها إلى من يحتاج إليها منهم بالسعر الذي يريدون عند الحاجة إليها، وقد بيّنا أن الرسول ﷺ خلال هذه الفترة كان يحّضّ المسلمين على عمل السلاح وصيانته حيث عن الأسلحة المفيدة حتى أنه بعث بعض الصحابة إلى (جرش) كما مر بنا في بحث صناعة الدبابة كما أنه كان يستفيد مما يجده من سلاح، حيث استفاد من المنجنيق في حصار خيبر وفي حصار الطائف مما زاد من عناية المسلمين بالأسلحة المختلفة .
- ومن خلال دراسة الحرف العلمية والصحية أتضح كيف أن الكتابة العربية كانت معروفة في الحجاز قبل الإسلام ووجد من يعلمها الصبيان في الطائف وغيرها وحينما جاء الإسلام حثَّ على التعليم وأكّد على تعليم الصبيان القراءة والكتابة مما جعل المسلمين يبرزون في هذا المجال فيما بعد.
- إضافة لذلك فقد حثّ الرسول المسلمين على تعلّم لغات الأعداء للأمن من مكرهم، فوجد بذلك مترجمون مختصون بين المسلمين كانوا يلبون حاجة المسلمين أيام الرسول.
- كما أن الطب كان معروفاً بين سكان الحجاز ووجد عدد من الأطباء اشهرهم (الحارث بن كلدة) طبيب العرب كما وجد أطباء آخرون غيره وتميز ذلك العصر بأساليب خاصة في علاج الأمراض حسب ما تتيحه الظروف في تلك الأيام كما أن الرسول ﷺ أمر بإقامة أول مستشفي في الإسلام وهي خيمة (أم رُفيدة الأنصارية) في مسجده حيث كانت تداوي الجرحى أثناء غزوة الخندق،

واشتهرت حرفة الحجامة في تلك الأيام وكان يقوم بها أناس مختصون، كما وجد العطارون الذين يبيعون للناس الطيب والأعشاب الطبيّة إضافة إلى بعض الأشياء المتعلقة بالتجميل.

- واستعرضنا ما تحترفه بعض النساء من تجميل للعرائس إضافة إلى الأساليب المتبعة في التجميل في تلك الأيام وموقف الإسلام منها.
- وفي الفصل الأخير مررنا ببعض الحرف العامة التي كانت شائعة في بلاد الحجاز وتختلف نظرة العرب إليها كل حرفة على حدة وموقف الإسلام منها ومدى انتشارها فاستعرضنا الحدادة والعاملين فيها ومدى الحاجة إليها ومدى ما وصلت إليه من تطّور في تلك الأيام، ثم استعرضنا الصياغة والتعدين وصناعة حلي النساء وغيرها، ووجدنا أن هناك صوّاغاً معروفين يقومون بعمل الحلي والأختام وغيرها ويحلون الأسلحة.
- وانتهينا إلى أن الدباغة كانت من أهم الحرف في منطقة الطائف ووجود أناس يقومون بهذه الحرفة ولم يكن أهل الطائف يحتقرون هذه الحرفة، كما أن الخرازة وهي عملية تحويل الجلود إلى أثاث أو أحذية أو أشياء أخرى يستفاد منها كانت قائمة في المنازل في مكة وفي المدينة وغيرها ووجد من أمهات المؤمنين من تقوم بذلك وتتصدق على المساكين من دخلها من هذا الجانب.
- واستعرضنا حرفة الغزل والنسيج وما يلحق بها من خياطة وصباغة وتبين لنا مدى تطّور هذه الحرف وأنها كانت منتشرة في مختلف مناطق الحجاز وتتدرج من حيث الأهمية من منطقة وأخرى وكان تركيزها بالدرجة الأولى على الإستفادة من الخامات المحلّية من أصواف أو سعف نخيل وغير ذلك . وأشرنا في نهاية البحث إلى وجود الأجراء وهم بمثابة العمال غير المختصين الذين يقومون بإنجاز بعض الأعمال مقابل أجر معين، ومن هؤلاء كان السقاة والحمالون وغيرهم.
- وقد رأينا من خلال البحث كيف كان الصحابة رضي اللّه عنهم رجالاً ونساء يشاركون في هذه الحرف بل أن الرسول ﷺ شارك في الكثير منها سواء في رعي الغنم أو في التجارة في مكة أو في قيامه ﷺ بعمل الأشياء الخاصة به وصيانتها من سلاح أو لباس وحذاء وغير ذلك فكان الرسول ﷺ يضرب للمسلمين المثل في ذلك.

أسأل اللّه أن أكون قد أديّت بعض مما ينبغي لهذا البحث وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا

(الحمد للّه رب العالمين)

الملاحق والخرائط

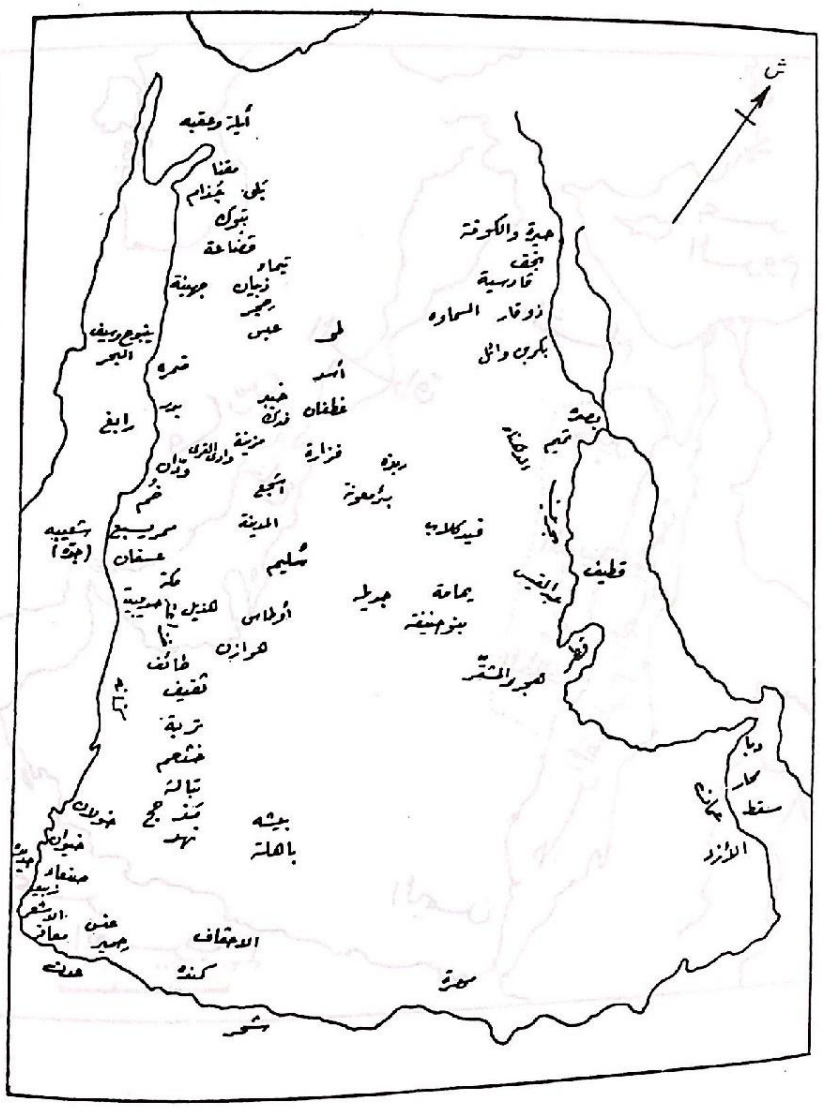

جزيرة العرب على عهد النبي عن محمد حميد الله الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٢٥٧ .

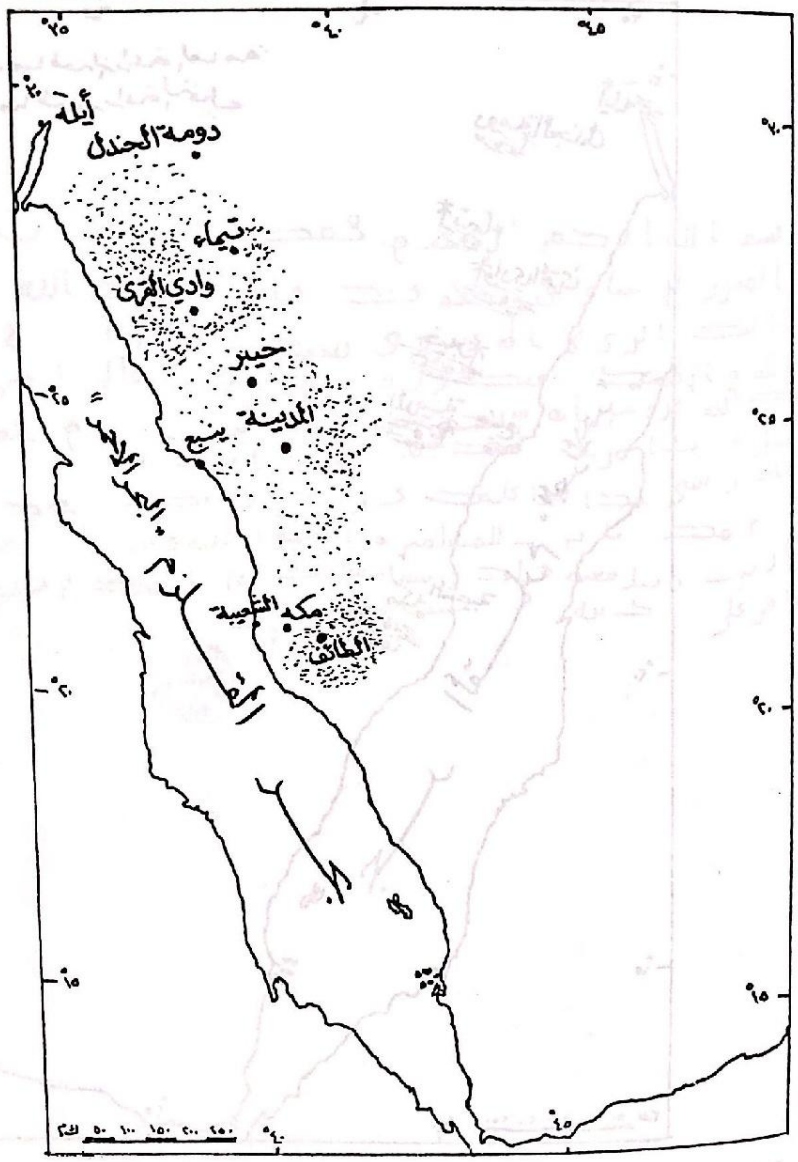

مناطق الرعي في الحجاز في عصر الرسول تصميم الباحث

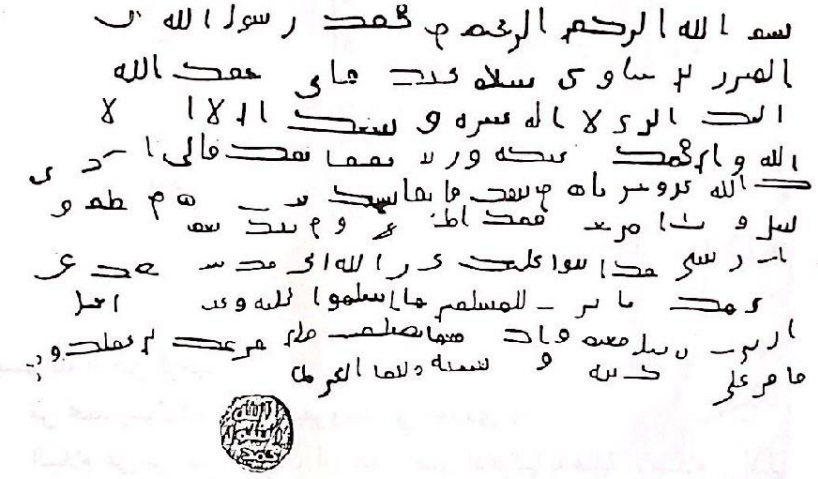

كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى ،
عن محمد حميد الله الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٤٧ .

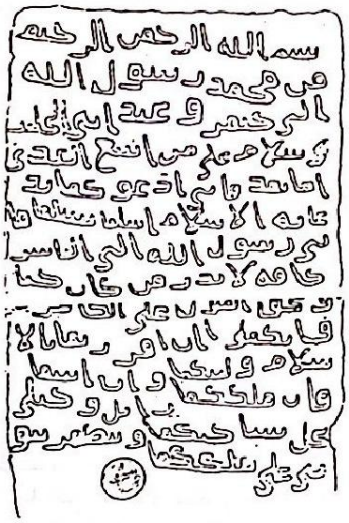

رسم كتاب
النبي عليه
السلام إلى
جيفر وعبد
ملكي عُمَان

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ، الى جيفر وعبد ابني الجُلَندى :

السلام على من اتّبع الهدي ، أما بعدُ : فـإنّي أدعوكـما بدعـاية الإسـلام . أسلما تَسلَما ، فإنّي رسول الله إلى الناس كافّةً ، لأنذِرَ مَن كانَ حيّاً ويَحِقّ القولُ على الكافرين . وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليّتُكما . وإن أبيتما أن تُقِرّا بالإسلام ، فإنّ مُلككما زائل ، وخَيلي تَحلّ بساحتكما ، وتَظهر نُبوّتي على مُلككما .

وكتب أُبَيّ بن كعب .

علامة الختم

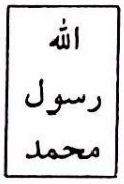

عن محمد حميد الله الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٦٢ .

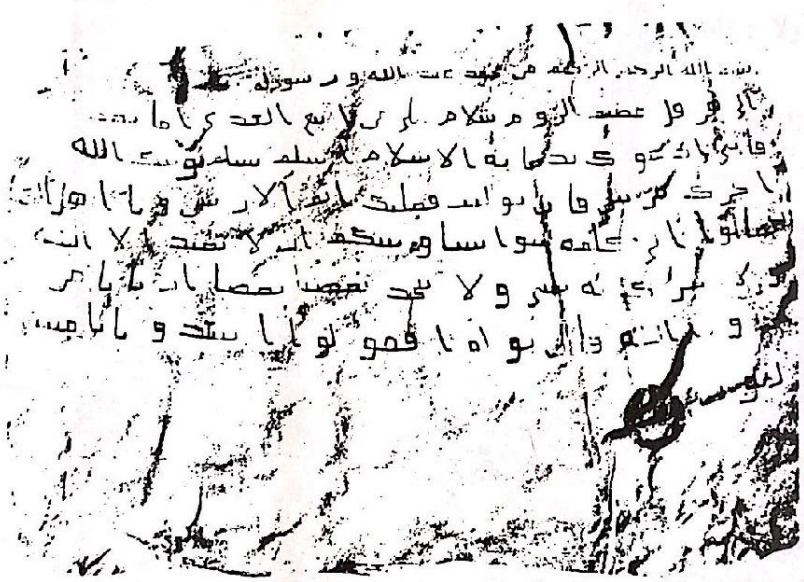

رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل عن محمد حميد الله الوثائق السياسية للعهد النبوي ص ١٠٨ .

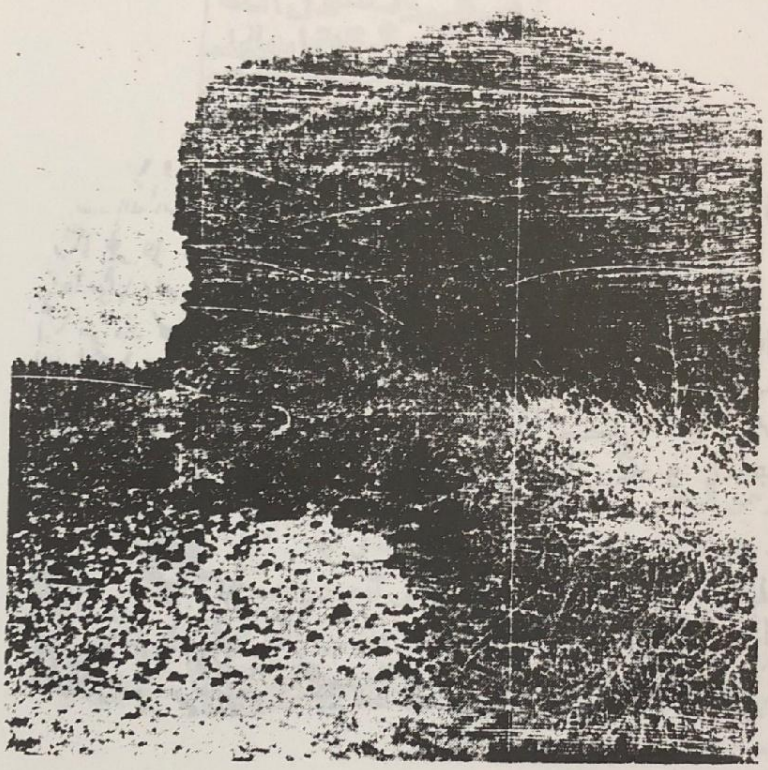

أطُمُ الضحيان

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع : المخطوطة :

الأسدي : أحمد بن محمد المكي الشافعي (ت ١٠٦٢هـ)

١- إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام، (مخطوط تحت رقم ١٨ دهلوي تاريخ في مكتبة الحرم المكي، مصور ميكروفيلم رقم ٢٨ ـ جامعة أم القرى مركز البحث العلمي مكة المكرمة) .

البكري : عبد الله بن عبد الملك القرشي (ت٧٨١هـ)

٢- بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار مخطوط مصوّر، بمركز البحث العلمي جامعة أم القرى تحت رقم ١١٢٥ .

الزيني : القاسم بن علي (ت ٨٨٤هـ)

٣- القوانين السلطانية في الصيد ـ مخطوط مصوّر بمعهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٤١ فروسية .

السخاوي : محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ)

٤- القوم التام في فضل الرمي بالسهام ـ مخطوط مصوّر بقسم المخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنّورة، رقم ١٧٤١ ميكروفيلم .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)

٥- السماح في أخبار الرماح ـ مخطوط مصوّر بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنّورة برقم ١٥٧٧ .

والمخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق .

الشنفوري : بهاء الدين الكوفي .

٦- الروضة المقّوفة في أخبار مكة المشرفة .

مخطوط مصوّر ميكروفيلم مركز البحث العلمي جامعو أم القرى، مكة المكرّمة برقم ١٣٣٠ .

الصبّاغ : محمد بن سالم بن أحمد المكي (ت ٨٣٢هـ)

٧- تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام مخطوط مصوّر .

مركز البحث العلمي جامعة أم القرى برقم ٢١٧ .

الفـأسي : محمد بن أحمد (ت ٨٣٢ هـ)

٨- تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام .

مخطوط مصوّر بمركز البحث العلمي ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة برقم ٢٠٨ برقم.

ابن فهد : محمد بن عبد العزيز جار الله المعروف بابن فهد (ت ٩٥٤هـ) .

٩- (تحفة للطائف في فضل الحبر بن عباس ووح والطائف)

مخطوط مصوّر بمركز البحث العلمي ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة برقم ٢٠٩ تاريخ مصور من مكتبة الحرم المكي .

١٠- (حُسْن القِرَى في أودية أم القرى) ـ مخطوط مصوّر بمركز البحث العلمي ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، برقم ١٠٧٠تاريخ .

القليوبي : شهاب الدين أحمد القليوبي الشافعي .

١١- (نبذة لطيفة في مباحث شريفة في تاريخ الحجاز ومعالمه)

مخطوط بدار الكتب القومية بالقاهرة تحت رقم ٢٤٩٢ تاريخ (تاريخ الخط ١٠٨٤هـ) .

مجهول :

١٢- منار الاصطفا في بيان اسم حلاق المصطفي .

مخطوط بدار الكتب الوطنية بالقاهرة تحت رقم ٩٣١ تيمورية .

المصري : الأمير بزهق بن عبد الكريم .

١٣- الهداية في علم الرماية ـ مخطوط مصوّر ميكروفيلم قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة تحت رقم ١٧٨٠ .

ابن ميمون : عبد الله .

١٤- الإفادة والتبصير لكل رام مبتديء أو ماهر نحرير .

مخطوط مصوّر في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٢١٣فروسية تاريخ النسخ ٧٥٩هـ .

النهرواني : محمد بن علاء الدين (ت ٩٩١هـ)

١٥- (الإعلام بأخبار البلد الحرام)

مخطوط مصوّر بمركز البحث، جامعة أم القرى مكة المكرمة ميكروفيلم رقم ٤٨

ثانياً المصادر المطبوعة

ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (٦٣٠هـ-١٢٣٨م) .

١٦- الكامل في التاريخ - دار صادر بيروت - لبنان ١٣٨٥هـ .

الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ - ٨٦٥م) .

١٧- أخبار مكة - الطبعة الثالثة تحقيق رشدي الصالح ملحس - دار الثقافة بيروت لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .

ابن إسحاق : حمّاد بن إسحاق بن إسماعيل (١٩٩ - ٢٦٧) .

١٨- تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها .

دراسة وتحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

الأصبهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ) .

١٩- دلائل النبوة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م - بدون مكان الطبع .

الأصبهاني : الحسن نب عبد الله .

٢٠- بلاد العرب - تحقيق حمد الجاسر ود. صالح العلي، دار اليمامة بالرياض - بدون تاريخ .

ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة .

٢١- ابن يونس السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ ١٢٩٦م)

عيون الأنباء في طبقات الأطباء - شرح وتحقيق د. نزار رضا - مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٥م .

ابن اياس : محمد بن احمد الحنفي .

٢٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور - بيروت - بدون تاريخ .

البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤هـ-٢٥٦هـ) .

٢٣- صحيح البخاري - المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا ١٩٧٩م ٠ثمانية أجزاء أربعة مجلدات) .

والصحيح (فتح الباري) - مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ) .

البغـدادي الخطيـب بـن بكّـار : الـزبير بـن بكّـار بـن عبـد الله القرشـي الأسـدي (١٧٢-٢٥٦هـ) .

٢٤- جمهرة نسب قريش وأخبارها ـ شرح وتحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني ـ القاهرة ١٣٨١هـ .

البلاذري : أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داود البغدادي (ت ٢٧٩هـ) .

٢٥- فتوح البلدان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

بهادر : محمد صديّق حسن خان (١٢٤٨هـ ـ ١٣٠٧هـ) .

٢٦- حسن الأُسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة دار الرائد العربي ـ بيرون بدون تاريخ .

الترمذي : أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ).

٢٧- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي (خمسة أجزاء) تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ـ بدون تاريخ .

ابن جلجل : أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ألف كتابه ٣٧٧ هـ) .

٢٨- طبقات الأطباء والحكماء ـ تحقيق فؤاد سيد ـ مطبعة المعهد الفرنسي القاهرة ١٩٥٥م .

الجوهري : إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ ـ ١٠٠٣م) .

٢٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت٢٤٥هـ)

٣٠- كتاب المحبّر ـ تحقيق د. إيلزه ليختن شنيتر دار الآفاق ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

ابن حجر : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ - ١٤٤٩م) .

٣١- الإصابة في تمييز الصحابة (٤ أجزاء) الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٨هـ .

٣٢- (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)

(٢٨ جزءاً في ١٤ مجلداً) ـ مكتبة الكليات الأزهرية
القاهرة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) .

حسّان بن ثابت : شاعر الرسول .

٣٣- شرح ديوان حسان بن ثابت
دار بيروت للطباعة ـ بيروت ت لبنان ١٣٩٨ هـ .

الحلبي : علي بن برهان الدين (ت ٩٧٥هـ) .

٣٤- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون إنسان العيون (جزآن)
دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

ابن حنبل : الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ) .

٣٥- فضائل الصحابة (ج ١ ، ٢) تحقيق وصي الله محمد بن عباس
الطبعة الأولى ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣٦- المسند :المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٣٩٨هـ .

الخزاعي : أبو الحسن علي بن محمد التلمساني (ت٧٤١ تقريباً) .

٣٧- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف
والصنائع والعمالات الشرعية) .

- تحقيق الشيخ أحمد محمود أبو سلامة ـ الطبعة الأولى ـ المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة (١٤٠١هـ ـ ١٤٠٥هـ) .

ابن خلدون : عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ ـ ١٤٠٥م) .

٣٨- مقدمة ابن خلدون ـ الطبعة الرابعة ـ دار الهلال ـ
بيروت (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) .

الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفصل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ) .

٣٩- (سنن الدارمي) (جزآن في مجلد واحد) طبع بعناية محمد أحمد دهمان
دار إحياء السنة النبوية ـ بدون تاريخ أو مكان .

أبو داود :سليمان بن الأشعب السجستاني الأزدي (٢٠٢هـ ـ ٢٧٥ ـ) .

٤٠- سنن أبي داود ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثانية

مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ (١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م) .

ابن دريد : أبو بكر محمد الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ) .

٤١- جمهرة اللغة ـ دار صادر بيروت ـ بدون تاريخ ـ مصوّر عن الطبعة الأولى بحيدر أباد ـ ١٣٤٥هـ .

الذهبي : الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م)

٤٢- تجريد أسماء الصحابة ـ دار المعرفة للطباعة ـ بيروت ـ بدون تاريخ

٤٣- السيرة النبوية ـ تحقيق حسام الدين القدسي ـ مكتبة الهلال ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

٤٤- الطب النبوي ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

ابن الرفعة : أبو العّباس نجم الدين بن الرفعة الأنصاري (ت ٧١٠ ـ ١٣١٠م) .

٤٥- (الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان)، تحقيق د. محمد أحمد إسماعيل الخاروف، جامعة الملك عبد العزيز ـ كلية الشريعة بمكة المكرمة ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

الزبيدي : محب الدين أبي الفيض محمد مرتضي بن محمد الحسيني الواسطي (١١٤٥ـ١٢٠٥هـ)

٤٦- تاج العروس من جواهر القاموس (عشرة أجزاء) الطبعة الأولى ـ المطبعة الخيرية ـ مصر ١٣٠٦هـ .

ابن سعد : محمد (ت ٨٣٠ ـ ٨٤٥م) .

٤٧- الطبقات الكبرى ـ (في تسعة أجزاء) ـ دار صادر ـ بيروت بدون تاريخ .

ابن سلاّم : أبو عبيدة القاسم (ت ٢٢٤ هـ) .

٤٨- كتاب الأموال ـ تحقيق محمد خليل هراس ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر ـ القاهرة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

السمهودي : نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١ هـ) .

٤٩- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفي (أربعة أجزاء)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي

بيروت ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت ٥٨١هـ ١١٨٥م) .

٥٠- (الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام) تقديم وضبط وتعليق طه عبد الرؤوف سعد (٤ أجزاء) ـ دار المعرفة بيروت ـ لبنان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م) .

ابن سيّد الناس : أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٧٣٤هـ ـ١٣٣٣م) .

٥١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير .
دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ – ١٩٨٠ م .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)

٥٢- الخصائص الكبرى (٢ جزء) بيروت ـ بدون تاريخ .

الشافعي : الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ)

٥٣- الأم (سبعة أجزاء) كتاب الشعب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

ابن شبه : أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) .

٥٤- كتاب تاريخ المدينة ـ تحقيق فهيم محمد شلتوت
نشر السيد حبيب محمود أحمد ـ المدينة المنّورة ١٣٩٣هـ .

الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) .

٥٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (خمسة أجزاء) ـ الطبعة الثالثة ـ دار الفكر ـ بيروت لبنان ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٩م .

الصالحي الشامي : محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ) .

٥٦- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
ج١ تحقيق مصطفي عبد الواحد ـ القاهرة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .
ج٢ تحقيق مصطفي عبد الواحد ـ القاهرة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
ج٣ تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمي القاهرة ـ ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥م
ج٤ تحقيق الأستاذ إبراهيم الترزي وعبد الكريم العرباوي ـ القاهرة ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ ـ ٩٢٣م) .

٥٧- تاريخ الأمم والملوك (الجزء ٢ ، ٣) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

العباسي : الشيخ أحمد بن عبد الحميد (القرن ١٠ هجرية تقريباً) .

٥٨- عمدة الأخبار في مدينة المختار ـ تصحيح وضبط محمد الطيب الأنصاري وحمد الجاسر، ـ الطبعة الرابعة ـ المكتبة العلمية بالمدينة المنّورة، بدون تاريخ .

ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ) .

٥٩- الإستيعاب في أسماء الصحاب ١ – حاشية على الإصابة القاهرة ـ ١٣٢٨هـ .

العجيمي : حسن بن يحي بن علي بن عمر (ت ١١١٣هـ) .

٦٠- (إهداء اللطائف من أخبار الطائف) تحقيق يحي محمود جنيد ساعاتي الطبعة الثانية دار ثقيف للنشر ـ الطائف ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

العصامي : عبد الملك بن حسن بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ ـ١٦٩٩م)

٦١- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ القاهرة ١٣٨٠هـ .

الفأسي : محمد بن أحمد الحسيني المكي (٧٧٥هـ ـ ٨٣٢هـ) .

٦٢- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ـ مطبعة السنّة المحمدية بالقاهرة بدون تاريخ .

ابن فهد : النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد فهد (٨١٢ ـ ٨٨٥هـ)

٦٣- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ـ تحقيق فهيم محمد شلتوت الطبعة الأولى جامعة أم القرى مكة المكرمة ج١ ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م ج٢ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم .

٦٤- المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢ القاهرة ب . ت .

القرطبي : عبد الله بن محمد فرج المالكي

٦٥- أقضية رسول الله ﷺ ـ مطابع قطر الوطنية الدوحة ـ بدون تاريخ

القفطي : جمال الدين أبي الحسن على بن القاضي الأشرف يوسف (ت ٦٤٦هـ)

٦٦- إخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ دار الآثار ـ بيروت ـ بدون تاريخ

القلقشندي : أبو العباس أحمد ٠ ت ٨٢١هـ) صبح

٦٧- صبح العشي في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية بالقاهرة، بدون تاريخ

٦٨- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب تحقيق إبراهيم الأبياري ـ الطبعة الثانية دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ١٩٨٠م .

ابن القيم : الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزي (٦٩١ـ٧٥١هـ)

٦٩- زاد المعاد في هدى خير العباد ـ أربعة أجزاء ـ المكتبة العلمية بيروت ١٩٨٧م .

٧٠- الفروسية ـ مكتبة عاطف القاهرة ـ بدون تاريخ .

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (٧٧٤هـ)

٧١- البداية والنهاية ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م.

٧٢- تفسير القرآن العظيم ـ (أربعة أجزاء) ـ دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

٧٣- السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفي عبد الواحد ٠أربعة أجزاء) دار المعرفة بيروت ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

ابن ماجه : الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ٢٧٥هـ) .

٧٤- سنن ابن ماجه ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م .

مالك بن أنس : الإمام (ت ١٧٩هـ ـ ٧٩٥م) .

٧٥- الموطأ، (جزءان في مجلد واحد) الطبعة الثامنة تقديم ومراجعة فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

الماوردي : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) .

٧٦- الأحكام السلطانية ـ دار الفكر ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

٧٧- أعلام النبوة ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ بدون تاريخ .

المراغي : زين الدين أبي يكن بن الحسين بن عمر أبي الفخر (ت ٨١٦) .
٧٨- (تحقيق النصرة في تلخيص معالم دار الهجرة) تحقيق محمد عبد الجواد
الأصمعي، الطبعة الثانية المكتبة العلمية بالمدينة المنّورة
١٤٠١ هـ.١٩٨٠م .
مسلم : الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجام بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)
٧٩- صحيح مسلم (٨ أجزاء في أربعة مجلدات) دار الآفاق ـ بيروت
بدون تاريخ .
المطري : محمد بن أحمد (٦٩٠ ـ ٧٤١هـ) .
٨٠- (التعريف بما انست الهجرة من معالم دار الهجرة)
المكتبة العلمية ـ المدينة المنّورة ١٤٠٢هـ .
ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)
٨١- لسان العرب ـ تحقيق عبد الله علي الكبير ـ ومحمد أحمد حسب الله
وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف بالقاهرة ـ بدون تاريخ .
ابن النجّار : الإمام الحافظ محمد بن محمود (ت ٦٤٣) .
٨٢- أخبار مدينة الرسول ـ تحقيق صالح محمد جمال ـ الطبعة الثالثة دار
الثقافة ـ مكة المكرمة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
النسائي : أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي (٢١٤ ـ ٣٠٣هـ) .
٨٣- (سنن النسائي) (ستة أجزاء) بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي
وحاشية الإمام السندي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ
لبنان ـ بدون تاريخ .
النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الله (٦٧٧ـ ٧٣٣هـ) .
٨٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، (الجزء الأول) دار الكتب القومية
بالقاهرة ـ بدون تاريخ
ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت٢١٨هـ)
٨٥- السيرة النبوية ـ تحقيق مصطفي السقاء وإبراهيم الأبياري
وعبد الحفيظ شلبي ـ أربعة أجزاء في مجلدين ـ دار الكنوز الأدبية

بدون مكان أو تاريخ .

الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) .

٨٦- المغازي ـ تحقيق د/ مارسدن جونس عالم الكتب ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .

٨٧- معجم البلدان (خمسة أجزاء)، دار أحياء التراث العربي ـ بيروت

أبي يعلي : محمد بن الحسين الفرَّاء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ) .

٨٨- الأحكام السلطانية ـ تحقيق محمد حامد الفقي ـ الطبعة الثالثة دار الفكر بيروت ـ لبنان ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

أبو يوسف : القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (١١٣ ـ ١٨٢)

٨٩- كتاب الخراج ـ الطبعة الخامسة، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٩٦هـ

ثالثاً : المراجع الحديثة

الأفغاني : سعيد

٩٠- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ـ الطبعة الثالثة ـ دار الفكر بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٤ ـ ١٣٩٤هـ .

الألوسي : محمود شكري

٩١- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ـ تحقيق محمد بهجت الأثري ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٣٤٢ هـ .

أمين : أحمد

٩٢- فجر الإسلام ـ الطبعة الحادية عشرة ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٥م .

الأنصاري : عبد القدوس .

٩٣- آثار المدينة المنّورة ـ الطبعة الثالثة ـ المكتبة السلفية بالمدينة المنّورة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

حافظ : عبد السلام هاشم .

٩٤- المدينة المنّورة في التاريخ، دراسة شاملة ـ الطبعة الثالثة، نادي المدينة المنّورة الأدبي ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

حافظ : علي هاشم

٩٥- فصول من تاريخ المدينة المنّورة ـ شركة المدينة للطباعة والنشر جدة بدون تاريخ .

حميد الله : د. محمد

٩٦- مجموعة الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة الطبعة الرابعة

دار النفائس ـ بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

الخربوطلي : د. علي حسني .

٩٧- العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة

والإسلامية ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة
١٣٨٨هـ ١٩٦٩م .

خطاب : محمود شيث .

٩٨- الرسول القائد ـ ط٢ كتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٠م .

٩٩- المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم ـ ط١ دار الفتح ـ بيروت
١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م .

الخطراوي : محمد العبد .

١٠٠- شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج ـ الطبعة الأولى
مؤسسة علوم القرآن ـ لبنان بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٠١- (المدينة في العصر الجاهلي)
الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ـ الطبعة الأولى،
مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ .

الخطيب : محمد عجاج .

١٠٢- السُنّة قبل التدوّين ـ الطبعة الخامسة ـ دار الفكر ـ بيروت
١٤٠١هـ ١٩٨١ م .

دروزة : محمد عزة .

١٠٣- (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) الطبعة الثانية ـ المكتبة العصرية
بيروت ـ لبنان ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

١٠٤- (عصر النبي) الطبعة الثانية ـ دار اليقظة ـ بيروت
١٣٨٤هـ رجب : د. عمر الفاروق السيد .

١٠٥- (الحجاز أرضه وسكانه ـ دراسات ايكيولوجية)، الطبعة الأولى، دار الشروق جدة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

الرشيد : د. ناصر بن سعد .

١٠٦- (سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه ونشأته وموقعه)

الطبعة الأولى دار الأنصار القاهرة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

الريّس : د. محمد ضياء الدين .

١٠٧- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦١م .

الشريف : د. أحمد إبراهيم .

١٠٨- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري

الطبعة الأولى ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٦٨م .

١٠٩- (مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول)

دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

شلبي : د. رؤوف

١١٠- (المجتمع العربي قبل الإسلام ـ دراسة في مرحلة التمهيد للدعوة)

دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٠م .

الصالح : د. صبحي .

١١١- (النظم الإسلامية ـ نشأتها وتطّورها ـ الطبعة الخامسة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٠م .

العبيدي : د. عبد الجبار منسي

١١٢- الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية من العصر الجاهلي الأخير وحتى قيام

الدولة الأموية ـ الطبعة الثانية ـ دار الرفاعي

الرياض ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

العُمري : د. أكرم ضياء

١١٣- المجتمع المدني في عهد النبوة ـ خصائصه وتنظيماته الأولى ـ الجامعة

الإسلامية بالمدينة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١١٤- المجتمع المدني في عهد النبوة (الجهاد ضد المشركين)
المدينة المنَّورة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

علي : د. جواد

١١٥- المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام - (١٠ أجزاء) الطبعة الثانية
دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - ١٩٧٨م .

العياشي : إبراهيم بن علي العلوي المدني

١١٦- المدينة بين الماضي والحاضر - المكتبة العلمية المدينة المنِّورة
١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

الغزالي : محمد

١١٧- فقه السنّة - الطبعة السابعة - دار الكتب الحديثة القاهرة
١٩٧٦م.

قاسم : د. عون الشريف

١١٨- نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله - دراسة في وثائق
العهد
النبوي، دار الكتاب اللبناني بيروت - الطبعة الثانية
١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

القرضاوي : د. يوسف .

١١٩- الإيمان والحياة - الطبعة الخامسة - مكتبة وهبة -
القاهرة ١٣٩٧هـ.

الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير .

١٢٠- (نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية) - جزآن
بيروت - لبنان - بدون تاريخ .

كحالة : د. عمر رضا .

١٢١- جغرافية شبه جزيرة العرب - راجعه وعلّق عليه أحمد علي
الطبعة الثانية - مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

لوبون : د. غوستاف .

١٢٢- حضارة العرب ـ ترجمة عادل زعتير ـ الطبعة الثانية ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

النجّار : د. عبد الوهاب .

١٢٣- قصص الأنبياء ـ الطبعة الثالثة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت بدون تاريخ .

يحيى : لطفي عبد الوهاب .

١٢٤- العرب في العصور القديمة ـ دار النهضة العربية ـ ببيروت ١٩٧٩م .

رابعاً : الدوريات والبحوث والرسائل الجامعية

ابن إدريس : عبد الله بن عبد العزيز .

١٢٥- مجتمع المدينة في عهد الرسول ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

العلي : د. صالح أحمد .

١٢٦- بحث بعنوان تحديد الحجاز عند المتقدمين، الجزء الأول من السنة الثالثة (مجلة العرب) دار اليمامة بالرياض ١٣٨٨هـ .

قريبي : إبراهيم بن إبراهيم .

١٢٧- مرويات غزوة حنين جمع وتحقيق ودراسة ـ رسالة دكتوارة مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤م، إشراف د. أكرم ضياء العُمري .

١٢٨- مرويات غزوة بني المصطلق ـ رسالة ماجستير مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة ـ بدون تاريخ .

الوهيبي : د. عبد الله .

١٢٩- الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ـ بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة الرياض في المجلد الأول من السنة الأولى ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

شمّا : سمير .

١٣٠- النقود المتداولة في عصر الرسول والخلفاء الراشدين بحث مقدم إلى الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

آل الشيخ : نورة بنت عبد الملك .

١٣١- (الحياة الإجتماعية والاقتصادية في المدينة المنَّورة في صدر الإسلام) رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية البنات بجدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الفهارس

	الصفحة
المقدمة	أ
الفصل الأول (دراسة تمهيدية)	١
تعريف الحجاز وتحديده	٢
المراكز الحضارية في الحجاز	٦
سكان الحجاز	١٠
العرب	١٠
اليهود	١٦
الموالي	٢٠
الحرفة والصناعة لغة	٢٢
عصر الرسول	٢٤
موقف العرب من الحرف والصناعات	٢٨
موقف الإسلام من الحرف والصناعات	٢٨
الفصل الثاني (الحرف المعاشية)	٣٢
الصيد	٣٣
أساليبه	٣٦
أنواع الصيد البري	٣٨
صيد البحر	٤٢
الجمع	٤٥
الرعي وتربية الحيوانات	٤٩
رعي الغنم	٤٩
تربية الإبل	٥٠
تربية الأبقار	٦٣
تربية الدواجن	٦٣
الحمير	٦٤
المراعي	٦٤

الزراعة في الحجاز	٦٧
العوامل المؤثرة في الزراعة	٦٩
المناطق الزراعية	٧١
العاملون بالزراعة وأجناسهم	٧٥
أساليب الزراعة	٧٨
ري المزارع	٨١
الوسائل المساعدة في الزراعة	٨٥
الإنتاج الزراعي	٨٧
الفصل الثالث (التجارة)	٩٦
تجارة قريش	٩٧
تجارة المدينة	١٠٣
التجارة في مدن الحجاز الأخرى	١٠٨
السواق	١٠٨
السلع المتداولة	١١٨
توجيهات الإسلام في التجارة	١٢٢
النقود المتداولة	١٢٨
الكيل والميزان	١٣٢
قياس الأطوال	١٣٩
الفصل الرابع (صناعة البناء)	١٤١
البناء	١٤٢
بناء المساكن	١٤٢
البنايات الدينية	١٤٧
البنايات العسكرية	١٥٥
حفر الآبار	١٦٢
النجارة	١٦٨

الفصل الخامس (صناعة السلاح) ١٧٤
أهمية السلاح في حياة عرب الحجاز ١٧٥
صناعة الأقواس ١٧٨
صناعة الرماح ١٨٣
السيف ١٨٥
الخنجر ١٨٧
الأسلحة الدفاعية ١٨٨
الدبابة ١٩١
المنجنيق ١٩٢
الحسك ١٩٣

الفصل السادس (الحرف العلمية والصحيّة) ١٩٥
القراءة والكتابة ١٩٦
الترجمة ٢٠١
الطب ٢٠٣
التمريض ٢٠٨
الحجامة ٢١١
العطارة والصيدلة ٢١٤
التجميل ٢١٨
الحلاقة ٢٢٢
الفصل السابع (الحرف العامة) ٢٢٥
الحدادة ٢٢٦
الصياغة ٢٢٩
التعدين ٢٣٤
الدباغة ٢٣٥
الخرازة ٢٣٧
النسيج ٢٤٠
الخواصة ٢٤٤

الخياطة ٢٤٥
الصباغة ٢٤٦
الأجراء ٢٤٧

الخاتمة : ٢٥٠
الملاحق والخرائط
قائمة المصادر والمراجع